ديوان من دواوين

١١

مقتبس من : يقظة الصباح . وهج الظهيرة .
أشباح الأصيل . أشجان الليل .
وحي الأربعين . هدية الكروان .
عابر سبيل . أعاصير مغرب .
بعد الأعاصير .... ما بعد البعد .

نظم
عبّاس محمود العقاد

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي القراء

اسم هذه المجموعة يدل على موضوعها ، لأنها ديوان مقتبس من دواوين الناظم ، وهي : يقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، وأشجان الليل ، ووحي الأربعين ، وهدية الكروان ، وعابر سبيل ، وأعاصير مغرب ، وبعد الأعاصير ، ومايلي من شعر أنظم بعد صدور هذا الديوان الأخير .

وقد نفدت الأجزاء الأولى من هذه الدواوين وأعيد طبعها فنفدت في حينها ، ولم يبق من آخر هذه الدواوين جميعا إلا القليل ، وجاءتنا الرسائل الكثيرة ممن يسألون عن بعض هذه الدواوين أو عنها جميعا ويطلبون إرسالها إليهم ، وبخاصة قراء البلاد العربية التي لم يتيسر وصول الكتب المصرية إليها في بعض العهود ، فترددنا بين طبعها في مجلد واحد وبين إعادتها أجزاء متفرقة كما صدرت أول مرة ، وكلاهما لا يغني في تيسير المطلوب منها ، لضخامة الحجم أو لتطاول الزمن ، فآثرنا أن نتوسط بين الأمرين باقتباس هذه المجموعة التي تنوب عن شعر الدواوين جميعها إلى حين ، وتتم أبواب الشعر في جملتها لمن نقصت عنده بعض الأجزاء .

ويطيب لنا أن نشير إلى تعداد هذه الدواوين لأننا نستفيد منه ميزانا من موازين الأدب في عمومه ، وميزانا من موازين الشعر على الخصوص ، وميزانا من موازين الشعر في عصرنا هذا على الأخص ، وهو أحوج ما يكون إلى ميزان ، وإلى بيان .

فلا مرجع لنقد الشعر غير قرائه الراغبين فيه بمعزل عن ضجة «الدعاية» ومذاهب النقاد وموقف الصحافة وأدوات النشر بين الإقبال والإعراض أو بين العناية والإهمال .

النـــــور(*)

(. . . إلى أين ينتهي بنا تحليل النور على أيدى علماء الطبيعة فضلا عن الفلاسفة والمتصوفة ؟ ينتهي بنا إلى أنه « معنى » يشبه المعانى المجردة . ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب) .

النور سر الحياة
النور سر النجاة
النور وحى النهى
النور وحى الصلاة
النور شوق الفتى
النور شوق الفتاة
الحس بالروح لا
لمح العيون الحواة
ما تبصر العين من
معناه إلا أداة
هذا سبيل الهدى
لا ما افتراه الهُداة !

* * *

إلى غاندى(*)

حين أعلن الصيام

أتيتَ إلى الدنيا العريضة عاريا
وتقضى بها جوعًا ، وماعزٌ مأكل !
تركتَ لهم حتى الطعام فقل لنا
على أى شيء بعد موتك تُقبل
إذا البؤس والحرمان كان شفاعةً
لعالمك الأعلى ، فما هو أفضل
إذا كان ماتدعوه بؤسى غنيمةً
لمن يطلب النعمى فبئس المعول

(*) النور : وحى الأربعين .
(*) إلى غاندى : وحى الأربعين .

الوجه الفيلسوف(*)

أرى لك أنت فلسفة صُراحًا
بلمح العين أقرأها جميعا
أذم العيش فى ألفىْ كتاب
وتعرض لى فأمدحه سريعًا
إذا ما الفيلسوف أطال سخطى
على لؤم الحياة فكن شفيعا
غنيتَ عن الأدلة والأحاجى
ومن حاجاك(1) لم يك مستطيعا

* * *

القدر يشكو(*)

صغيرٌ يطلب الكبرا
وشيخ ودّ لو صغرا
وخال يشتهى عملا
وذو عمل به ضجرا
وربّ المال فى تعب
وفى تعب مَن افتقرا
ويشقى المرء منهزما
ولا يرتاح منتصرا
ولا يرضى بلا عَقِب
فإن يُعقِبْ ، فلا وزرا(2)
ويبغى المجد فى لهَف
فإن يظفر به فترا
ويحسد إن سلا ، فإذا
تولّه قلبه زفرا
فهل حاروا مع الأقدا
رأو هم حيروا القدرا ؟
شكاةٌ مالها حَكَمٌ
سوى الخصمين إن حضرا

(*) الوجه الفيلسوف : وحى الأربعين .
(1) حاجاه : غالبه بالحجى : أى العقل ، أو ألقى عليه الأحاجى والألغاز .
(*) القدر يشكو : وحى الأربعين .
(2) الوزر : الملجأ والمعتصم .

الحمد المعكوس (*)

ياربّ حمدٍ لم ينله الذى / قد ناله إلا لهجوى أنا
وربّ هجوٍ طافَ بى لم يكن / يطوف بى لو لم أكن محسنا

* * *

عدل الموازين (*)

إنّا نريد إذا ما الظلم حاق بنا / عدل الأناسيّ لا عدل الموازين
عدل الموازين ظلمٌ حين تنصبها / على المساواة بين الحرّ والدون
مافرّقت كفة الميزان أو عدلت / بين الحلىّ وأحجار الطواحين

* * *

الخبز والفقير (*)

أحسب الخبز لو دَرى لتأبّى / فى يد الجائع الفقير إليه
إنما تُسلس الطّلاب جميعا / لامرىءٍ هانت الطلاب عليه

* * *

شطور (*)

دليلٌ على أن الكمال محرّمٌ / إناثٌ خُلقنا بينها وذكور
فما المرء فى جسم وروح بكامل / ولكنّ كلّ العالمين شطور

(*) الحمد المعكوس : وحى الأربعين ٤٢
(*) الخبز والفقير : وحى الأربعين . ٤٣
(*) عدل الموازين : وحى الأربعين . ٤٣
(*) شطور : وحى الأربعين . ٤٥

الآمال (*)

كانت الآمال تحملنى / فأرانى اليوم أحملها
إن أحلامًا تعللنى / غير أحلام أعللها

* * *

يوم ميلادى (*)

يوم ميلادى تقدّم / وتأخّر ... وتكلّم
لا تقل لى قبل عام / كيف كنا ؟ أنا أعلم
لا تقل لى بعد عمرى / كيف نُمسى ؟ لستَ تعلم
غاية الأمر أظانين ، وبعض الظن يأثم
سوف نُمسى مثل ما كنّا ، ولم نولد ونُفطَم

إن يكن ذلك شيئًا / لستُ بعد الموت أعدم
أو يكن ليس بشىء / أترى « لاشىء » يندم ؟
أية الحالين قل لى / بعد طول العمر أسلم ؟ !
تطعم الموت إذا قلـ / ـت ظلومٌ ليس يرحم
نحن لا بالموت أُعطبـ / ـنا ولا بالموت نحرم
من يَعُدْ يومًا كما كا / ن فقد ذمّ وتمّ
صفقة الأعمار فيها / قلّةُ الخسران مغنم

(*) الآمال : وحى الأربعين .
(*) يوم ميلادى : بعد الأعاصير .

رجاء كاليأس (*)

أنا لم أيأس من الخير ولا ... أحسب الشر على الناس لزاما
إنما أغنيت يدي عن خيرهم ... وأمنت الشر من حيث ترامى
فليكن من شاء منهم مَلَكا ... أو يكن جِنًّا على الكيد أقاما
كلهم بعدُ سواءٌ عند من ... لا يَدين الناس شكرا وانتقاما

* * *

الحب إعطاء (*)

لا تطلب الحب بين الناس تأخذه ... بل فاطلب الحب تُعطي منه ما تجد
أشقى البرية من لم يَعنه أحدٌ ... وليس من كان لا يُعنى به أحد

* * *

موضع العجب (*)

لا تعجبنَّ لعيب ... واعجب لفضل ونبل
نقص الطبائع أصلٌ ... والفضل ليس بأصل

* * *

أغلب الظن (*)

أنا شيءٌ فكيف أصبح لا شي ... ءَ إذا تمّ للحياة مداها ؟
أغلب الظن أنني سوف أرقى ... غايةً بعدها تفوق ذراها !

(*) رجاء كاليأس : بعد الأعاصير .
(*) موضع العجب : بعد الأعاصير .
(*) الحب إعطاء : بعد الأعاصير .
(*) أغلب الظن : بعد الأعاصير

صوت الحي (*)

أعجب من حياة الميت

فيم عشنا وغاية العيش موت ؟ ... فيم متنا ، وغاية الموت بُقيا ؟
أعجب الحالتين عنديَ حيٌّ ... سوف يفنى ، لا ميتٌ سوف يحيا

* * *

زمان الذرّة (*)

دعوا الذرّة تطغى في ... زمان يعبد الذرّة
صغيرٌ كل ما في الأر ... ض من جاه ومن شهرة
ومن خير ومن شر ... ومن رأي ومن فكرة
فلو قيسوا بلا جسم ... لما ضاقت بهم إبرة

* * *

هذا وهذا وهذا (*)

قلت لعمرو : خانني خالد ! ... وخانني عمرو ، فماذا أقول ... ؟
أبلغتها زيدًا فلما زادني ... عن صاحبيه ، فاحتواني الذهول
ناجيتهم سرًّا بلا خيفة ... من أناجيه ، ففيه فضول !
ثق من خيانات بني آدم ... إذن وقل أنتم ثقات عدول
لا تشكُ هذا ، عند هذا ، ففي ... هذا ، وهذا ، عنصرٌ لا يحول
كلُّ بني الدنيا - ومن بينهم ... أنت - فروع جمعتها الأصول

* * *

ميثاق الأمم (*)

أحبوا صحبة الدنيا وهبُّوا ... ولبُّوا داعي الميثاق ، لبوا
توافقت الشعوب على رجاءٍ ... فلا ينكلْ عن الميدان شعبُ

(*) صوت الحي أعجب من حياة الميت : بعد الأعاصير .
(*) زمان الذرة : بعد الأعاصير
(*) هذا وهذا وهذا : بعد الأعاصير .
(*) ميثاق الأمم : بعد الأعاصير .

...سلوا إلى من قال ادعوى   يروّج أمرها باغ وخبّه
...هم خادعين ، فهل رأيتم   مخادعةً بشيء لا يُحب ؟
...الوم جسدٌ بها هواها   إلى حق فما في الحق صعب
...ولم تصبْ دنياكم لسلم   لما خُدعت به من حيث تصبو

* * *

تهنئة بمولد (*)

مهنئى أنت يا صديقى   بمولدى - طبت من صديق
أنسيتنى أنه غروب   ساعة هنأت بالشروق
تسع وخمسون فى طريق   لم أدر ما وجهة الطريق
أسائلُ الركب أين يمضى ؟   وكلهم ها هنا رفيقى
لا أنا أدرى ولا رفاقى ؟   يدرون بالموعد الوثيق
ركبٌ عجيبٌ بلا دليل   من محدث فيه أو عتيق
إذا مضى منهم فريقٌ   ألقى المطايا إلى فريق
وكلهم يبتغى مسيرا   فى مشرع سار أو مضيق
يطبق طول السفار عدوًا   وليس للمنهل بالمطيق
إخالنا كلنا وقوفا   هنا على موقف عميق
فى أبد لا زمان فيه   مستقر السبق باللحوق
أقرب من يومنا وأوفى   من طارق الليل فى الطروق
يكاد لولا الحجاب يبدو   كالظل من سحره الرقيق
أتغتصب العينُ حول سر   والسر فى موضع سحيق ؟

* * *

حشرات (*)

ما وجدنا من البسيطة إلا   خُلقًا زائغًا وجهلا مبينا
حشراتٌ لا تعرف الخير والشـ   ـرّ وفيها الهلاك للعارفينا

* * *

(*) تهنئة بمولد : بعد الأعاصير .
(*) حشرات : الجزء الأول .

ألم اللذة ولذة الألم (*)

إذا صاحت الأطماع فاصبر فإنها   تنام إذا طال الصياح على النَّهَم
وقهر الفتى إلا نفسهُ فيه لذةٌ   وفى طاعة اللذات شىءٌ من الألم

* * *

الحياة حياة (*)

قالوا الحياة قشور   قلنا : فأين الصميم
قالوا شقاءٌ فقلنا   نعم ! فأين النعيم ؟
إن الحياة حياة   ففارقوا أو أقيموا

* * *

المجد والفاقة (*)

ضلّ الصوابُ وغمّ الأمر واشتبهت   على المراقب عيناه بيسراه
شيبٌ عُراةٌ وأطفالٌ مجوّعة   ونسوةٌ نسيت ما ليس تنساه
ليس البلاء بلاء القوت نندبه   بل البلاء بلاء الخُلق ننعاه
ما أبخس الروحَ فى مصر وأرخصها   وأنفس الخبز فى مصر وأغلاه
لا تحسبوا أمة يعلو أعاظمها   إذا الفقير طلابُ القوت أعياه
أيروح القوت فى أرض يطالبه   ويبلغ المجدَ فيها من توخاه ؟
هيكم قسوتم على من ذنبه كسلٌ   عن غمرة العيش يثنيه ويلهاه
ما بالُ من ذنبه يا قوم أنكم   فى العجز لا فى اقتسام الرزق أشباه
دفنتم المال أكواما فهل نبتت   فى باطن الأرض أو زادت خباياه
إن العزيز ليأبى الذل يلمحه   كالإثم يأبى العفيفُ النبيل رؤياه
والهف نفسى على قوم إذا نظروا   ذل الفقير سعوا فى كشف بلواه
والف لهف على قوم إذا شغفوا   بالمال ...يرون فى الدنيا مزاياه

* * *

(*) ألم اللذة ولذة الألم : الجزء الأول .
(*) الحياة حياة : الجزء الأول .
(*) المجد والفاقة : الجزء الأول .

الوجوه الكاذبة (*)

سحقاً لهاتيك الوجوه فإنها ... كذّابة لا تحسن التمويها
حسنت ولو نقلت صفات نفوسها ... لرأيت أقبح ما رأيت وجوها

* * *

إلى السعادة (*)

مه يا سعادة عني ... فما أنا من رجالك
لا تطمعي اليوم مني ... بالسعي خلف خيالك
فقد سألتك حسبي ... مللت طول سؤالك
وقد جهلتك لمّا ... سحرتني بجمالك
إن الحبيب بغيضٌ ... إذا استعزّ بخالك (1)
فلا تمُرّي ببالي ... ولا أمُرّ ببالك
أشقى الأنام أسيرٌ ... معلّقٌ بحبالك

* * *

اللؤم سلاح (*)

يسر صديقي أن يراني مبرّءًا ... من اللؤم موسومًا بكل سماح
كما سرّ خصمًا أن يراك أمامه ... تنازله حربًا بغير سلاح
هو اللؤم سيفٌ للّئيم وجُنّة ... من الناس، والدنيا مجال كفاح
فواهًا لنفسي في المجال مجرّدًا ... أضعت مِجنّي (2) بينهم ورماحي

* * *

العقل والجنون (*)

ليس بين الجنون والعقل إلا ... خطوتا سائرٍ فحاذرْ وأمسكْ
أول الخطوتين نسيانك النا ... س، وأما الأخرى فنسيان نفسك

* * *

(*) الوجوه الكاذبة : الجزء الأول . (*) إلى السعادة : الجزء الأول .
(1) الخال : الكبرياء والخيلاء ، أي أن أحب الأحباء تمجه النفوس إذا أفرط في الخيلاء .
(*) اللؤم سلاح : الجزء الأول . (2) المجن : الترس . (*) العقل والجنون : الجزء الأول .

الرجاء (*)

منا الرجاء كأنه نغمٌ ... يدنو فأسمعه فيبتعد
يا ضاحكًا للناس يخدعهم ... مهلاً ولست لهم بما تعد
لو نال منك الناس أجمعهم ... فوق المرام لأمكن المدد
لكنْ بخلت فما يزال لهم ... شوقٌ إلى شوقٍ وإن جهدوا
وردوا إليك فكان أظمأهم ... قلبًا على شطّيك من وردوا

* * *

حظ الشعراء (*)

ملوكٌ، فأما حالهم فعبيد ... وطيرٌ، ولكنّ الجدود قعودُ
أقاموا على متن السحاب فأرضهم ... بعيد، وأقطار السماء بعيد!
مجانينُ تاهوا في الخيال فودّعوا ... رواحة (1) هذا العيش وهو رغيد
وما ساء حظ الحالمين لو انهم ... تدوم لهم أحلامهم وتجود
فوارحمتا للظامئين نفوسهم ... وما أسعفتهم صحبة وجدود
ويذرون من مس العذاب دموعهم ... فيُنظم منها جوهر وعقود
بني الأرض كم من شاعر في دياركم ... غريبٌ، وغبن الشاعرين شديد
بني الأرض أولى بالحياة جميلةً ... محجبةٌ عليها من حلاه نضود
محدّثةٌ تناجيه بأسرار قلبها ... ومهما تردْ في العيش فهو يريد
على أنه قد يبلغ السؤلَ خاطب ... خليٌّ ويُزوى عن هواه عميد
بني الأرض لا تنفسوا له السيف إنه ... يُذاد عن الدنيا وليس يذود
أُريدَ به للناس خيرٌ فلم يزل ... به غصّةٌ عن نفسه وشرود
تجمّعت الأضداد فيه فحكمة ... وحمق، وقلب ذائبٌ وجمود

(*) الرجاء : الجزء الأول .
(*) حظ الشعراء : الجزء الأول . (1) رواحة : رفاهة .

صُماده [1] صبرٌ في الحياة وإنما   هي النار تخبو ساعةً وتعود
مقيم على عرش الطبيعة حاضر   ولكنه بين الأنام فقيد
إذا جال بالعينين فالكون بيته   فإن سُدّ بالكفن فهو طريد
وأقصى مناه في الحياة نهاره   وأدنى مناه في الممات خلود
يرى الغيب عن بعد – فمقبل عهده   قديم ، وماضيه القديم جديد
إذا عاش في بأسائه فهو ميت   وإن مات عاش الدهر وهو شهيد
شقاوته في الشعر وهو هناؤه   وليس له عن حالتيه محيد
جنونٌ أحق الناس طرًّا بهجره   أولو الفهم – لو أن الفهوم تفيد

* * *

عزاء (*)

لا اليأس أول يأسٍ   ولا الرجاء بسرمدْ
فإن تقضّى رجاءٌ   فإنه يتجدّد
أو حقّ يأسٌ فأهلاً   إن الطريق ممهد
شقّ الطريقُ قديمًا   فالعود أهدى وأحمد

* * *

إنصاف الظالم (*)

أنصفتَ مظلومًا فأنصف ظالمًا   في ذلة المظلوم عذر الظالم
من يرضَ عدوانًا عليه يضيره   شرٌّ من العادي عليه الغاشم

* * *

(١) صماده : قصاراه أو خير ما يستطيعه .
(*) عزاء : وحي الأربعين .   (*) إنصاف الظالم : وحي الأربعين .

أحلام الموتى (*)

(أرسلت الأبيات الآتية إلى صديقنا الشاعر العبقري عبد الرحمن شكري) : –

ستغرب شمس هذا العمر يومًا   ويغمض ناظري ليل الحِمام
فهل يسري إلى قبري خيال   من الدنيا بأنباء الأنام
ويُمسي طيف من أهوى سميري   ويؤنس وحشتي ترجيع هام
وأحلم بالزواهر دائرات   وبالزهر المنوّر والغمام
ألا ليت النسيم هناك تحظى   بأحلامي كأحلام النيام
وليت الورد يورق فوق رمسي   فتسبح في نوافحه عظامي
وأبسم في أزاهره لدنيا   عبست لوجهها فوق الرغام

فأجابني بأبيات يقول منها :

وكان النصف أن نرضى عيونًا   فلا طيف يساعد بالمنام
أليس الكون أكبر منك شأنًا   وأولى بالمقادر والنظام

فراجعته بالأبيات الآتية :

أبيتَ عليّ أحلام الرجام   تثير حواشيَ الموت الزؤام
رضينا بالحِمام أصمّ يحشو   منافذَ حسّه سافي الرغام
رضينا بالحِمام كما رضينا   بعيش نوره ظل الغمام
نفضت اسمي على الدنيا ورسمي   فما أبكي رحيلي أو مقامي
حياتي في حياة الكون طرًّا   كقطر الغيث في اللجج الطوامي
وما شمس الحياة بمستحيل   سناها إن قضيتُ إلى ظلام
يظل الحسن في المعشوق حسنًا   وإن حرت لحاظ المستهام

* * *

(*) أحلام الموتى : الجزء الأول .

ضيق الأمل (*)

شرُّ ما يلقى الفتى أجلٌ   ضيقٌ عن واسع الأمل
ولشرٌّ منهما أمل   ضيق في فسحة الأجل

* * *

الشيء من غير معدنه (*)

ليس أضنى لفؤادي   من عجوز تتصابى
ودميم يتحالى   وعليم يتغابى
وجهول يملأ الأر   ض سؤالا وجوابا

* * *

خفف العيش (*)

خففْ العيش فإن المو   ت لا يستجيع مولودا
وإن الموت إذ يأتيـ   ـك لا يلفيك موجودا !

* * *

السعادة (*)

إن الشقيَّ الذي لا شيء يشبهه   وللأصاغر أشباهٌ وأمثال
من شابه الناس سرَّته مودتهم   ومن علا عنهمُ ساءت به الحال
فاهنأ بجدك إلا تشقى بعزلته   وليحظ بالصفو أوغادٌ وجهال
إن السعادة تحت الأرض معدنها   لا يطلب السعد من أوته أجيال

(*) ضيق الأمل : الجزء الأول .
(*) الشيء من غير معدنه : الجزء الأول .
(*) خفف العيش : الجزء الأول .
(*) السعادة : الجزء الأول .

زماننا (*)

فشت الجهالة واستفاض المنكر   فالحق يهمس ، والضلالة تجهر
والصدق يسري في الظلام ملثّما   ويسير في الصبح الرياء فيسفر
إنا لفي زمن كأنّ كباره   بسوى الكبائر شأنها لا يكبر
من كل ذي وجه لو أن صَفاته   تندى لكان من الفضيحة يقطر
بئس الزمان لقد حسبت هواءه   دنسًا وأن بحاره لا تطهر
وكأن كل الطيبات يردها   فيه إلى شر الأمور مدبّر
وثب اللئام إلى ذراه فقهقهوا   إن القرود لبالتسلق أخبر
ما نيلَ فيه مطلب إلا له   ثمن من العرض الوفير مقدر
وبقدر ما يبذل امرؤ من قدره   يُجزى ، فأكبر من تراه الأصغر

* * *

صلاح المشيب (*)

أبعدَ الشيب ترغب في الصلاح   وتزهد في المدامة والملاح
فرغتَ من الحياة فأنت ترجو   حياةً في الفراديس الفساح
رجعت عن الحرام وأنت عندي   عجزت عن المحرّم والمباح
فما تقوى الشيوخ سوى اضطرار   كتقوى اللص بات بلا سلاح

* * *

(*) زماننا : الجزء الأول ، ١١١ (١٠٦ فقرة ٢٦) .
(١) الصفاة هي الصخرة . كأن هذه الوجوه من الصخر الذي لا يندى .
(*) صلاح المشيب : الجزء الأول .

عمر يوم (*)

من مثل قدم يومه مثل أمسه | فأيامه ما عاش يومٌ مكرّر
تسربل حيًا بالحياة فشأنها | كما يلبس الخزَّ الأجيرُ المسخر

* * *

الملام (*)

أنا لا ألوم ولا أُلام | حسبي من الناس السلام
ليس العتاب بمصلح | خللا توارثه الأنام
أنا إن غنيت من الأنا | م فقد غنيت عن الملام
وإذا افتقرت إليهمُ | فاللوم من لغو الكلام

* * *

الفضل المغموط (*)

إذا كنت ذا فضل فلا تكُ غابطًا | جهولاً بلا فضل لديه يُعظَّم
لعلك لا ترضى ، وقدرك خاملٌ | بأنك تغدو مثله وهو مكرَم
وأجملُ ألا يعرف الناس فاضلا | ويعرفهم ، من أن يموق ويعلموا

* * *

قانون العظماء (*)

لا تلغ ذا بأس وذا همة | على ذنوب العصبة الغلّب
فليس مقياسك مقياسهمْ | ولا همٌ مثلك في المأرب

(*) عمر يوم : الجزء الأول . (*) الملام : الجزء الأول ، ١٢٠ (١١٧ - فقرة ١٠٦) .
(*) الفضل المغموط : الجزء الأول . (*) قانون العظماء : الجزء الأول .

والليث لا توثق أعضاده | حبالة تنصب للثعلب
انظر إلى ما خلّفوا بعدهم | من المعالي ثم لُمْ واعتب
لم يخط إن داس رؤس الورى | من علقت كفاه بالكوكب
من ركب الهائل من أمره | فعذره في ذلك المركب

* * *

مدح الناس (*)

ما عهدنا الأنام أجودَ بالمد | ح لأعلاهُم لديهم مكانا
إنما يُظهرُ الأنام ضنينا | ليس يخفيه يومُ إذا هو بانا

* * *

حب النفس (*)

ما في الأنام سوى محب وامق | سكن الغرام بكل قلب خافق
في كل قلب صورةٌ معبودة | لو كان جسمٌ وجسد بالجوانح عالق
لا القبيح ينقصه وليس بزائد | حسن الشمائل في هواه الصادق
عشق تملّك كل نفس حبيبة | في الكون والمعشوق عين العاشق

* * *

كنت قصرت (*)

كأس الحياة أظمأتني على ظمأ | وبللي بالحُميّا طين صلصالي
وأسكريني حتى لا يكون ردى | إلا كما غاب حس بعد جريال[1]
وفتشي في زوايا القلب فاقتدحي | ظنًا يظن وبلبالا ببلبال
إن حسبت حياتي غير واحدة | من التغير من حال إلى حال

. . . . | . . . .

* * *

(*) مدح الناس : الجزء الأول . (*) حب النفس : الجزء الأول .
(1) جريال : خمر ، والمقصود أن خبر الموت ما كان من فرط الشبع بالحياة كالغيبوبة بعد الارتواء من الخمر .
(*) كنت قصرت : الجزء الأول ١٢٢ (١١٨ (فقرة ١١٠)) .

إن الحياة حياة كيفما اختلفت   ألوانها من مسرات وأوجال
كم ذا أهبت بروحي أن تفارقني   وزحت أجفل منها أي إجفال
فالآن أنشد الآمي وأحمدها   كيما أحس بروحي بين أوصالي

* * *

الغنى والسعادة (*)

لا تحسدنّ غنيًّا في تنعّمه   قد يكثر المال مقرونًا به الكدر
تصفو العيون إذا قلت مواردها   والماء عند ازدياد النيل يعتكر

* * *

ياكتبي (*)

كتبي أشكو ولا أغضب   ما أنت من يسمع أو يعتب
كتبي أورثتني حسرة   هيهات لا تنسى ولا تذهب
كتبي ألبست جلدى الضنى   لم يغن عني جلدك المذهب
... سوداء قضيتها   سهران حتى أدبر الكوكب
... أنني المح تحت الدجى   جماجم الموتى بدت تخطب
... إمّا غارق في الكرى   أو غارق في كأسه يشرب
... شق وافاه معشوقه   فنال من دنياه ما يرغب
... أدر يحلم في ليله   بيومه الماضي وما يعقب
... فع المرء بما يقتني   وأنت لا جدوى ولا مأرب
... سعادة ولا المنى   وخبرة صاحبها متعب
... في النور فيجحا فيا   حسن الذي يضمره الغيهب
كتبي أين ترى المنتأى   عن أسر أرواحك والمهرب
... عنى ما يضن الورى   به علي الله ولم يذنبوا

* ... ى والسعادة : الجزء الأول .
* ... كتبي : الجزء الأول .

من ضوء عيني ومن صحتي   سدى ومن وقتي وما أكسب
ومن شباب فيك ضيعته   فما أنا إلا الفتى الأشيب
لو كنت كالجبار في نقمتي   لكان في النار لها مسعطب
في ذمة الطرس وفي حفظه   عبير تفنى شطره الأطيب
لا رحم الرحمن فيمن مضى   من علم الجاهل أن يكتبا

* * *

الشيب الباكر (*)

ما أقبل الليل حتى طرت بالقمم   ياصبح جرت على الظلماء في القمم
وما انقضى شفق الأيام عن عمرى   فكيف لحت بفجر منك متّهم ؟
لو كنت تحسب أيامى لما خطرت   يداك بالشيب في مسودّة اللِّمم[1]
دون الثلاثين تعرونى ؟ وما انصرمت   إلا كما تنقضى الأعوام في الحُلُم ؟
مرت بقادمتى نسر مسولّية   وكنت أعهد فيها ثقلة الرخم
وما اعتدادك بالأيام تحسبها   وإنما أنت خدن الويل والألم
إذا ألمّا بإنسان صحبتهما   فأنت فقد نزلا في أعظمي ودمي
عسا أنت طارق دار لا رفيق بها   ولست تهرم قلب ليس بالهرم
قد شبت والشعر مسودٌ فما عجبى   من واضح الشيب بعد الشيب في القمم
ما كان مسودّ شعري وهو مشتمل   عليك إلا كجلباب من الكتم[2]
قل لابن تسعين لا تحزن فذا رجل   دون الثلاثين قد ساواك في الهرم
إذا ادكرت شبابًا في النعيم مضى   لم يذكر من شباب كان أو نعم
وما انتفاعي وقد شاب الفؤاد سدى   إن لم تشب أبدًا كفي ولا قدمي
وليس ما يخدع الفتيان يخدعني   كلا ولا شيم الفتيان من شيمي
يا شيب ضاقت بك الدنيا بأجمعها   فانزل بلا ضائق بالشيب أو برم[3]
من لا يبالي أفجر أنت تنذره   بالصبح أم أنت ضوء النجم في الظلم
يامرحبًا بصباح ليس يسلبني   صفوًا ، ويُعدًا لليل فيه لم أنم

(*) الشيب الباكر : الجزء الثاني .   (١) اللمم : جمع لمة وهي الشعر .
(٢) الكتم : صبغ الشعر والمعنى أن الشعر الأسود الذي يصدر على قلب الشيب إنما هو كالشيب المصبوغ .
(٣) برم : متضجر .

إيه يادهر(*)

إيه يادهر هات ماشئت وانظر   عـزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت في بلائك إلا   هان بالصبر منه مالا يهون

* * *

الخداع القاتل(*)

إلام تخدعني عيني وما انخدعت   نفسي ولكنها تهفو مع البصر
جربت كل خليل في مودته   فما جمعت يدي إلا على صَفر[1]
أكلما ضاء لي نجم فأتبعه ،   خبا الضياءُ فلم أبصر سوى كدر
أكلما قلت هذا جوهر ، نَطقتْ   عليه ذونٌ يناني حسةُ الحجر
أكلما لاح لي صيدٌ فأحسبه   صيد الأسود ، إذا الجرذان في الأثر
أكلما قلت هذا كوثر خَصِرٌ   تجمع الصابُ لي في الكوثر الخصر[2]
ويلاه ! ما أحقر الدنيا وأبغضها   لم ينجُ أحسن ما فيها من القذر
عزَّ الكمال على خَلْق الخيال فما   طماعةُ المرء أن يلقاه في البشر

* * *

الهداية(*)

كم في السماء نجوم   ضلت سواء السبيل
وأنت في الأرض تبغي   هدْيًا بغير دليل ؟

* * *

(*) إيه يادهر : الجزء الثاني .
(*) الخداع القاتل : الجزء الثاني .
(1) صفر : خلو .   (2) الخصر : البارد .
(*) الهداية : وحي الأربعين .

سحر الدنيا(*)

سحر دنياك ياأخيَّ قديم   سوف يبقى ، ويذهب الكهان
أفيمضي بسحرها كاهنٌ ما   ت وفيها الشموس والأغصان ؟
أفيمضي بسحرها كاهن ما   ت وفيها الثغور والأجفان ؟
أفيمضي بسحرها كاهن ما   ت وفيها الألحان والألوان ؟
كاهن الأولين أول سحر   ، وفي كل حقبة ترجمان
سحر دنياك دائم حيثما دا   م عليها الإنشاد والتبيان
سحر دنياك دائم حيثما دا   مت عليها الحياة والإنسان

* * *

فلسفة حياة(*)

الغرام المِلْك ، والملكُ الضياع   هات لي الحسن الذي ليس يضيع
ليلة قمراء ، أو سحرَ سماع   أو قصيدًا راق ، أو زهر ربيع
قال قومٌ زينةُ الدنيا خداع   قلت خيرٌ ! بالذي نشرى نبيع

* * *

زاهد الهند نعى الدنيا وصام   أنا أنعاها ولكن لا أصوم !
طامع الغرب رعى الدنيا وهام   أنا أرعاها ، ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حدٌّ قوام   ولْنُلَمْ من كل حزب من يلوم

* * *

أيها السائل : ما بعد الممات ؟   عم الصحراء وانظر قفرها
ماوراء القبر في قول الثقاةْ   حالة نحمد يومًا سرها
لستَ بالراضي حياةً كالحياة   لا ولا ترضى حياةً غيرها

* * *

(*) سحر الدنيا : وحي الأربعين .   (*) فلسفة حياة : وحي الأربعين .

يغضبُ الأقوامَ مايخشونه | وأنا أغضب مما لست أخاف
ليس ينسى الله من ينسونه | فعلام البحث فيه والخلاف
إن وصلتم أو وقفتم دونه | لم يقف دون مقام أو مطاف

* * *

شرعُك الحسنُ فما لايحسن | فهو لا يحلو ، وإن حلّ الحرام
ليس في الحق أثامٌ بيِّنٌ | غير مسخ الحسن أو نقص التمام
فإذا عبتم هذين مما يمكن | فاستبيحوه ، على الدنيا السلام

* * *

إنذار الغضب
إلى الحق المحتجب (*)

ياحقُّ لا تبرح خباءكْ | أتعبتنا سعيًا وراءك
فسئمنا الإباء ؟ ولم تكن | يا حق إلا أصدقاءك
فالزم مكانك في الثرى | إن شئت ، أو فالزم سماءك
ما الروضة الغناء ذا | بلةٌ إذا حُرمتْ ضياءك
والناس لا يجفوننا | يومًا ، إذا علموا جفاءك
والحسن عند المبطلـ | ـين ، وعند من يهوى عداءك
ما فاز من يرجو رجا | ئك في الحياة ولا نساءك
أنا إن سلوتك لم أكد | أشتاق ما يغني غناءك
ياحق هذا حدُّنا | فاختر ظهورك أو خفاءك
إن جئتنا طوعا فجئْ | أوْ لا فلا تبرح خباءك !

* * *

(*) إنذار الغضب : وحي الأربعين .

كل ما فيها امرأة (*)

أيتها النطفة [illegible] | [illegible] فم المرأة امرأة
تبتغي الزوج من فئة | والأخلاء من فئة
ليس بالجسم وحده | يعرف «الجنس» منشأه

* * *

المعروف والمنكر (*)

كل ما تصنع الحياة يُرجّى | من بنيها قبوله واعتقاده
فإذا أنكروا قبيحًا فللقبـ | ـح من الموت لونه أو شعاره
ذاك لب اللباب في كل شيء ، | شطَّ بالفكر أو تدانى مزاره

* * *

حكمة التوائم (*)

حكمة قالها التوائم | ومن آبائه أحزم
تهذيب أحدهم فردًا | فجاء بصاحب مُلزم !
ولو حفظا بجيش كا | ن في تدبيره أحكم !

* * *

(*) كل ما فيها امرأة : «الخنس» عابر سبيل ص ١٠٨ .
(*) المعروف والمنكر : وحي الأربعين .
(*) حكمة التوائم : وحي الأربعين .

على بحر الحياة (*)

نُسِّيَ نظرة الآباد والمثل الأعلى   إلى اليوم بعد اليوم والنظرة العجلى ؟
لقد كانت الأجيال عندي قريبة   فقد عادت الساعات توسعني ثقلا
نظرتُ إلى عُليا الحياة أرودها   فألفيتها صفرًا ، ولم أحمد السفلى
تلبثت أقصيها كمن راح طافيًا   على اليمّ ، لم يضرب يدًا فيه أو رجلا
فإن شئتَ قلْ هذا غريق وإن تشأ   فقل سابحٌ لم يدر أقبل أو ولّى

* * *

نقصة في نعمة (*)

نعمة الإحساس ما برحت   نعمةً في طيها نقمُ
لا يحس الفقدَ فاقدها   ويصيب الواجد الألمُ

* * *

رعونة الحياة (*)

قسيم اقتحام جنين واهن عُطُل   أرضًا أبوه بها حيرانُ مهموم
هي الرعونة في طبع الحياة ثوتْ   وإنما حكمة الأقوام تعليمُ

* * *

(*) على بحر الحياة : وحى الأربعين .
(*) نقصة في نعمة : وحى الأربعين
(*) رعونة الحياة : وحى الأربعين .

بنية قوية (*)

تعاقب السوس والجراد وما   باد ربيع ولا انطوى شجر
فلا تخف آفة ولا غيرا   يُمنى بها في الضمائر البشر
دنياك هذي قوية صمدت   لكل شر جرى به القدر

* * *

ما فوق الحياة (*)

ياطالبًا فوق الحياة مدًى له   يعلو عليها - هل بلغتَ مداها ؟
ما في خيالك صورة تشتاقها   إلا وحولك لو نظرت تراها
ولو استويت على الخلود وجدتها   كفؤًا لعينك لا تروم سواها

* * *

على الشاطئ (*)

وردوا البحر فأهلاً   بهمُ - يا بحر - أهلا
أنت لا تغفل منهم   مَن ولّى أو من تولّى

* * *

نزلوا شطّك غيدًا   وشبابا ومشيبا
طلبوا في الماء بردا   فذكا الماء لهيبا

* * *

(*) بنية قوية : وحى الأربعين .
(*) ما فوق الحياة : وحى الأربعين .
(*) على الشاطئ : وحى الأربعين .

وزنوا السحر عطاءً   رشفوه . عشرفوه !
لو يكون السحر بحرًا   من سرور ترشفوه

* * *

المساكين يريدو   ن من الدنيا اتساعا
اخدعوها ، فهي لا تو   سعكم إلا خداعا

* * *

وإذا لاحت بوجه   يملأ الأبصار رعبا
فاضحكوا منها وقولوا   ما أخيْلى ما أحبّا !

* * *

وإذا مدت إليكم   بيد فيها الحمام
فخذوا الموت وقولوا   هو خُلدٌ وسلام !

* * *

نصف رغيف (*)

عجبي للحياة أشرف ما تحو   يه وقف على الحقير الطفيف
صفحات السماء والأرض طرًا   والمعاني من تالد وطريف
والوجوه التي تشوقك حسنا   تنطوي إن فقدت نصف رغيف

* * *

ذات وجوه (*)

وجوه حياتنا متعدداتٌ   ودع عنك البراقع والطلاء
فإن تحمد وسامتها صباحا   فقد تنعى دماتتها مساء

* * *

(*) نصف رغيف : وحي الأربعين .   (*) ذات وجوه : وحي الأربعين .

ضلال الخلود (*)

كان في الأرض قبل عشرين ألفا   من سني الأرض ، شاعرٌ عبقريٌ
كان ، لا شك فيه عندي ولا ريـ   ـب ، وإن شك جاحدٌ وغبيُ
نظم الشعر في الحسان وحيّى   قبلةَ الشمس وهو داعٍ شجيُ
ليت لي من قصيده بيت شعر   في ثنايا البلاد يرويه حيٌ
ليت لي من قصيده فردُ بيت   صح أم لم يصح منه الرويّ
أشتري بيته بديوان شعب   ين ، فأين المساوم الصيرفيّ ؟!
ضلةً للخلود نأسى عليه   أخلد الخالدين فينا دعيٌّ !

* * *

أصداء الشارع (*)

بنو جرجا ينادو   ن على تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يألو   ك تعسريبًا وتتريكا
وبتسراكي إلى الجو   د على الإسلام يدعوكا
وفي كيسه أوراق   بكسب المال تغريكا
وأقوام من البابا   ن بالفصحي تحييكا
وإن لا تكن الفصحى   فبالإيماء تغنيكا
قريبٌ كلها الدنيا   كرجع الصوت من فيكا
دعى الداعي فلبوه   طغاةٌ وصعاليكا
إذا ناديت يا دنيا   زُ من ذا لا يلبيكا ؟!
فما في الناس هاذاك   ولا في الأرض هاتيكا

(*) ضلال الخلود : وحي الأربعين .

(*) أصداء الشارع : عابر سبيل .

عصر السرعة (*)

طاروا وداروا مسرعين فى الثرى ... يركب منهم رأسه من ركبا
لو لم يكن هذا الزمان أقسة ... ما اتخذوا السرعة منه مهربا

* * *

عسكرى المرور (*)

مستحكمٌ فى الراكبين ... وصاله أبداً ركوبهْ
أبهم المشوبةُ من بنا ... نك ، حين تأمر ، والعقوبةْ
مر ما بذالك فى الطريق ... ورِّض على مهل شعوبهْ
أنا ثائر أبداً وما ... فى ثورتى أبداً صعوبه
أنا راكب رجلى فلا ... أسرٌ علىّ ولا ضريبه
وكذاك راكب رأسه ... فى هذه الدنيا العجيبه

* * *

الفنادق (*)

فنادقُ تشبه الدنيا لقاءً ... وتفرقةً ، وإنْ قصر المُقام
تقول لكل من وفدوا عليها ... بأن العيش نهب واغتنام
فمن تلقاه فى يوم صباحا ... تفارقه إذا جنّ الظلام
ورب عصبيةٍ فى الحب باتت ... وأقربُ من بدايتها الختام
تقول لقلبها ما الحب إلا ... أمانٌ حسبك يزدحم الزحام
فلا سر هنالك مستباحٌ ... ولا شوق هنالك أو غرام

(*) عصر السرعة : عابر سبيل . (*) عسكرى المرور : عابر سبيل . (*) الفنادق : عابر سبيل

منازلُ كل ما فيها انسجام ! ... منازل كل ما فيها انقسام !
وما افترقت شعوب الأرض يوما ... كما افترقوا ، إذا انصرفوا أو هاموا
ففيهم يافثٌ حيناً وشيثٌ ... وفيهم تارةً حامٌ وسامُ

* * *

المصرف (*) «البنك»

شبران من ذاك البناء
بينى وبين المال والدنيا العريضة والثراء
ليست بأقصى فى الرجاء
من حفرة المدفون فى شبرين فى جوف العراء
كلا ! ولا أدنى على قرب المزار لمن يشاء
أعرفت أماد السماء ؟!

* * *

فى سكتى أبداً وهما
من سكة أبدا إليه ولست ألغز عندما
أصف الطريق أو الحمى
أنظر بعينيك البناء سما وطال وأظلما
واسأل : أهذا مصرف ملأوا جوانبه دما ؟
تجدْ الصواب مجسما

* * *

فيه دم لا شك فيه
فى كل طرس أو كتاب أو سجل يحتويه
ودم المقتر والسفيه
يجرى هناك وأنت تحسبه من الورق الرفيه
نُغليه كالدم فى العروق سرى ، وكالدم نتقيه
وسل المدلس والنزيه !

* * *

(*) المصرف : عابر سبيل .

* * *

سلني فلم أك طالبـــا
ورقًا هنالك على الرفوف أنال منه جانبا
وأعـــد منه حاسبــا
ألا لأوراق أراها قارئا أو كاتبا
ولما تجيش به الخواطر حاضرا أو غائبا
ودع الحســـود الغاضبـــا

* * *

يارب .. وياخلق ! (*)

يـــارب !

يـــارب أعطيتـــاك أرواحنـــا   في هذه الحروب وفي الماضيـــةْ
يا ربنـا فـــاقض لنا مـــرةً   بالسلم في أيامنا البـــاقيـــة

ياخلـــق !

ياخلق مـــا أرواحكم سمحـــةٌ   عندي ، ولا إنْ سمحت كافيه
أعطيتمُ إبليس أضعـــافهـــا   من شهوات عندكم غاليـــه
وبعتمُ في ســـوقـــه كلَّ مـــا   وهبتكم من عيشة راضيـــه
لم تشتـــروا السلم بأرواحكم   بل اشتريتم نقمـــة ثانيـــه
عطاؤكم إبليس ســـمحٌ بلا   أجـــر ولا أمنيـــة خـــافيـــه
ومـــا بذلتم قط لي قـــربةً   إلا رجـــاء العفـــو والعـــافيـــه !

* * *

(*) يارب .. يا خلق ! : أعاصير مغرب .

بابل الساعة الثامنة (*)

(في بعض الأحياء يمنع الشرط نداء الباعة قبل الساعة الثامنة ، فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين حتى إذا وافت الساعة المحدودة اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع ، كلٌ وما يبيع ، وهي خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشباهه ، فهي بابل لا مراء !

قابلْ بين بابل هذه وبابل الفجر التي تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط ، ولكنها تنسجم في مسامع البشر باستئناف الحياة وعودة النور ، وإن هذه المقابلات جميعًا خليقة في الشعر ببعض الإصغاء) .

كم بابل في الساعة الثامنة   تثور في حلقتنا الســاكنةْ
خفيـــةَ الأصـــداء لا تنجلي   ولم تكن عجمـــاء أو واهنة
شـــتى فإن أفردتها لم تكد   تبين منهـــا لفظة بائنة
كـــأنما تصـــغي إلى راطن   يتمـــتم الأحـــرف أوراطنة
فلفظة ينطقهـــا دونهـــا   عشـــرون في حلقومه قاطنة
واسم يليه اسم ومـــاجَمَعتْ   قـــرينةٌ بينهمـــا قـــارنة
إن بعدت عن سامع أو دنت   لم تدنها أوصـــافها المائنة
البرتقـــال الحلو والفحم والا   طبـــاق والريحـــانة الفـــائتة
والبيض والأثواب والتبغ والأ   خـــشـــاب والزينة والزائنة
وأشربات العصر في حينها   مثلوجة إن شئت أو ساخنة
والناي والأرغن تتلوهمـــا   ربابةٌ كـــالهـــرة الداجنة

(*) بابل الساعة الثامنة . عابر سبيل .

ومن يناديها ويدعو بها … إليه ، في زوبعة زابنة[1]
مخلوطة ممزوجة كلها … معجونة في لفظها عاجنة
في بابل الساعة تلك التي … تسمعها لا بابل الحائنة
يحسبها الشرطي حتى إذا … حانت لديه الساعة الثامنة
أطلقها فانطلقت فجأة … على الحمى كالفارة الكامنة
تجد أقصى الجد لكنها … في السمع كالمجنونة الماجنة

* * *

إذا تمادى النوم بي ضحوة … أو أرقتني خطرة راتنة
أيقظني من بابلي هذه … نفير حرب في القرى الآمنة

* * *

عباد الطغيان (*)

كلكم . كلكم مع الغالب الظا … لم لا تعدموا من الظلم رغما
لو وقفتم يوما إلى جانب المغلو … ب ما فاز غالبٌ قطُّ ظلما

* * *

اعرف ما ترميه تعرف ما تجنيه (*)

تعلم كيف تستغنى … إذا ما شئت أن تغنى
فمن يجهل ما يلقى … فقد يجهل ما يجنى

* * *

(١) زابنة : دافعة .

(*) عباد الطغيان : أعاصير مغرب .

(*) اعرف ما ترميه : وحي الأربعين .

فصد ! (*)

قالوا هي الحرب فصدٌ … به الشفاء يُؤمَّل
قلنا : نعم . فصد عرق … حتى وإن شفاه دُمَّل !

* * *

الخلود المزدرَى (*)

نفوسٌ أعاف مقامي بها … أأخلد فيها ؟ لبئس الخلود !
وسجنٌ أعاف وجودي به … أليس كفيلا ببغض الوجود ؟
فدع عنك يا صاحبي خالد … يلذ وقل من مُرْزَإٍ لهم أو شهيد
فلا خير في عيشهم سرمدا … إذا سرمدوا في ضمير القرود
فرب خلود كقيد السجـ … ـين ونسيان قوم كفكّ القيود

* * *

الشعر (*)

إني ألوذ بشعري حين يطرقني … من الطوارق نُزَّالٌ وضيفان
والشعر من نفس الرحمن مقتبس … والشاعر الفذّ بين الناس رحمان
كأن من صور إسرافيل دعوته … لو يسمعُ الصورَ يوم البعث صفوان
يظل ينطف من ماء الحياة ندًى … على الجماد فيزكو فيه ريعان
فما يزال لرائيه وقائله … من الخلائق سُمَّار وخُلصان
يجني المودة مما لا حياة له … إذا جفاه من الأحياء خوّان

(*) فصد : أعاصير مغرب .

(*) الخلود المزدرى : أعاصير مغرب .

(*) الشعر : من قصيدة الحب الأول (جزء ١) ٣٧ (٢٠ فقرة ٥٤) .

ويحسب النجمَ الحافظا تساهره   والودقُ يبكيه دمع منه هتان
إذا تجهم وجهُ الناس ضاحكه   ثغرُ الورود ومال السرو والبان
لوملّ هاتفةَ الأصوات أسمعه   للريح والغاب أبواقٌ وعيدان
تُفتضي له ألسن الدنيا بما علمت   كأنما هو في الدنيا سليمان
لقد عبدتُ الأقانيم التي جمعت   ما فرقته أقانيم وصلبان
الحب والشعر ديني والحياة معا   : دين لعمرك لا تنفيه أديان
هي الحياة جنين الحب من قلم   لولا التجاذبُ ما ضمتك أكوان
والشعر ألسنةٌ تفضي الحياة بها   إلى الحياة بما يطويه كتمان
لولا القريض لكانت وهي فاتنة   خرساء ليس لها بالقول تبيان
ما دام في الكون ركنٌ للحياة يُرى   ففي صحائفه للشعر ديوان

* * *

سر في طريقك (*)

سر في طريقك بين اللائمين ولا   تحفل بمن جدّ في لوم ومن لعبا
فالناس يرضون عمن ليس يحفلهم   ويغضبون على من يحفل الغضبا

* * *

الخلاصة (*)

ليست خلاصةُ كل شيء غُنية   عنه ؛ وإن كانت خلاصة ماهر
فالشهد وهو خلاصة الأزهار لا   يغني العيون عن الربيع الزاهر

* * *

(*) سر في طريقك : وحي الأربعين
(*) الخلاصة : وحي الأربعين .

وصايا معكوسة (*)

من عمل بها فعليه وزرها ، ومن لم يعمل بها فأجره على الله

(إذا قال الرجل لرسوله : «اذهب إلى السوق فهات عنبا حامضا !» فليس معنى ذلك أنه يطلب العنب الحامض وإنما معناه أنه يأباه وينبه إلى اجتنابه ؛ وكذلك هذه الوصايا إنما هي وصايا أسف وتحذير وليست بوصايا رضا وترغيب .

والقصد منها أن تصف ما يقع أحيانا بين الناس ، وتنكر أن يشيع) :

الضعة والشرف (*)

وال المدنس بالعيوب ولا تكن   يوما وليًّا للنبيل الطاهر
فذوو المعائب لا تناحر بينهم   والنبل فيه سبيل كل تناحر
وذوو المعائب آمنون لمن وفى   والنبل ليس بآمن للغادر
وذوو المعائب ما لهم من حاصر   والنبل محصورٌ قليل الناصر
وذوو المعائب يستترون خلالهم   والنبل ما لهناته من ساتر
وذوو المعائب عذرهم في نقصهم   والنبل ما لكماله من عاذر
وذوو المعائب ينعمون بحظهم   والنبل ما لشقائه من آخر
ولرب رائع قسمات من ذي ذمة   يسعى إليك مع الخؤون الخافر
رأي السلامة إن أردت فخذ به   أو لا فدعه إن استطعت وخاطر

* * *

(*) وصايا معكوسة : وحي الأربعين
(*) الضعة والشرف : وحي الأربعين .

بمن تثق !؟ (*)

تفى بالرذيلة تلقــــيها ... فى كل حين حـــاضـــرةْ
إن الفـــضـــيلة قلّمـــا ... تلقـــاك إلا عـــابرة
حتى الأفـاضل عـرضةٌ ... لهـــوى الهنات البـــادرة
مـــاكل يوم يُرتجى ... عطفُ النفـــوس الطاهرة
ومـن الـنوادر أن ترى ... عند التـعطُّف قـــادرة
من لـم يـئر فـى دهـره ... دارت عليـــــه الدائرة

* * *

ومن تكون (*)

ومن لا تكون

كن بينهم « بوذا » فــإن لم تطقْ ... فكن كـتـيـــــور ونيـــرونا ..
أو عش مـعـــافىً بينهم لا ترى ... إصــلاحَــهم دنيـــا ولا دينا
قـد ضل من يطلب إصــلاحـهم ... لا غـرو أن سمـوه مـجنونا !
يأمنهم من قـــاتهم طائعًـــا ... أو ســاقـهم كـرهًا مطيـعـينا
أو راع منهم طالبًـــا نفـعــه ... لا عـــالـيًـــا يأبى ولا دونا
مـن هـان أو هـان الـورى عـنـده ... أو ســامـهم فى ظلمـه ا لُهـونا
أولـئـك الـرهـط الـذى لـم يـزل ... يأمن مـــا يخـشى النبيـــونا
يابؤس أرض لا ترى فـــوقـــها ... إلا طغــــاةً أو مـــرائيـنا

* * *

(*) من تثق : وحى الأربعين .
(*) من تكون : وحى الأربعين .

صور الرجاء (*)

أمسيت أذكر مامضى من صبوتى ... والذكر آمـال الزمـان الغـابر
قد ييأس الإنسان من عنده ولا ... تلقـاه ييأس من حنين الذاكـر
ماشئت من صور الرجاء فلُذْ به ... بعضُ الغـد الآتى كـأمس الدابر

* * *

قرش معقول (*)

إن أحبوا القرش لم يجدوا ... عـجـبـًا فى حبـه الخطر
فــإذا مــا الطفل هام به ... جـهـلوا طرفـة الـسـمـر
ياصحبى القـرش ويحكمُ ... هل سمعتم أصدق الخبر ؟
هل علمـتم فى طرائفكم ... أى قـرش بالهـيـام حَـرِ ؟
ذاك قرش الطفل تضحك من ... حـبـه إياه فى الصـغـر
وهو أولى من قـروشكم ... كلهـا بالحب والسـهـر
هو « حـقٌ » عنده جـلل ... حـاضـر الميـعـاد والأثر
ثمن الحلوى يلذ بهـــا ... وجـمـال الحسن والنظر
وأثمان الملاعب لم ... تخل من نفع ومن ثمـر
وهمو وهمٌ فى خـزائنكم ... وخـيـال كـاذب الوطر
وسجين ثم مدخـر ... لرجـاء غـيـر مـدخـر
لا تعيبوا الطفل وانتفعوا ... منه بالآيات والعـبـر
أنـه حـيـاة الخق ناضـرة ... فاقطفوا من غصنها النضر

* * *

(*) صور الرجاء : وحى الأربعين .
(*) قرش معقول : عابر سبيل .

جلال الموت (*)

[illegible] صادقا ... جـــلالة حق لا جـــلالة باطل
[illegible] كـاذب ... لمدحـة [illegible] سـافل

* * *

عصر السرعة (*)

- ١ -

[illegible] الــسـذرى ... هام فى الـــسـهـــول
[illegible] الخطى ... حـيـث شــمــا يجـــول
[illegible] ... عـــــدوة الـوعـــول
[illegible] سطا ... سطوة الـــسـيـــول
[illegible] ... يـشـــبـــه الـنـزول
[illegible] ... فـــر المـلـــول
[illegible] الأ ... ثم الخــجـــول
[illegible] الـ ... ـــــعى والـوصل ؟

* * *

التقديس (*)

[illegible] ... حىٌ ، وإن قـدّس جـسما
[illegible] ... ىٌ ، وإن كـان «برهما »
[illegible] ... لا بما قـدست تُـسمى

(*) عصر السرعة : عابر سبيل .

السرور (*)

منع الـسرورَ حـذار قلبى قـبله ... ألا يتمّ ، وبعـده التنغيـصا
ويزيدنى كَلَفـا به وضنانةً ... ألا يبـاح - إذا أبيح - رخـيصا

* * *

حكمة الجهل (*)

ألم أقل لك مـهـلا ... فـالناس لؤم وشــر
لا تولهم منك عطفا ... فـهم من العطف صفر
لو كنت تعلم علمى ... لما أصـابك ضـر

نعم نعم . قلت هذا ... إنى بذلك مقـر
وأنـتَ عندى طفلٌ ... وأنت عندى غـر
ومـا لقـولك وزن ... وما لنصـحك شكر
أنفقت عطفك قبلى ... وذاك ياصـاح فقـر
كم حكمـةٌ هى جهل ... وغـفلة هى فـخـر

* * *

الحكمة الصادقة

[illegible]ـة قد تناقضت ، ... هذه أصـــدق الحكم
[illegible]ـيس للعلم من ثمـ ... ـم إذا الجـهل قـيل ثم
فـاغـتنم منه ما بدا ... وانتظم منه ما انتظم

(*) السرور : هدية الكروان

(*) حكمة الجهل : عابر سبيل .

صفات وأشياءُ

فُرضة البحر(*)

مَطلبُ السُّفين وقِبلةَ الربانِ   ياليت نوركِ نافعٌ وجداني
يُزْجي منارُكِ بالضياءِ كأنه   أرقٌ يقلِّب مُقلتي ولهانِ
وعلى الخِضمِّ مطارحٌ من وَمضِه   تسري مُدَلَّهةً بغير عِنانِ
كمطارح الأفكار في لُجج على   لجج من الشُّبهات والأشجانِ
تخفي وتظهر وهي في ظلماتها   بابُ النجاة وموئلُ الحيرانِ

* * *

أمسيتِ أحداقُ السفائنِ شُرَّعٌ   صورٌ إليكِ من البحار رَوانِ
كالبيت يجمع بعد تشتيت النوى   شملَ الأحبَّة فيه والإخوانِ
جودي(1) كلُّ سفينة لم ينتها   نوح ولم تخسر على الطوفانِ
فيها التقى برٌ وبحرٌ ، واستوى   شرقٌ وغربٌ ، ليس يستويانِ
بسطت ذراعيها تودِّع راحلاً   عنها وتحفل بالنزيل الداني
زُمَر توافت للفراق فقاصد   وطنًا ، ومغترب عن الأوطانِ
متجاوري الأجساد مفترقي الهوى   متبايني اللهجات والألوانِ
فانظر إلى تلك الوجوه فإنها   شتى ديار جُمِّعت بمكانِ
في فرضةٍ متقاصرٍ عن متنها   موجٌ أشمُّ أحمُّ(2) ليس بوانِ
موجٌ يطيفُ بها وقد ران الكرى   فيها طواف الضيغم الغرثانِ(3)
ألقيتِ مراسيَها السفائنُ عندها   وتحصنت منها بدار أمانِ
فكأن ضوء منارها نار القِرى   لو كان يُبعث ميِّت النيرانِ !

* * *

(*) فرضة البحر : الجزء الأول .

(1) الجودي : هو الجبل الذي قيل إن سفينة نوح رست عليه آخر المطاف – والمعنى أن الفرضة كالجودي تنتهي إليها رحلة كل سفينة

(2) أحم : أسود .   (3) الغرثان : الجوعان .

الخريف (*)

[illegible] في [illegible] ... طيرٌ سرت في مستهل ربيع
[illegible] في [illegible] ... صافي السراة(١) على الفنا مرفوع
[illegible] ... كالرغو بين مُصفّق وجميع
[illegible] الرياح [illegible] ... أوساطها بالفتق والترقيع
[illegible] الأزال [illegible] ... كالعاشقين هنيهة التوديع
[illegible] في [illegible] ... يشجوك منه ترنُّم المفجوع
[illegible] الشمس [illegible] ... وطفاة جللها البكى بدموع
[illegible] في [illegible] ... ضحكت الفسيرة في عناق خليع
[illegible] الخريف [illegible] ... أبصرت نظرة ريبة وخشوع
[illegible] يخرس [illegible] ... أثناء شيب في الشباب سريع

* * *

أنس الوجود (*)

[illegible] صورتها [illegible] ... وطلسمها الواقى ، وآيتها الكبرى
[illegible] من رجال [illegible] ... تماثيل لاتمحى الصناعة والذكرى
[illegible] ... وخلّد فى أرجائها ذلك القصرا!
[illegible] ... جبال على الشطين شامخة كبرا
[illegible] ... فريدًا عن العمران ، مستوحشًا قفرا

[illegible]

بأسوان مرصودًا وهل يُعبد الضحى ... بأظهر منها للضحى كيف شئتما ؟
بلاد أدار الله حول ربوعها ... نطاقًا وأجلى عن مطالعها السمرا
بنو الشمس أهلوها إذا اشتد قيظها ... وجاش على الصحراء فاتقدت جمرا
بفرص كأفواه البراكين قاذف ... شآبيب ما زحيا وما أقتل القطرا
لقد نفثت فينا الحياة ضرامُها ... فأتفنا من حرها شعلة حرّى
درجنا بحيث الدارجون عروشهم ... قيام تناجى فى سكينتها الدهرا
تلوح على تلك الرمال كأنها ... خُطى الزمن الوثاب تاركة إثرا

* * *

عبرنا إليه النهر ليلا كأننا ... عبرنا من الماضي إلى الضفة الأخرى
قضى نحبهُ فيه الزمان الذى مضى ... فكان له رمسًا وكان له قبرا
وأشهدنا منه شخوصًا كأنها ... تماثيل ترجو كاهنا يطلق السحرا
فيخفق ذاك القلب بعد سكونه ... ويُرسلها من أهوائه ذلك الصدرا!
ولما رأوها يشبه الخلق صنعها ... تغالوا فقالوا الأنس قد مسخت صخرا
لقد أكبروا إلا على الله صنعها ... فقالوا براها ، ثم أصمتها قهرا

* * *

السماء (*)

يا للسماء البرزة(١) المحجوبة ... أعجب ما أبصرت من أعجوبة
ترفعها أجسامها المشبوبة ... تهولنا فتُشبهها المضروبة
كأنها الهاوية المقلوبة ... كأنها الجمجمة المنخوبة

* * *

(*) السماء : جزء أول .

(١) البرزة : البارزة الحسنة .

وقفة في الصحراء (*)

مقصابك أم هذى أواذيُّ عيلم[1] ؟ … وهل فيك من وِرد لغير المتوهم !
تخايلت كالدنيا وأقفرت مثلها … فلا تخدعيني ، إنني لست بالظمى
أيا ربة الآل المخلوب وإنما … إلى الآل[2] ركب الناس جمعاً فاعلمى
خلوت فلا آثارٌ حيٌّ ثوابتٌ … عليك ولا آثار ميت معظَّم
تنا بلك عن حال العمار وضده … شماسٌ ، فلم تبنى ، ولم تتهدمى
تشابهت الأيام فيك فلم يكن … إلى السعد يومٌ أو إلى النحس ينتمى
صحارى من الدهر الفسيح جديدةٌ … كعهدك لم تعبس ولم تتبسم[3]
نفسيك وإن طال الزمان غوارب … على الناس أخفى من غوارب أنجم
أضاءت عليها النيرات ولم تزل … هنالك في ليل من الغيب أبهم
إلى أى ركن فيك يلجأ هارب … وفى أى ظل من ظلالك يحتمى
تسدين أرجاء السماء بحاصب … من النار موّار العجاجة مظلم
تُوُر كأمواج الدخان تطلعت … إلى علو[4] من قاصى قرار جهنم
إذا ما رآها الوحش ولى كأنها … من النقع تجلى عن خميس عرمرم
يلوذ ببطن الأرض والأرض جمرة … خياشيمه م القيظ يفضضن بالدم
ويذهل حتى يفلت الليث صيده … ولا تفرق الغزلان من ناب ضيغم
وساكنها الوحش إلا لأنها … أحب إليها من جوار ابن آدم

* * *

(*) وقفة في الصحراء : جزء أول .
(١) أواذى عيلم : أمواج بحر . (٢) الآل : السراب .
(٣) الزمان في الصحراء كالمكان صحراء لامعالم لها .
(٤) علو : أى السماء .

السينماتوجراف (*)

يريك ماذا في ستائرك الطُّلس[1] … الأشباح جرّ [illegible] تطهير [illegible]
إذا لم تكن جنًّا فماني عهدتها … تفسر فوار الجن [illegible]
ستور ولكن يُكشف النور عندها … فنونًا من الأسرار [illegible]
كأني أرى فيها قريحة شاعر … مصورة لقدر [illegible]
وكالعين إلا أنها تمسك الرؤى … وترسلها [illegible]
تردُّ تماثيل القبور كواسيًا … وتبعث أشخاص [illegible]
وتحمدها عين الغريب لأنها … تنوب بها [illegible]
تميط عن الطرف الحجاب كما رأى … نبيُّ الهدى [illegible] القدس
وكم معجزات للصناعة بيننا … يجيء بها [illegible] والدرس

* * *

الشتاء في أسوان (*)

أتى الربيع على البشير … كانون [illegible]
أسوان تزهو حين يأ … [illegible] كل [illegible]
في كل مسرباة[1] بها … نور تألق [illegible]
بلد تجود له الطبيعة … [illegible] بالصغير [illegible]
لا تستحث شموسه … إلا على [illegible]
نسمائه برء العليل … [illegible] وماؤه [illegible]
ما طب جالينوس قبـ … ـل بطبه إلا [illegible]

(*) السينماتوجراف : جزء أول .
(١) الأطلس : الأغبر إلى سواد ، وعوالق الصور على اللوحة قبل التلوين .
(*) الشتاء في أسوان : جزء أول .
(١) مرباة : مكان مرتفع .

أبدًا غـــــوط بـه وذا – ئعـهـا بسور خلف سـور
من كل شـامخـة كـأنْ – قـلالـهـا عـمـد الدهور
حـصن تـهـاب ظروفـه الأ – قـيـات طرًا والشـرور

* * *

يولون أقــفـر غـابهـا – من كل مـخـتـال فـخـور
سرحت صـوادحـهـا وأطلـ – ق وُرقـه الأيك الغـضـير
يلتقطن حـبـات القلو – ب من الجـوانـح والصـدور
الفـاتنات تكاد إحـ – ـداهن من حـسـن تثـير
الناهدات كـمـا ترى الأ – هرام فى الرسم الصـغـيـر
العـبـهـريات الشذى – الكوثريات الثـغـور
السود فى وجـنـاتـهـنّ – يضـوع فى كل الشـهـور
المرسـلات الشـعـر كـالز – رياب[1] مـصـغـرًا غـزير
مـتـمـنطقـات بالدمـقـ – ـس مـزوّرات بالحـرير
من كل قـاع جـؤذر[2] – تلقـاه أو ظبى غـرير
مـثل الشـمـوس برزن لالا – كـوان من فـجـر الشـعـور
داراتـهـن مـطـالـع – لـم تدر مـا نور البـدور
فـيـهن مـعـتـرك الغـرا – م ومـعـرض الحـسن الطرير
الحـور هنّ خلقن للـ – ـفـردوس لا للزمـهـرير

* * *

الماء فـاض على الجـنا – دل والسـواحل والجـسـور
خلجـانه تنساب كـالـ – ـحـيات مـا بين الصـخـور
مـتـسـابقـات كـالسـوا – بق فى مـجـال مـسـتـدير
والنيل مـصطفق كـمـن – قـد هزه فـرط السـرور
مـتـدفّـق الأمـواج تر – قص وفق توقـيـع الخـرير
وترى الزوارق كـالنسـوا – شق حـوتًا أو كـالنسـور
قـد حـار فـيـهـا العنصرا – ن الريح والماء القـدير

[1] الزرياب : الذهب أو ماؤه .
[2] الجؤذر : الظبى الصغير .

والشـمس شـاخـصـة تكا – د تلوحُ من جهـد المسير
فـضـفـاضـة الأذيال تخـ – ـطر كـالعروس الى السـرير
وكـأنهـا فـوق الذرى – فـوق الجـزائر والبـحـور
حـسـنـاء ترقب قـادمًـا – فى الليل من أعلى القصور
وعلى الروابى والهـضـا – ب بكل مسحة الشفق الأخير
تبدو كـمـا نصل[1] الخضـا – ب بعـارض الشيخ الوقور
مـا كـان أول مـغـرب – شـهـدت على مر العصور

* * *

كـم آيـة فـى الكـون أخـ – ـفى من خـفـيات الضمير
من لا يرى إلا العـيـا – ن فـمـا يرى إلا يسير

* * *

ليلة الأربعاء (*)

شفّ لطفًا عـمـا وراء السمـاء – نور بدر مـسـتـفـيض اللألاء
رق سجف السماء حتى كـأن الـ – ـعين تتلو هناك سرّ القـضـاء
وسرى الطرف فى الفضاء فما يثـ – ـنيه ثان عن خوض ذاك الفضاء
وربا النور كـالعـبـاب فـمـا فى الـ – ـكون غـيـر الظلال من ظلمـاء
تلك أولى لوائح الصـيـف والصـيـ – ـفُ بهـيـجٌ فى الليلة القـمـراء
يمنُ الله سـعـيـه عن رسـولى – يطرق الأرض وافـدًا من ذُكـاء[2]
غـوان الأرض فـهى تلبس فـيـه – كلّ عـام مطارف الأضـواء
أضرم الجـوّ بالمشـاعل كـالظا – فـر يعـدو فى إثر جند الشتـاء
ونهضنا للّهـو فى دار ذى القـر – بين بين الصحـاب والقـرناء
بلد مـا تحـجّب الجـو إلا – ناب عنه الصـفـاء فى الدأمـاء
كلّ من ينتحى حمـاه غـريب – عنه حـتى مـا فـيـه من غـرباء
تكشف الشمس ثمّ مـا يضمر اليمّ – كـعين النجوم النجـلاء

[1] نصل الخضاب : زال .
[2] ذكاء : أى الشمس .

(*) ليلة الأربعاء : جزء أول . ٨٠ (٧٥ فقرة ٧٧)

فيعلو اليمَّ للمطيفين سرٌّ   كاشفٌ عن سرائر الأنباء

* * *

ليلةَ الأربعاء بالله عودي   وأعيدي يا ليلة الأربعاء
ليلةٌ أرسل الزمان بها عفـ   ـوًا فجاءت كحكمة البلهاء
قد نسينا الصباح حتى ذكرنا   بنور من بدرها الوضاء
فوصلنا مساءها بصباح   ووصلنا صباحها بمساء

. . . .

خير ما في الحياة يا قلب ما أنـ   ـساك ذكر الحياة والأحياء
بيد أن النفوس تصبو إلى الذكـ   ـر وإن كان فيه بعض العناء

* * *

. . . .

نسج الفجر للنجوم الدراري   برقعًا حيك من شعاع الضياء
وكأن النسيم همهوم الليـ   ـل والليل مؤذن بانقضاء
همساتُ العواد حول حبيب   بات لم يبق منه غير الذماء [1]
وترى السحر لو توسد النا   ـم لم ينتبه من الإغفاء
في سكون كأنه نفس الحا   لم أو خفق طائر في الهواء
وكأن الخرير صوت يناجي الغيـ   ـب حتى لهمّ بالإصغاء
فبعثت الأرواح سرًّا كروح الله   قد تغشّا ترف فوق الماء

* * *

الورد (*)

أرج الورد عازفة النفوس   وأشرق نجمه بعد الخنوس
وحسن هاتف الأطيار لما   جلا البستان عن خدر العروس
وأشرقت الرياض على الروابي   مكللة المفارق والرؤوس
سرى [illegible] طف بالروض تخطر   غصون الورد مترعة الكؤوس
بقية ثمالة [3] لم يودعوها   من الأقداح كرم الخندريس

(1) [illegible] ـقية الروح
(٢) [illegible] أي بعيدة .
(*) الورد : الجزء الأول .
(٣) ثمالة : في الكأس أي بقية .

تبسّم في خمائله [1] النشاوى   فأضحكت عبرة الزمن العبوس
تخيّل ناطقًا لولا حياء   تناه عن محاسة الجليس

. . . .

أطل من الرغام كأن روحًا   تنادي النار من خلف الرموس

. . . .

مجامر للطبيعة أججتها   وخصتها بقربان الشموس
تلبيها إذا نشرت شذاها   عذارى الأفنان أرواح الأنيس
كما لبى بخور السحر حور   من الجنان في فيئة الحبيس
جنى الفردوس إلا أن فيه   ذكاء النار في خمر القسيس
يكاد يبث حوليه ضياء   كما يبثه نيران الوطيس [2]

* * *

. . . .

لو انا قادرون لما هفونا   إلى غير المحاسن والطروس
ولولا الدهر بالإنسان يلهو   ويبلو القلب بالعرض الخسيس
لنا ألهيناه عن آس وورد   بحبات من البُسْر [3] الدريس

* * *

حديقة البرتقال (*)

أجبْ به من منظر سَرِيّ [4]   ومن نبتات طيب ذكيّ
مشتمل الخضرة فردوسي   نُزِّه عن تصوّح [5] وعُري
جنانه تثني على الوسمي   بالبرتقال الواضح الروي
كالسرج الذكاة بالعشي   تستقبل الفصل إذ تحيي
صفوفه بألف كوكب دُرّي   كالشمس في جلبابها العبقري
يبهجنا على غصن زمرّدي   من بارز وضامر خفي
وساجد في الأرض كالقسي   مكلل بطلعه مستحي
كأنه جلاجل الحليّ   يأخذ عين المبصر الذكي
أخذ الحلي عقلة الغوي   على تحوز البيض والشادي

(١) جمع خميلة : وهي الشجر الملتف .
(*) حديقة البرتقال : جزء أول .
(٢) الوطيس : الفرن .
(٤) سري : فاخر .
(٣) البر : القمح .
(٥) التصوح : الذبول .

أغلى لدى الشاعر والصبي ... من كنز قارون ، وكل شيّ
فاعجب لهذا الصائغ الغني ... صائغ هذا الشمر الجني
من نفس حسام ومن طمي ... وصابغ الطلع بألف زي

ومخرج الحي بغير الحي

* * *

منظر (*)

الروض جم العبير ... والليل شفّ الستور
والدر ينثر نوراً ... كأنه نصف نور!
كأنما الكون يبدو ... من خلف ستر وثير
كأنه ظلّ كون ... مغيّب في الدهور

* * *

قدوم الشتاء (*)

تسير الكواكب سير الحذرْ ... ويرجف في الجو نور القمرْ
وللشمس مشية مستكره ... يساق إلى منظر لا يسرّ
ونهر كمرآة مهجورة ... على وجهها من جواها أثر
وللروض زهرٌ به طالح ... تقلّب في الأرض كالمحتضر
ونادى المنادي بركب الطيو ... ر : هيا فقد حان وقت السفر
فهذا يحوم على وكره ... وهذا يصيح ولمّا يطر
ألا ما لهذا الضحى كاسفًا ... كأن الأصيل عليه انتشر
وما للرياح بأعلى الشجرْ ... نعج كموج خضم زخر
تنام العيون ويعلو لها ... نشيجٌ إذا الليل أغضى ظهر[1]
تحطّم أعوادها العاريا ... ت تحطيمَ ذي جنة منذعر
فيا ويل من بات في ليله ... يجاوبها بالبكى والسهر

(*) منظر : جزء أول .

(*) قدوم الشتاء : جزء أول ١٠٦ (١٠٩ فقرة ٩٣) .

(١) أي يكاد يظهر إذا اختفى الليل

النهر النائم (*)

تمهلْ يا نسيم ولا تكلّمْ ... نعاس النهر بالهمس الضعيف
وقرّي يا طيور على الخوافي ... وكفي يا غصون عن الحفيف
لعل النهر ينطق وهو غاف ... بسر فيه أو حلم لطيف
ويحكي طيف هاتيك الليالي ... ليالي الوصل في عهد الخريف

* * *

ياقمر (*)

فضضْ الماء ياقمرْ ... وانقش النور في الحجرْ
وانظم الغصنَ بالندى ... والثم الزهر في الشجر
واجعل الكون ضاحكا ... عن سماء من الغُرر
وأملك الليل مفرداً ... ودع الشمس في البُكر

* * *

في مجاليك راحةٌ ... راحةُ النوم والسهر
في لياليك بهجةٌ ... بهجة الفكر والنظر
ليس كالليل في الظلا ... م ولا الصبح في الكدر
أنت كالطيف والدجى ... ناعس الطرف ياقمر

* * *

شاهد الليل لا تُجِمْ ... وانس ماشئت من ذِكَر
قد تناسيت ما مضى ... ولنا اليوم ما حضر
من يذق لذة الهوى ... يسل لذاته الأخر

* * *

(*) النهر النائم : جزء أول .

(*) ياقمر : جزء أول .

النرجيلة (*)

منْ نرجيلةٌ يضاحكني منـ ـها خرير كجدول البستان
نتَ أنبوبة كحية حوا ءَ بقيها تفاحة الحرمان !
دِ بين الضلوع ناراً أوار يها فأخفي زفيرها في الدخان

* * *

القمراء (**)

كلما أشرق في الليل القمرْ
ومشى الناس ولاذوا بالحُجَرْ
خلتُ أرواحا تداعت للسمر
زُمَرا تهمس من حول زمرْ
إن هذا الحسن لا يمضي هدرْ
حيثما أسفر نور وانتشرْ
وحلا في خلوة الليل السهرْ
فهنا لا ريب جنٌ وبشرْ
شبهُ المسحور يقفو من سحر

* * *

(*) [illegible] (الزهر المعروفة بالشيشة) .
(**) [illegible] : [illegible]

يوم شتاء (*)

يومُ بيتٍ لا يوم خوضٍ الأياجي فارغٌ ما بين صفحة وسراج
وجمالٍ من النفوسِ يُناجَي في أسارير وجهه ويناجي
مستهلّينِ والطبيعة غضبى وكلانا من هونها الصعب ناج
تتحدى الرياح والليل والأهوا ل طرًّا بصفحة من زجاج !
فإذا مايروع منها ويضني نتلقاه ههنا بابتهاج
كالذي يشهد الكوارث فنًّا من فنون التمثيل والإخراج

* * *

زهرة القرنفل (*)

تعشّقتُ من زهر القرنفل لونه ونشرًا كريح البابلية[1] زاكيا
تقسّم نور الشمس أحمر قانيا وأصفر وضّاحا وأخضر زاهيا
ونازع محزون البنفسج لونه وحاك له ثوبًا من الجو صافيا
كواعبُ أترابٌ تقاربن صورةً وسيمةَ حسن واختلفن كواسيا
وأسمع منه حين أقبس ضوءه وأنشق رياه فأنصت واعيا :
«تشاغلْ بما يجلو العيون وغمضها سرائر دنيانا ، وإن كنت رائيا
وسيان تحديق العيون وغمضها إذا كان ماترتاده العين خافيا
فحسبك منها زينة تبهر النهى فغير قليل ماترى النفسُ باديا»

* * *

(*) يوم شتاء : هدية الكروان .
(*) زهرة القرنفل : جزء أول .
(1) البابلية : أي الخمر .

الجسم الخجل (*)

أرى فى البحر أجساما تُشعُّ ... عليها من حياء الحسن درعُ
إذا ما الماء جمّشها تراءى ... لها خجل على الأعطاف بدعُ
وما خجل الخدود وذاك جسمٌ ... سَنَى الخجل المورَّد فيه طبعُ ؟

* * *

ليالى رأس البر (*)

مناظرُ من سحر الجمال أراها ... ولولا سناها قلت : كنت أراها !
تلوح كذكرى حالم يستعيدها ... لعمق معانيها وبعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابهٌ ... وفيها من السلوى جميل رضاها
ليالى برأس البر تَنْدَى وداعةً ... ورقةَ شجان ، وطاب نداها
وداعة ذات الدلّ شاب فؤادها ... شوائب من هجر ، فراض صباباها

* * *

ليالى برأس البر طالب نداها ... وشقّتْ دياجيها ورقّ سناها
هنا النيل ساج طال فى الدهر سيرُه ... وطالت مرامى نبعه فسلاها
هنا البحر ثوّار الدهور على الكرى ... ويطغى فلايحمى النفوسَ كراها
إذا استرسلت أصداؤه فى اطّرادها ... ترسلت الأحلامُ ملء مناها
هنا علم السلوى ، هنا العالم الذى ... تحس الليالى فيه همسَ خطاها
هنا العالم المشهود ذكرى قديمةٌ ... وذكراك دنيا لاتزال تراها
فلولا حياتى فى عروقى أحسُّها ... لقلت نسيم العابرين طواها

* * *

(*) الجسم الخجل : وحى الأربعين
(*) ليالى رأس البر : مدينة الكروان .

جمالكَ – رأس البر – وفى زى ناسك ... إذا ضاحك العينَ الضحوكَ شجاها
ليالِيك-رأس البر- فى صومعاتها ... مناسك صلّت فى الظلام هداها
صحابك-رأس البر- أطيافُ نائم ... تساوى لديها صبحها ودجاها
عناها الذى يعنى النيامَ من الرؤى ... ولم أر جهدا فى الحياة عناها

* * *

حياتك-رأس البر - طفل مُجدِّد ... سقته ثدىُّ الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفةَ الخلد كلما ... فنينا ، وكم تُفنى الجسومَ لُهاها
بحسبى من أبناء آدم إن صفا ... لنا العيش يومًا ، أن تكفّ أذاها

* * *

أغانى (*)

فى الهوى قلبى ... زورق يجرى
أين يمضى بى ... نهره الخمرى
ليتنى أدرى !

* * *

ليتنى مجرى ... يا أبا الأنهار
مثلما تسرى ... فى حمى الأقدار
حولك الأزهار

* * *

حولك الصفصاف ... مسبل الشعر
ناعس الأطياف ... سابح الفكر
فى الهوى السحرى

* * *

(*) أغانى : عابر سبيل .

يانوباض النيل   علمني قلبي
فرحة التهليل   عشت للحب
يامنى الصب

* * *

قال لى قلبى   والهوى يرعاه
هو فى قربى   ما الذى أخشاه
عند ما ألقاه

* * *

الشتاء والربيع (*)

كل باد يريد أن يتوارى   فى الشتاء المغلّف المسدود
كل خاف يريد أن يتجلى   فى الربيع المزخرف المشهود
هات لى العالم الصريح ودعنا   من حياة خجلى ، وطبع برود

* * *

فى القمر (*)

فى الليلة القمراء ، ما أحلى النظر!   لكل شىء لاح فى ضوء القمر
حتى الثرى ، حتى الحصى ، حتى الحجر

* * *

ليست من الآجرّ هاتيك البنى   لا بل خيال من ظلام وسنى
كخيله الأشكال فى السحب لنا

* * *

(*) الشتاء والربيع : عابر سبيل .   (*) فى القمر : عابر سبيل .

أكاد عند رؤيتى [illegible]   أرسل عينى لما وراءها
[illegible] فضاءها

* * *

قد شفت بالصخرة [illegible]   فكيف بالنفس وكيف بالحجى
[illegible] مسرجا

* * *

العيش جميل (*)

صفحة [illegible]   شاء كما شاء الصقيل
لعبة الشمس [illegible]   [illegible] خليل
رجفة [illegible]   [illegible] الشوق الدخيل
حيث [illegible]   وعلى البعد نخيل
قل ولا تحفل [illegible]   إنما العيش جميل

* * *

القمر والظلام (*)

لا أرى القمراء فى حسنها   على الدجى ، والطرف فيه يحوم
[illegible] يا بدر يرينى الشجر   وظلمة الليل تريني النجوم

* * *

(*) العيش جميل : عابر سبيل .
(*) القمراء : الأعاصير ، ص ٥٠ وعنوان [illegible] والظلام (أعاصير مغرب ١٢٥) .

صداح الأثير (١)

مـلأ الآفـاق صـداح الأثـيـر ... لا فـضـاء اليوم ، بل صوت ونور
لك من كل فـضـاء شـاسـع ... حيثما يممت ، داع وبشير
ما استفاد الجو إن فتشته ... غير أصداء حواليك تمور
جُبٌ لكنه مستأذن ... يطرق السمع بسلطان قدير
أو هي الأرواح إن قلت احضري ... حضرت ، أو شئت أعياها الحضور
سيل أمواج ، فقلنا وبحور ... من معان وبيان وشعور
تركب الألبابُ فيها سفنًا ... سبقا بين طويل وقصير
حملت من كل زاد ، وقرت ... كل غاد ، ورعت كل أثير (٢)
وليها في كل يوم مسندٌ ... يلتقي الأول فيه والأخير

* * *

كان فرعون له مجلسه ... وهو ذو الصرح المعلّى والسرير
ولنا في كل دار مجلس ... يسمع العالم أيان يدور
هو ناد لك ، أو مدرسة ... أو مجال السبق ، أو ملهى السرور
غلب الوهم الذي زينه ... في الأساطير خيالاً مستطير
دعوة المارد إن قستها إلى ... دعوة المذياع ظن وغرور
يورثه العلم لعمري إنه ... من صفات الله ، والله قدير
ربما أسمعتنا في غده ... نغم الأفلاك ، أو صوت الضمير

* * *

(١) صداح الأثير : [illegible] .
أذاعت محطة الإذاعة موضوع هذه القصيدة لتحية المحطة العربية بلندن عند الاحتفال بمرور عامين على افتتاحها .
(٢) الأثير هنا بمعنى المأثور وهو الفضل المنتقى .

أسود يلتحي (*)

أليس يكفي هذا السوادُ فزدته ... سواد غراب في حنك معلّق ؟
تسربلت برأس لا حدود لوجهه ... فما زال فيه الليل بالليل يلتقي
ألا فانتظر حتى تشيب فقد ترى ... سوادك محفوفا ببعض مشرق
وأخلِقْ أن يرتادك الشيب حالكا ... على حالك ، لو كان يجري بمنطق

* * *

على شاطئ البحر (*)

نفض النسيم عن النفوس رمادها ... فأعاد للمسنّى قديم هواه
والبحر تطّرد الخواطر عنده ... مثل اطّراد الموج حين تراه
لم أبصر الآذيَّ فيه كأنه ... خيل الطِّراد تسوقهنَّ عصاه
وكأنّ متن الماء في شمس الضحى ... فيروزجٌ قدح الضياء سناه
وكأن مبيضَّ الجليد طغا به ... إن مج بالزبد النقي حشاه
إلا وددتُ بأن أراه فلا أرى ... أفقا يصد الطرف دون مداه
الروح يطمع أن يتيه بلا مدى ... والعين ترسم في الفضاء خطاه
البحر أقدم والنفوس قديمة ... فالنفس تألفه ولا تنساه

* * *

(*) على شاطئ البحر ، الجزء الأول .

مناجـــــاة

مناجاة(*)

يا من أحب لقـــــــاءه ـــــرًّا وأزوى عنه جـهـــرا
إن العـــيـــــون بمرصـــد لى فى هواك ، وأنت أدرى
من ذا يتـــيـــه على الجـمـــا ل وأهله بالتـــيـــه أحـــرى
الشـمـس تحـبى بالضـيـا ءلحـاظنا فنغض قــســرًا
كن فى الملاحـة والصـبـا لقلوبنا فـــخًــا ووكـــرا
واغنم بحــســنك حـبنا واقنع بهـــذا الحب أجـــرا

❊ ❊ ❊

لسان الجمـال(*)

يا من إلى البعد يدعونى ويهجرنى أسكتُ لسانًا إلى لقيـاك يدعونى
أسكتْ لســان جمال فيك أسمعهُ فى كل يوم بأن ألقـــاك يغـــرينى
أبالجـــمـــــال تناديني وتجـــذبنى وبالمقـــال تجـــافـــينى وتقـصــينى
هيهات لست بسال عنك ماانطقت فيك المحاسن فانظر كيف تسلينى
أعصيك أعصيك لا ألوك معصيةً ولست أعصى جمالاً فيك يحييني

❊ ❊ ❊

متى !(*)

متى تشرق الشـمس التى قد رأيتها تغيب وراء الأفق فى مغرب الأمس
لقد طال عمر الليل حتى حسبتها توارت من الغرب المعصفر فى رمس

❊ ❊ ❊

(*) مناجاة : الجزء الأول ٦١ (٤٨ فقرة ٦٣) .
(*) لسان الجمال : الجزء الأول .
(*) متى : الجزء الأول .

الحب الأول (*)

(. . . كنا نقرأ ذات يوم أنا وصديقاي الشاعران النابغان المازني وعلى شوقي قصيدة ابن الرومي النونية التي يمدح بها أبا الصقر ويقول في أولها :

أجنيتك الورد أغصان وكثبان … فيهن نوعان : تفاح ورمان

وفوق ذينك أعناب مهدلة … سود لهن من الظلماء ألوان

فلما فرغنا من تلاوتها وقضينا حق إطرائها ونقدها خطر لنا أن يعارضها كل منا بقصيدة من بحرها وقافيتها وقد فعلنا فنظم المازني قصيدته في مناجاة الهاجر ونظم شوقي قصيدة في هذا المعنى ونظمت أنا هذه القصيدة فأهدتها روح ابن الرومي :

يهنيك يازهر أطيارٌ وأفنان … الطير ينشد والأفنان عيدان

طوباك ! لستَ بإنسان فتشبهني ! … إني ظمئت وأنت اليوم ريان

هذا الربيع تجلى في مواكبه … وهكذا الدهر آن بعدها آن

تفتحت عنه أكمام السماء رضيً … وزفه من نسيم الخلد رضوان

بشائع النور(1) في البستان باسمة … والأرض حالية والماء جذلان

للشمس تضحك ، والآفاق صافية … جلواء ، والروض بالأثمار فينان(2)

بنسيم خفوق في جوانبه … وللطيور تراتيم وألحان

في كل روض قُمرى للزهر يعصرها … ياحسبنا هي أبيات وسكان

مستأنسات سرى ما بينها عَبَقٌ … كما تواصل بالأسواق حبان

الورد يخصر عجبًا في كمائمه … والياسمين على الأغصان ميسان (3)

ينفض نفل أثواب بنوعها … عن البلور صناع الكف رقان (4)

* حب الأول : الجزء الأول .

(1) وشائع الثوب : طرائق نسجه .

(2) فينان : مثمر .

(3) ميسان : نائم من الوسن

(4) رقان : مزركش - بكسر الكاف .

وللبنفسج أمساح ممسكة … كأنه راهب في الدير محزان

وحسبنا زهر الليمون يسكرنا … منهنّ جسام خلا من مثله الحان

والليل يحييه والأطيار هاجعة … بلابل وشحارير وكروان(1)

مؤذن الطير يدعو فيه محتسبًا … فيستجيب له برٌّ وغيان

والصبح في حلل الأنوار طرّته … في الشرق والغرب أسحار وأصلان(2)

كأنما الأرض في الفردوس سابحة … يحدو خطاها من الأملاك ربان

ضاق الفضاء بما يحويه من فرح … فكل ما في فضاء الله فرحان

إلا الحب الذي لا أحسبه دنس … ولا مودته خب وإدهان(3)

نفاه عن عُرس الدنيا شواغله … إن الخبيا عن الأعراس شغلان

. . . .

يامن يراني غريقًا في محبته … وجدًا ، ويسألني هل أنت غصان ؟

واصبعة الحب أبديه وأكتمه … ومن عنيت به عن ذاك غفلان !

لي في مديحك أشعارٌ أضنّ بها … على امرئ فخره عرش وإيوان

على محياك من وشي الصبا روع(4) … وللمحبين أحداق وأعيان

فسبيم تعذلهم إن راع ناظرهم … بحسن وجهك يهذي وهو ولهان ؟

ما الحسن ذنبًا ، فما للحب تحسبه … ذنبا من الناس لا يمحوه غفران ؟

هما شقيقان فارفق أن تحيلهما … ضدين بينهما نأيٌ وهجران

من علّم الناس أن الحب منقصة … حتى كأن ليس غير البغض إحسان

هبها جناية جان أنت أثمها … ما كان يعصم لا إنس ولا جان

إن الجسوم معشاة جوارحها … إلا القلوب فصيغت وهي أُحدان

لكل قلب قرينٌ يستتمّ به … خَلقٌ وخُلقٌ فهل يرضيك نقصان ؟(5)

إن التعاطف بالأرواح بغيتنا … وفي الوجوه على الأرواح عنوان

تمالك الصخر أحظى منك أن نفرت … عنك العيون ، ولم يشملك وجدان

إنا لمن معشر حب الجمال لهم … حبٌ لما كان في الدنيا ومن كانوا(6)

(1) كروان : جمع كروان . (2) أصلان : جمع أصيل .

(3) إدهان : مكر وملق

(4) روع : ملاحة وجمال

(5) خلق لكل عضو قرين في الجسم إلا القلب فإنه منفرد لا يكمل إلا بقلب آخر .

(6) لا يعرف أن حب الجمال إنما هو بمثابة حب كل شيء إلا من خص نفسه من تعريف الناس للحسن والقبح .

يأمن الطير أنا لا نكيد له ... ولا يخف مكرنا وحش وعقبان
لو تسمع الورق[1] نجوانا لكان لها ... منا غصون نضيرات وأحضان
لو كان يدري حيي نبت عفتنا ... لم تغض منه بأيدينا أغيصان
لو ينظر الهائم النائي طويتنا ... لم تألف القفر آرام وغزلان
ولا اتقى الحوت شرا حين يبصرنا ... إذا وقته شباك الإنس قيعان
... أن لنا كهفا نعوذ به ... إن راح يفزعها بغي وعدوان

* * *

....

... من نال في حين سعادته ... إن فاته في طويل الدهر أحيان
... جنيت من الأيام زهرتها ... فاقنع ؛ فآثرها شوك وعيدان
... وربك ما بالنفس مستنقع ... أكان نجح لها أم كان حرمان
... رويناه ؛ فبعض الرأي مظمأة ... وإن ظمئنا ، فما يرتاح ظمآن
... الفريقين أحمى لهفة ووجى ... من ذاق أو لم يذق ؟ فالكل لهفان
... ة خطفت أنوال حائكها ... فلا يحاك لها في الدهر ثنيان
... يش من قبلها شوق نعمت به ... والعيش من بعدها ذكر وتحنان
... ت ولا غرو فالجنات خالدة ... وفي الوصال من الجنات ألوان
... صعت والله لا أدري لبهجتها ... أليلة سلفت أم تلك أزمان
... ت لا وهي شطر حين أحسبها ... والعمر شطر ، وفيها عنه رجحان
... شقانا الهوى خمرا معتقة ... صبا بها قبلنا شيب وشبان
... ات لا تبلغ الصهباء نشوتها ... ولو تناول منها البحر نشوان
... ص الهناء على قلبي ففاض به ... نبع له من وراء الدمع شطآن[2]
... ت والدمع في عيني محتجز ... لو سال منه على خدي غدران
... ت أرشف شهدا من مراشفه ... والسلسبيل بعليين غيران
... تجري له في كل ناحية ... جداول لؤلؤيات وثغبان
... نا حيث شاء الموج واطردت ... أمواهه ، فكأن الفلك وسنان
... تصره جنح الليل وانبثقت ... من كل مطلع للصبح عمدان

(١) الورق : أي حمائم جمع ورقاء .
(٢) [illegible]

فما أفقنا وعين الصبح شارفة ... وما هجدنا وغول الليل سهران
بنا سوى الشمس والشهبان ترصدها ... شموس أنس مضيئات وشهبان

....

بقية لك أتلوها وأنشدها ... هذي القصائد لي فيهن سلوان
بقية من متاع الذكر قد صفحت ... عنها السنون . فلي بالذكر قنعان
كأنني تاجر في الشط مرتقب ... موج الخضم . وفلكي فيه غرقان
خذي بقاياك لو تستطيع تذهبها ... كما ذهبت فبطويهن نسيان
لا يأمن الحب صب لا يكون له ... بالحب عن صلة المحبوب غنيان
ما كنت أجهل لما أن كلفت به ... أني سألقاه يوما وهو غضبان
من لي به مثل ما أرضاه في ملأ ... هاسوا وهانوا فهم للوهم عبدان ؟
تفرق الناس أوطانا وما افترقت ... لهم على حسب الأفهام أوطان
بنا نساكنهم دارا ونحسبهم ... منا ، وشتان إنسان وإنسان
نشقى بأنفسنا فيهم فيسعدهم ... هذا الشقاء ولا يجزيه شكران

* * *

يا أملح الناس هلا كنت أكبرهم ... روحا فيتفقا ، روح وجثمان
صدقت باطل ما قالوا كأنهمو ... لا يكذبون ، أو أن العذل قرآن
أما علمت بأن الناس ألسنة ... سود لها غير ما تبديه أبطان
أحرى مزاعمهم بالشك أشيرها ... فالحق مستضد والإفك عجلان
ورب قولة زور قالها رجل ... منهم فطار بها في الأرض ركبان
تداولوها فراحت في مذاهبهم ... شريعة نقضها كفر وعصيان
ما كثرة المؤمنين الأمر تثبته ... ولا بقلتهم للحق إيهان
فإن أهل كثير ليس يعدلهم ... بالمبصر الفرد يوم الشك ميزان

....

تكشفت هذه الدنيا فأنكرها ... حسي وأنهب فيها الحدس إيقان
ما زال يحسرني دهري ويوهمني ... حتى غدا وهو بالأوهام ضنان
إنا لنضحك لا صفوا ولا عبثا ... وقد ينوح بغير الدمع أسوان[1]
أعيى العقول صلاح الخلق من قدم ... وضاق عن هديهم ذرع وإمكان

(١) أسوان : حزين من الأسى .

فعش كما شاءت الأقدار فى دعة ... لايجرمنّك[1] بِرّ لناس أو خانوا
لعلهم فى طريق الصدق قد سلكوا ... ونحن نحسب أن القوم قد مانوا
عن عاش فى غفلة طاب البقاء له ... وإن تولته بالأرزاء حدثان
لم يدر من نام والأفلاك دائرة ... أدار بالسعد أم بالنحس كيوان
فاطلب لنفسك منها عهريًا أمنًا ... ودان من شئت فالأعداء خلان
والزم حياتك واعشقها فبينكما ... فى شرعة الطبع ميثاق وإيمان
هى الوجود فصنه أن تجود به ... على التراب ، فإن الخسر صنوان

. . . .

وانهض بها مرة فى الدهر واحدة ... ثم استرح أبدًا والحق بمن حانوا [2]

* * *

كأس الموت (*)

إذا شيعونى يوم تُقضى منيتى ... وقالوا أراح الله ذاك المعذبا
فلا تحملونى صامتين إلى الثرى ... فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا
وغنوا فإن الموت كأسٌ شهية ... وما زال يحلو أن يُغنّى ويُشربا
وما النعش إلا المهد مهد بنى الورى ... فلا تحزنوا فيه الوليد المغيبا !
ولا تذكرونى بالبكاء وإنما ... أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

* * *

(1) لا يجرمنك : لا يهمنك .
(2) حانوا : ماتوا .
(*) كأس الموت : الجزء الأول .

الحبيب الثالث (*)

(ردا على قصيدة الحبيبين لصديقنا شكرى ، وقد شبه أحدهما بالجنة والثانى بالجحيم وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم)

فلاك من دفاع نار الجحيم ... ووصلك الجنة دار النعيم
وريقك الكوثر لكنه ... كالمهل فى صدر المحب الكظيم
وخدك الزقوم مسرٌ لمن ... تزويه عنه وهو حلو الطعم
وأنت تضنى كل جسم سليمْ ... وأنت تشفى من ضناه السقيم
وأنت دان نافر راحم ... قاس ، بحبه كباره ، لا تدوم
ويا نسيمًا شبمًا [1] ربما ... أذكى كما أطفأ ذاك النسيم
ويا برىء الوجه فى ناظرى ... ويا أثيمًا فى الفؤاد الكليم
الحب لونان وما أن أرى ... حبًا بلون واحد يستقيم
كن لى على النعمة عونا أكن ... عونا لقلبى فى العذاب الأليم

خير ما فيهن (*)

غفر الذنب بكائى عليك ... أننى لا أعود ما عشت أبكى
لا باوى - وقد تعلمت منك - ... تسلُ حوائكنّ دمعة شك

خير ما فى النساء ساعة ضحك

إلى صديق (*)

أحنّ وأعذب بها لفظةً ... تذكرنى العهد عهد الصفاء
أهبت بودى ولما جئت ... فأسمعت حبًا بذاك النداء

(*) الحبيب الثالث : الجزء الأول .
(1) شبما : باردة .
(*) خير ما فيهن : وحى الأربعين . (*) إلى صديق : الجزء الأول .

ولم ينسني القصر[1] عهداً خلا … وكيف وفي القصر معنى البقاء
وإن أنس شيئاً فباني نسيـ … ـت يا صاحبي أينا قد أساء
ولست بقال ولا ناكث … ولكنْ كذلك شاء القضاء
وهذي القلوب بأيدي الزما … ن يقلب أهواء كيف شاء
وقد يذهل المرء عن نفسه … فكيف يلام على الأصدقاء ؟!

خواطر الأرق (*)

يا ليلُ لونك في اللواحظ إثمد[2] … إلا لذيّ فمن غبار يُرمد
ها أنت بالرؤيا تضن لأنها … سلواي ، حين تركتني لا أرقد
دل الظلام على المدامع خاطرا … أعيى عليه مع الصباح المورد
كم في الدم المدسوس بالإنسان من … زعم يطيش وعاوض يتمرد
العقل شيخ والحياة فتية … والعيش بينهما شقاق مجهد
والطبع يغسرينا ولست بواجد … كالطبع طفلاً لا يفارقه الدد[3]
أواه من عبث الحياة وسوء ما … يجني الزمان وشر ما يتوعد
لا أشتكيه فقد أمرّ فساغ لي … ما لا يسوغ وسرني ما يكمد
وجزعت حتى قيل جن من الأسى … وصبرت حتى قيل صخر جلمد
أبدى التجلد والتجلد في الأسى … بعض الرياء ، وبعضه قد يحمد

. . . .

وخميلة يجني الغداف قطافها … وترود حوليها الصلال[4] الشرد
كرمت عناصرها وأينع يومها … حسناً ، ويوشك أن يطيب لها غد
ظللتها بالنصح إلا أنها … لم تلق من يرعى ومن يتعهد
باتت تجاذبها السموم فتلتوى … طوعاً ، ويدعوها النماء فتجمد
يا من أصون جماله وكأنه … خصمٌ على تلك المحاسن يحقد
لا شيء أوجع للأسرى من أن يرى … حملاً يطيب مع الذئاب ويرغد

(*) إلى صديقي : الجزء الأول .
(1) إشارة إلى قصر ملا وهو ظلل في حديقة كنت أجلس فيها بأسوان وقد أشار إليه الصديق فقال :
اعباس يهنيك قصر به … نسيت الوداد وعفت الإخاء
(*) خواطر الأرق : الجزء الأول . (2) الإثمد : حجر الكحل .
(3) الدد : اللعب . (4) الخميلة : هي الشجر الملتف . والصلال جمع صل : وهو الثعبان الخبيث .

أخشى عليك من البعيد وأنت لا … تخشى من الداني الذي لا يبعد
وأحوط حسنك بالتمائم والرقى … وتظل تنثر عقدها وتبدد
وتبيت بين الجفسون من الكرى … والنار حولك والدخان الأسود
لم تجنِ نصحي وملت مع الهوى … جهلاً ، وغرّك أن غصنك أملد
والغصن تسقط - إذ يميل - ثماره … ويزلّ عنه الزهر إذ يتأود
إن كنت تحميك الطراوة والصبا … شرُّ التقصف فالتجرد أنكد
أولى بوجهك أن يضيئك حسنه … من أن يحفك منه غيم أربد[1]
هذي يمينى في يمينك فاعتصم … أولا فأرسلها فما لك منجد
لو كنت نوحاً لم تغلك سفينتي … إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا
فاستبق ودك للذين عرفتهم … إني لغير الطهر لا أتودد
ما كنتَ أول نعمة ودعتُها … كلا ، ولست مع المودة تخلد
ماذا على الدنيا لو أنّ مغرراً … منها يميل به الغواة فيقصد
لولا المشوب لما يمحض خالص … منها ، ولو لم يعتدوا لم يهتدوا
ما كنتُ يوماً بالأنام موكلا … فأعدُّ منهم من يضل ويرشد
إني اتخذتك للصيانة قنية … فعلمت أنك بهرج لا عسجد
فالآن ألقي في التراب بحلية … كانت أحب ذخيرة تتقلد

إليك (*)

إهداء الديوان الثاني

إليك إهداءُ أطرابي وأشجاني … لوكنتَ تعلم إسراري وإعلاني
شعر لحسنك فيه كلُّ قافية … وما تضمّنّ إلا بعضَ وجداني
يُهدَى إليك ولم تفطنْ لدعوته … كأنما هو قربانٌ لأوثان
ولو صمدتُ بتسبيحي إلى وثن … إذن لأثلج صدري صدقُ إيماني
وخفف النار : نار الوجد عن كبدي ، … علمي بأنك لم تجهل بقرباني
لكنْ جهلتَ مناجاتي فواجللي … لو فزتُ منك ، على علم ، بحرمان
يا من هو الناسُ في عيني وإن كثروا … إني أخص بشعري كلَّ إنسان
أهدي إلى الناس ما أعنيك أنت به … فاقبل ، فإنك بعض الناس ، ديواني

(1) الأربد : اللون الكدر المتغير . (*) إليك : الجزء الثاني .

الدنيا الميتة (*)

أحبك حب الشمس فهي مضيئة — وأنت مضيء بالجمال منير
أحبك حب الزهر فالزهر ناضر — وأنت كما شاء الشباب نضير
أحبك حبي للحياة فإنها — شعور ، وكم في القرب منك شعور
فهل في ابتغائي الشمس والزهر سُبَّة — وهل في ولوعي بالحياة نكير

. . . .

فدع ما يقول الناس واعلم بأننا — على غير ما سار الأنام نسير
لنا عالم طلقٌ وللناس عالم — رهينٌ بأغلال الظنون أسير
ودوا أسفا ! ما نت إلا نظيرهم — وإن لم يكن للحسن فيك نظير
ويا عجبا منا نسائل أنفسنا — إذا سئلت حارت وليس مجير (١)
أنشقى بدنيانا لأن منعّما — من الناس بسام الثغير غرير
أيذوي الصبا فينا لأنك ناشئ — ربيع الصبا في وجنتيه غضير
أتعشى مآقينا لأنك أحور — بعينيه من ومض الملاحة نور
ألا تتملى الحسن والحسنُ جمةٌ — مطالعه إلا وأنت سمير
فيا ضيعة الدنيا إذا لم يكن بها — غنيٌ عنك للمحزون حين يثور
ويا ضيعة النفس التي لا يجيرها — من البث والشكوى سواك مجير
إذا الشمس غابت لا نبالي غيابها — وإن غبت أضحى العيش وهو كدور
وليتك مثل الشمس ما فيك مطمع — فيهدأ قلب بالضلوع نفور
قريبٌ ، ولم يخطو عطاش ليهفوا — على جدول في السمع منه خرير
وسرتَ على الأرض التي أنا سائر — عليها ، ولم تُضرب عليك ستور
فلو لم تَولّ شطرك لامنا — على الجهل كون بالجمال فخور
لديك مقاليد السرور وديعة — وما الحب في سواك سرور
فإن تأذن الدنيا أباحت شوارها (٢) — وغنت عصافير وفاح عبير
وإلا فما في الأرض حظ لناظر — ولا النجم في عليا السماء يدور

(*) الدنيا الميتة : الجزء الثاني ١٦٧ (٤٣ فقرة ١٢٩) .
(١) مجير جوابا : أي ترد .
(٢) شوار العروس : جهازها .

بعد عام (*)

كاد يمضي العام يا حلو التثني — أو تولى
ما اقتربنا منك إلا بالتمني — ليس إلا !

* * *

منذ عرفناك عرفنا كل حسنٍ — وعذاب
لهب في القلب ، فردوس لعيني — في اقترابي

* * *

غير أنا لا نرى الفردوس إلا — رسمَ راسمْ
وشربنا من جحيم الحب مُهلا — شرب هائم

* * *

لا تلمني أنّ قلبي خانني — أو عشقتُكْ
لم يكن مني إلا أنني — قد رأيتكْ

* * *

كان في الدنيا جمال لا يُعد — ثم أُحصي
فعددنا الحسن طرّا فهو فرد — وهو أنتا

* * *

كأسي على ذكرى (*)

. . . .

هاتها واذكر حبيب النـ — ـفس يا خير ثقاتي
ودع التلميح واجهر — باسمه دون تقاة (١)
أترى نُحرم حتى — ذكره في الخلوات ؟
صفه لي صفه وما كا — ن بمجهول الصفات

(*) بعد عام : الجزء الثاني ، ١٤٠ (٨ فقرة ٢٩) .
(*) كأس على ذكرى : الجزء الثاني ، ١٤٤ (١٢ فقرة ١١٩) .
(١) تقاة : مبالاة .

غيـر أني أسمع الصـ ـسع بحظ الحـبـدقـات

صفـه في عيني وتما تعـ ـدو به وصف الأصـاة[1]

صفـه في قلبي لو استطعـ ـت ، وترجم زفـراتي

أتـرى الـسبـق سنـه باصطيـاد المُهـجـات

أترى أملح من خطـ ـرته بين الخطـرات

أترى أصـبح من خـد يـه بين الـوجـنـات

أترى أعـدل من قـسا مـتـه في الصعـدات [2]

ذهبيّ الشعـر ساجي الطـ ـرف حلو اللفـتـات

وحـبـيبيّ لا يحـبـ ـك بغـير البـسمـات

جـاهل بالحب أشكو ه ولا يـدري شكـاتي

وغـريـر القلب لا يفـ ـهم مـعنى نظـراتي

وذ لو يـسـأل عـ ـالي مـستهَلّ العـبرات

وإذا قلت اشـجـاني من أفـئـديه بذاتي

ليس ينجـيني وفي كـفـ ـيـه لو شـاء نجـاتي

قـال مـا أقـسـاه من جـا ن غليظ القلب عـات !

. . . .

صفـه ! بل أمسك فقد ها جت عليـه حُـرُقـاتي

جـمع الوجـد بأشجـا ني وضـاقـت أزمـاتي

هاتهـا صـرفًـا وأغـرق في طلاها حـسـراتي

عـوضـاً عمـا يوأتي من هـوى أو لا يـؤاتي

الصبابة المنشورة (*)

صبابة قلبي ! أقبلي غاضياً [3] فهبي ! لقد يغشي الرفاتُ المغانيا

... تهجر الموتى تفيز أمينة إذا الليل غشّي بالرقاد المآقيا

---

(1) الأصاة : المرآة .
(2) الصعدات : جمع صعدة وهي قناة الرمح .
(3) غاضيا : مظلما .
(*) الصبابة المنشورة : ...

وثوبي إلى الدنيـا مع النوم فانظري مكانك هـل أنوى وعرشك خـاويا [1]

وشُسري به سـرُّ الغـريب وطالما تربعت فيه قـبل ذاك ليـاليـا

ولا تسـألي عن بالديار ؟ فـأنهـا على مـوثق إلا تجـيب عناديا

* * *

بدا شبح عـار من اللحم عظمُه يجاذب أضلاعـاً عليـه حوانيا

يقـارب في قـيـد المنيـة خطوه ويمشي به ليـلاً مع الليل ثانيا

وقـال سلام ! قلت فاسلم وإن يكن دعـائي لميت بالسلامة واهيا

من الطارق الساري ؟؟ فقال صبابة نعـمتَ بها حينا وما أنت ناسيا

فـقلت أرى جسمًا عري من روائه وعـهـدي به من قبل أزهر كاسيا

جهلتك لولا مسحة فيك غالبت بشاشتُهـا أيدي المنون المواحيـا

جـهلتك لولا هزّة في جوانحي يدُ الدهر [2] لا تُبقي من الشك باقيا

ألا شدَّ ما جار البلى يا صبابتي عليك . فكيف استلّ تلك المعانيا

أأنت التي أسهرتني الليل راضيًا وأنت التي أسكرت عينيّ صاحيا ؟؟

وأنت التي كنا إذا الناس كلهم تولوا ؛ وجدنا مغنمـا فيك وافيا

وأنت التي جلّيت لي الأرض جلوة أسائل عنها الأرض وهي كما هيا

أسـائل عنهـا كل شيء رأيته أما كنتَ فينان [3] المحاسن شاديا

نفخت بهـا روحـاً فـغرد صامت ورنّم جلمـود ، وأصغـيتُ لاهيا

فلما ألمّ البين لاذت جعلتُها وأمسيتُ حتى يأذن الله صاحيا

وهل يسمع الصاغي إلى القبر نأمة [4] ولو كان فيه معبد [5] القوم ثاويا

* * *

نعم أنت لولا ساتر من منية وحسبك ستراً بالمنية ساجيا

وأن أمرءا ماتت خوالج نفسه فليت لقد جمع الشرين حيًا وفانيا

حياة لها حد ولا حدّ للردى فليت المنايا والحيـاة تواليـا

كما تتوالى يقظة العيش والكرى وتعب أنوار الصباح الدياجيا

---

(1) خاويا : تخرب .
(2) أي إلى آخر الدهر .
(3) فينان : مزهر .
(4) نامة : صوتا خفيا .
(5) معبد : إمام المغنيين في صدر الدولة الأموية .

إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا ... إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا (١)

* * *

الهين الصعب (*)

أكبرتُ قدرك حتى لست أدركه ... وأصغروك فنالوا منك ما طلبوا
فإن تباعدتَ عنى وادّنيتَ لهم ... فما توانيتُ فى خطوى ولا دأبوا
يا ليت أنفسنا صيغت كأنفسهم ... فلا يملك عنا الصد والعجب
أو ليت مثلك يدرى ما نهيم به ... فلا تُعز علينا بعضَ ما نهب

نضرة فى الشتاء (*)

يا نضرة فى الشتاء أبصرها ... أبهج من كل منظر نَضِر
كأنها والعيون تنهبها ... والنفس تُرْوَى بحسنها العطر
ألف ربيع للعين مُدخَر ... بل ألف حب للقلب مختصر
يا طيب ذاك الأكسير مجتمعاً ... من حُسْن شتى الرياض والغرر
أضمه كله وأرشفه ... فى قبلةٍ كوثرية السُّكَر

* * *

إلى الغرق (*)

دعتك العرائس فى بحرها ... فقيم الوقوف على الساحل ؟
إلى الماء ! لا بل إلى السابحين ، لا بل إلى الغرق العاجل
فليس على البحر إلا غريقٌ ، وإن لم يكن فيه بالنازل !
سواحره احتشدت كلها ... علينا ، فيا ويح للغافل

* * *

(١) دواليا : بالتداول .
(*) الهين الصعب : الجزء الثانى .
(*) نضرة الشتاء : وحى الأربعين .
(*) إلى الغرق : وحى الأربعين .

مائدة (*)

مائدةٌ أسرف فى طهيها ... عشرين عاما ، عبقرىُّ الزمانْ
أكرمنا الطاهى بها ساعةً ... فكيف بالمكرم يلقى الهوان
حسنٌ وأنسٌ وحياءٌ معاً ... وطلعة البدر وتفح الجنان
مدتْ لنا طوعا فما عذرنا ... إذا تركنا لقمةً فى الخوان (١)

* * *

لغير البيع (*)

جواهر الحب قالوا : غير زائفة ... مهلا ! فما أنا فيه بائع شار
كلا ، ولا أنا من شك ولا ولع ... بالسبر عارضٌ أحجارى على النار
خذ معدن الحب أن ألفيت معدنه .. ... أنى قنعت بومض منه غرار
ما للأناسىّ من حب يدوم ، ولا ... حبا يقوم على صدق وإيثار

* * *

ليلة البدر (*)

هاتِ لى الذكرى وجدد ما مضى ، ... عندك الذكرى ورُجعاها معاً
هات ما كان كما كان انقضى ، ... أو فجددْ غيره مبتدعا
ليلة البدر وقد كان الرضى ... موعد الأهرام نبغى مطلعا
فقضى الله سواه غرضا

* * *

(*) مائدة : وحى الأربعين .
(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .
(*) لغير البيع : أعاصير مغرب .
(*) ليلة البدر : وحى الأربعين .

... نوبنا ونوى الغيبُ لنا — نيّةً أمتعَ للمستمتع
... البدر وأمسيت أنا — ادّعي من نشوة ما أدّعي
... نادتني هيّا بنا ! — قلت : هيا ! وأنا في موضعي
السن عندي فمالي والسنى

* * *

... لبدر وما كان الخسوفْ — شيمة البدر الذي بين يديّ
... لناس وطافوا بالدفوف — وأنا والبدر في نشر وطيّ
خلّ من شاء كما شاء يطوف — إن بدري طالع منه إليّ
لا أحب البدر ترعاه الألوف

* * *

يا سمير الليل يا نعم السمير — ما لنا والصبح ما دمت أراك
أنا في نور وروض وعبيرْ — حينما ألقاك لا ألقى سواك
رشفةً من ثغرك العذب النضير — أو من الكأس احتوتها شفتاك
وسلامٌ أيها الكون المنير

* * *

هاتِ لي من فيك أنفاس الغرامْ — أو فقل إن شئتَ أنفاس الحياة
واسقني الخمرة من أعذب جامْ — لا من البلوّر في أيدي السقاة
ثغرك الضاحك كأسٌ ومُدامْ — ونديمٌ لي ، وراوٍ في الرواة
ينشد الشعر فيشجيني الكلام

* * *

ينشد الشعر جديداً كالصِّبا — وأنا ناظمه منذ سنين
بث فيه من صباه عجبا — فإذا قلتَ ارتجالاً لا تَبِن
هات لي الحسن وهات الأدبا — واسقني الخمر من الشعر المبين
ذاك حسبي في زماني مطلبا !

* * *

إعفاء (*)

أعفيك من حلية الوفاءْ — إنك أحلى من الوفاء !
خوني . فما أسهل التشفّي — عندي وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل في حسابي — فقدك يا زينة النساء !

* * *

الحب الضاحك (*)

فرغتُ من الحب الذي يُعقب الشكوى — فحبي من النُّعمى وليس من البلوى
بليت له ناري ثلاثين حجةً — فلا نار بعد اليوم .. اليوم للحلوى

* * *

لو كان إلهاً (*)

(قال الشاعر الفرنسي دوجيرالد لحبيبته : «لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحار ، ولأعطيتك الملائك والشياطين الجاثية بين يديّ قدرتي وقضائي ، ولأعطيتك الهيولي وما في أحشائها من رحم خصيب . بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين – إبتغاء قبلة واحدة» .

وسئل صاحب هذا الديوان : «وماذا تعطيني أنت لو كنت إلهاً» فقال :

أعطيك ؟! كيف وما العطاء بخير ما — تبدي القلوب من الغرام الصادق
إني لو غدوتُ كما اشتهيت وأشتهي — رباً ، أخذتك أنت أخذ الواثق
فتسرين أنك حين فزت بحظوتي — أحلى وأجمل من جميع خلائقي
وتسيطرين على الصروف ؛ وفوقها — نبضاتُ قلبي المستهام الوامق
إن كان رب الكون عندك قلبه — أهونْ لديك بأنجم وصواعق
وبكل شمس في السماء وضيئة — وبكل بحر في البسيطة دافق

(*) إعفاء : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) الحب الضاحك : أعاصير مغرب ص ٤١ .
(*) لو كان إلها : وحي الأربعين .

مـاذا عليه (*)

مـاذا عليـه إذا اسـتـوى   وإذا التـوى ، مـاذا عليـه ؟
هذا القـوام جنـــــالـهُ   مهمـا تعسَّف ، في يديه !
أنى تمايل عطفـــه   مـالت جـوانحنا إليـه
أشــتـاق بعض نفــاره   شـغفاً برؤية عتبه

* * *

ملتقى الربيع (*)

هـات الـربـيـع الـغـضَّ لـى كـلَّـه   في روضـة ، بل طلعـة ، بل شـفـة
إن فـاتنى جـمـيع أزاهـيـره   في قطفـة ، فـالرأى أن أرشـفـه

* * *

نبضات جديدة (*)

خـفـقـاتٌ تلك من وزن جـديدْ   أيها القلب ! فـأسمعني صداك
ذلك الوجـه ، ومـا العـهـد بعيـد !   أنت تهـواه ، فـلا تنكر هواك

* * *

أنت تهـواه وتسعى بى هنـا   كلُّ يـوم بعـد يوم كى تراه
لا تراوغنى وقـلْ هيَّـا بنـا   في صريح القول ، نستجلى سناه

* * *

(*) ماذا عليه : وحي الأربعين .
(*) ملتقى الربيع : وحي الأربعين .
(*) نبضات جديدة : وحي الأربعين .

نحسب الرقـة فـيـه ألمَا   فـإذا أنت من الوجـد تذوبْ
لا يـكـون الحب إلا هـكـذا   أنا لا أجـهـل أسـرار القلوب

* * *

كاصفرار الشمس في ثوب الغروبْ   واصـفـرار العـاج في ثوب القِـدمْ
ذلك اللونُ نسمّيه الشحوب   وهو في الحسن شفيع للسَّقم

* * *

رحـمـةٌ للقلب من ذاك الوُجيـهْ   صـبـيغ ذويَّ حنان وحنين
كلمـا رفـرفت بالعين عليـه   شبَّت الفرحـان عندي بالحزين

* * *

إن أشـأ قلتُ خـيـالٌ في الكرى   أو أشـأ قلتُ عـيـان لا خـيـال
جُـمع الأمـران لى فـيـمـا أرى   حين صحَّ الحُلم في خير مثال

* * *

جمال يتجدد (*)

كلمـا قلتَ لى الربيع جـمـيلٌ   قلتُ : حـقـاً . وزاد عندي جمـالا
عـجـبـاً لى بل العـجـيبـة عندي   صـور الكون كم يـسعن كمـالا
خلقتنى قـد وعـيـتهن عيـانـاً   وتتبعت من وعـوها خيـالا
شـاعـراً عـاشـقـاً وقـارئ كتْب   قـرأ الكتب دارسـاً ، فـأطالا
فـإذا نظرةٌ بلحظك تبـدى   صـوراً مـا طرقن عندىَ بالا
بعـد الأنوار في أعين الحـ   ـب نعـد الأكـوان والأجـيـالا

اليوم الموعود (*)

يا يوم موعـدها البـعـيـد ألا ترى   شوقى إليك ، ومـا أشـاق لمغنم ؟
شوقى إليك يكاد يجـذب لى غـدًا   من وكـره ، ويكاد يطفر من دمى

(*) جمال يتجدد : هدية الكروان .
(*) اليوم الموعود : هدية الكروان .

أسرغ بأجنحة السماء جميعها ... إن لم يطعك جناح هذي الأنجم
ودع الشموس تسير في داراتها ... وتخطّها فسبيل الأوان المبرم
ما ضرّ دهرك إن تقدم واحد ... يا يوم من جيش لديه عرمرم

. . . .

يا يوم موعدها ستبلغني المنى ... وتُتم لي الفردوس خير مُتمّم
لا غصن وابية تقصّر راحتي ... عنه ، ولا ثمر يعز على فمي
سأظل أخطر كالغريب بجنتي ... حتى أثوب على قدومك ، فاقدم؟
فأبيتُ ثم إذا احتواني أفقها ... لم أنه عن أمل ولم أتندم
فرحي بصبحك حين تشرق شمسه ... فرح الضياء سرى لطرفٍ مظلم

* * *

الحب المثال (*)

كأني مثال وحسنك تمثالي ... عجائبُ حب ما خطرن على بال
فما أتمنى فيك معنى أريده ... من الحسن إلا وافق الحسنُ آمالي
وأحلام قلبٍ تسري كأنها ... خوالق أيدي الفن في الذهب الغالي
تجول بأشكال الخيال وتنثني ... وقد أسعدت منك العيان بأشكال
إذا ما تمثّت فيك معنىً لمستُها ... محاسنَ أعطاف ورقة أوصال
إذا اقترحتْ عيني فأنت مجيبها ... فهل منك أو مني صياغة تمثالي ؟
وما اقترحت إلا كما اقترح المنى ... غنيٌّ على وفر من الوقت والمال (1)
فما فيك من نقص ولكنما الهوى ... نوازعُ شتى لا تقر على حال
فيا قدرة الحب المبارك أبدعي ... لكل حبيب في الصبا ألف سربال
وأجملْ من صوغ الدمى صوغ دمية ... لها زيناها من حياة وإقبال

(*) الحب المثال : هدية الكروان .
(1) إذا كملت نعمة الإنسان تمنى الأماني التي لا حاجة به إليها ، وإنما تغريه بها وفرة النعمة وطبيعة الأمل في الإنسان .

الثوب الأزرق (*)

الأزرق الساحر بالصفاء
تجربةٌ في البحر والسماء
جرّبها «مفصّل» الأشياء
لتلبسيه بعدُ في الأزياء
مجوّد الاتقان والرواء
ما ازدان بالأنجم والضياء
ولا بمحض الزَّبد الوضّاء
زيّنته بالطلعة الغرّاء
ونضرة الخدين والسيماء
ولمعة العينين في استحياء
إن فاتني تقبيله في الماء
وفي جمال القبة الزرقاء
فلي من الأزرق ذي البهاء
بخطر فيه زينة الأحياء
مقبّلٌ مبتسم الأضواء
مردّد الأنغام والأصداء
وقبلةٌ منه على رضاء
غنيٌّ عن الأجواء والأرجاء
وعن شآبيب من الدأماء (1)
وعنك يا دنيا بلا استثناء

(*) الثوب الأزرق : هدية الكروان .
(1) الشآبيب أول ما يظهر من الحسن ، وشدة اندفاع كل شيء ، والدأماء البحر .

ضياء على ضياء (*)

على وجنتيه ضياء القمرْ ... نظيران يستبقان النظر
جميعهما أنا في لثمة ... أو البدر قبَّله فابتدر ؟
فما زال يلحظه جهرةً ... ويغمزه من وراء الشجر
ويزعمها قبلةً من أخ ... فنعم إذن قطفها في حذر ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجه الحبيـ ... ـب ولو شئت كللته بالزهر
ولكن كرمتُ فَخُذ يا قمرْ ... من الزاد ما تشتهي في السفر

* * *

سهينا الليالي عنا وعن بدره ... وهز الحبيب حنين السهر
فقال وقد فاض منه الرضى ... وسُرَّ بفيض رضاه وسَر
على مثل هذا تطيب الحيا ... ة ، وفي مثل هذا يروق السمر
فقلت أجل ما أحب الحيا ... ة ، وأنت شفيع لها مُدَّخر
لأجلك يصفو لها من صفا ... وباسمك يعذرها من عذر

* * *

دنيا مقلوبة (*)

صوت النذير [1] الذي أبقاك خائفةً ... على ذراعيَّ قولي كيف أخشاه ؟
أو البشير الذي يدعوك ثانيةً ... إلى الطريق لعمري كيف أرضاه
الحبُّ والحربُ واويْلا قد اجتمعا ... في القلب فانقلبت أحوال دنياه !

(*) ضياء على ضياء : هدية الكروان .
(*) دنيا مقلوبة : أعاصير مغرب .
(1) النذير بالغارات .

ساعي البريد (*)

هل ثَمَّ من جديد ... يا ساعي البريد

* * *

لو لم يكن خطابي ... في تلك الوطاب
لم تطوِ كلَّ باب ... يا ساعي البريد

* * *

ما ذلك التنسيق ... والجمع والتفريق
والقفز والتعويق ... يا ساعي البريد ؟!

* * *

كسوتك الصفراء ... والخطوة العرجاء
يمشي بها الرجاء ... يا مسحنة الجليد

* * *

لو لم تكن جمالا ... في مشية العجالى
صفناك التمثالا ... من جوهر فريد

* * *

لا أحسب الساعات ... في حاضر وآت
إلا على الميقات : ... ميقاتك الوئيد

* * *

(*) ساعي البريد : هدية الكروان .

في شرفتي أبتكر   غيرك لا أنتظر
وإن سعى لي القمر   يا ساعي البريد

* * *

كم لهفة نسيتها   أماتني عيشها
لقيتها ألقيتها   يا ساعي البريد

* * *

جددتَ لي انتظاري   وقلة اصطباري
عن طلعة القطار   وطلعه النضيد

* * *

أكرم به من ثمر   منتظر مستخبر
في كل يوم مزهر   مبتدئ سعيد

* * *

يا طائفاً بالدور   كالقدر المقدور
بالخير والثبور   في ساعة البريد

* * *

في لحظة تنتشر   منك المنى والعبر
وأنت ماض تعبر   كالكوكب البعيد

* * *

كن أبداً مريدي   بالخبر السعيد
وبابتسام العيد   يا ساعي البريد

* * *

عجيب الساعي (*)

عجيب «الساعي» الذي كنتُ له   بدأً في شرفتي منتظرا
إنّ من تُحضر لي أخباره   يهبه الساعي بخير . حضرا
ألق إن شئت وطاباً حافلاً   لا أرى لحظةً إن صفرا
الطريق الآن لا أرقبه   لأرى وجهك . ولكن لأرى
ولك الشكر ، ولي العذر ، فلا   تظهر الآن . فمهما قد ظهرا
لا تذكّرني نواه بعد ما   كنت تروي عنه ذكراً عطرا

* * *

تسلّم (*)

تسلّمْ هذه الدنيا   ـما خلّفتها عندي
وحاسبها على قسوتـ   ـ تجني على البعد

* * *

تسلم هذه الشمـ   ـس التي تؤنس أو تهدي
لقد كانت هداها الـ   ـه مكسالا عن المهد
تجوب الأفق في جهد   وما تسرع بالجهد
وكانت تحجب الأنو   ار أو تُبدي فلا تجدي
وكانت شعلة حرّى   من اللوعة والوجد

* * *

(*) عجيب الساعي : هدية الكروان .
(*) تسلم : هدية الكروان .

تسلّم هذه الأطيا ... ر واسألها عن العهد
تُغنّي الآن فاسألها ... أغنّت قط لي وحدي ؟
وإن غنّت فهل كا ... ن سوى نوح لها فقد
وإن أعدتْ فهل تُعدي ... بغير الشجو والسهد ؟
نعم سلها جزاها الله : أين تحية الورد
وأين تحية الإلف ... وأين تحية الغيد
لقد كانت لحاها الله تطويها على عمد
فسلها فيم تطويها ... وفيم تضن أو تبدي

* * *

تسلَّم أنجم الليل ... بلا عد ولا حد
تسلمها وكاشفها ... بما تخفى وما تبدي
وسلها كيف ضلَّتني ... وما ضلت عن القصد
وفيم تغامزُ منها ... إذا حيَّرتني قبلي
نعم فيها الذي في النـ ... ـفس لا في صفحة الجلد
أهزلا تهمس الأنجـ ... ـم أم تهمس عن جد ؟!

* * *

تسلم زهرك العشب ... في السهل وفي النجد
تراه ضاحك العين ... تراه ناضر الخد
فسله ما عراه أمـ ... ـس حتى لاذ بالرشد
فلا يلهو ولا يُوصي ... بغير الهم والزهد
فما عن لومه في ذا ... ك يا مولاه من بد !

* * *

تسلم هذه الدنيا ... كما خلّفتها عندي
بحمد الله تلقاها ... كما تلقاك بالحمد
فخذها راضيا عنها ... وعني وعن السود

وعلمها إذا ما عدت ... لا عدتَ إلى البعد
أماناً في مغيب منـ ... ـك أو في محضَر رغد
فما تسمع لي قولاً ... إذا ناجيتها وحدي !

* * *

ثرثارة (*)

أراك ثرثارة في غير سابقة ... فهات ما شئت قالاً منك أو قيلا
ما أحسن اللغو من ثغر نقبلهُ ... إن زاد لغواً لنا زدناه تقبيلا

* * *

زمن محل (*)

أمحل الدهر واطَّرد ... لا خميسٌ ولا أحد
لا انتظار لموعد ... أو هيامٌ بمن وعد
كل أيامنا تساو ... ين في الوسم والعدد
صبحها مثل ليلها ... والتقى أمسها بغد
نقص العمر كلها ... وبها العمر لم يُزد (1)
لم تزد ماضيا وقد ... نقصت مقبل الأمد

* * *

(*) ثرثارة : هدية الكروان .
(*) زمن محل : هدية الكروان .
(1) يوم السعادة الذي يمر بالإنسان هو يوم ينقص من العمر ولكنه يزيد في ثروة الماضي . أما يوم الشقاء فإنه ينقص العمر ولا يزيده في ماض أو حاضر .

إساءة مشكورة (*)

إليك مني الشكر حسنتي على   إساءة اللقيا غداة السفر
أغضبتني منك فأنجيتني   من لوعة الهجر وطول السهر
إذا التوى الصبر على عاشق   تعرّضَ العتب له فاصطبر
ما ذاكر المحبة رياً له   كذاكر اللجة فيها الخطر
ولهفة الظامىء ترياقها   أن ينظر الغصة فيما انتظر

* * *

صنوف حب (*)

عرفت من الحب أشكاله   وصاحبت بعد الجمال الجمال
فحبّ المصور تمثاله   عرفتُ ! وحب الشباب الخيال

* * *

وحب القداسة لم أعده   وحب التصوف لم يعدُني
وفي كل حب رَأَى زنده   سمات من المؤمن الديّن

* * *

. . . .

وحب التي علمتني الهوى   وحب التي أنا علمتها
ومن أستمد لديها القُوى   ومن بالقُوَى أنا أمددتها

* * *

(*) إساءة مشكورة : هدية الكروان .
(*) صنوف حب : هدية الكروان .

. . . .

صنوف من الحب لا تلتقي   وفيك التقى لبُّها المحتوى
فلولا هدى نورها الأسبق   لما كنتُ كفؤاً لهذا الهوى

* * *

هذا هو الحب (*)

غريزٌ تسأل : ما الحب ؟
بنيتي ! هذا هو الحب !

* * *

الحب أن أُبصر ما لا يُرى   أو أغمض العين فلا أبصرا
وأن أسيغ الحق ما سرّني   فقول أبي ، فالكذب المفترى

* * *

الحب أن أسأل : ما بالهم   لم يعشقوا المنظر والمخبرا ؟
ويسأل الحاسدون ما باله   هام بهما مُهراً وما فكّرا ؟

* * *

الحب أن أفرق (1) من نملة   حسبنا وقد أصرع ليث الشرى
وأن أراني تارةً مقبلا   وخطوتي تمشي بي القهقرى

* * *

الحب كالخمر فإن قيل لي   سكرت ؟ هم القلب أن ينكرا
وكل عضو بعده قائل   نعم . ولا أحفل أن أسكرا

* * *

(*) هذا هو الحب : أعاصير مغرب .   (1) أفرق : أخاف .

الحب أن يفرق أعمارنا   عهدان ، والعهد وثيق العرى
أحببني الأكبر حتى إذا   عانقتني ألفيتني الأصغرا

* * *

الحب أن نصعد فوق الذرى   والحب أن نهبط تحت الثرى
والحب أن نؤثر لذاتنا   وأن نرى آلامنا أثرا

* * *

الحب أن أجمع في لحظة   جهنم الحمراء والكوثرا
وأنني أخطو في لهفتي   من منهما روّى ومن سعّرا

* * *

الحب أن يمضي عام وما   هممت أن أنظم أو أشعرا
وربما علّقت في ساعة   حواشي الدفتر والأسطرا

* * *

بنيّتي ، هذا هو الحبُّ
فهمته ؟ كلا . ولا عتب !
مسألةٌ أسهلها صعب
لا الناس تدريها ولا الكتب
حسبك منها . لو شئت حسب ،
إشارةٌ دقّ لها القلب

* * *

الحب (*)

ما الحب روح واحدٌ   في جسدين معتنقين

(*) الحب : أعاصير مغرب .

الحب روحان معاً   كلاهما في الجسدين
ما انتهيا من فرقة   أو رجعة طرفة عين

* * *

الصدار الذي نسجته (*)

هنا مكان صدارك   هنا ! هنا ! في جوارك

* * *

هنا ، هنا ، عند قلبي   يكاد يلمس حبّي
وفي به منك دليل   على المودة حسبي

* * *

ألم أنل منك فكرة   في كل شكّة إبرة
وكل عقدة خيط   وكل جرة بكرة !

* * *

هنا مكان صدارك   هنا ، هنا ، في جوارك
والقلب فيه أسيرٌ   مطوق بحصارك !

* * *

هذا الصدار رقيبٌ   على الفؤاد قريبٌ
سليه : هل مرّ منه   إليّ طيف غريب ؟

* * *

نسجته بيديك   على هدى ناظريك
إذا احتواني فإني   ما زلت في إصبعيك

* * *

(*) الصدار الذي نسجته : أعاصير مغرب .

ليلة الوداع (*)

أبعداً نُرَجّي أم نرجي تلاقيـــا   كلا البعدِ والقربى يهيجُ مابيا
إذا أنا أحمدتُ اللقاءَ فإنني   لأحمدُ حيناً للفراق (النعم)
الا من لنا في كل يوم بفرقةٍ   تُجددُ ليلات الوداع كما هيا
ليال يبيح الذُّل فيها زمامه   ويُرخص فيها الشوقُ ما كان غاليا

* * *

ويا ليلتي لما أنستُ بقربه   وقد ملأ البدرُ المنيرُ الأعاليا
تَطلّعَ لا يَثْني عن البدر طرفه ،   فقلت حياءً ما أرى أم تغاضيا
بنا أنت من بدر وددت لو انه   على الأفق يبدو أينما كان ثاويا
غدا تنظر البدر المضوّئَ . فوقنا   وحيدين من دارين لم تتلاقيا
أشم شذى الأنفاس منك وفي غد   سيرمي بنا البين المشتُّ المراميا
وألثمه كيما أبرد غلتي   وهيهات لا تلقى مع النار راويا (١)
فقبّلت كفيه وقبلت ثغره   وقبلت خديه وما زلت صاديا
كأنا نذود البين بالقرب بيننا   فتشتدّ من خوف الفراق تدانيا
كأن فؤادي طائر عاد إلفه   إليه فأمسى آخرَ الليل شاديا
إذا ما تضامنا ليسكن خفقه   تنزّى فيزداد الخفوق تواليا
أو شُجّ في كلتا يديه رواجبي (٢)   وشيجا يظل الدهرَ أخضر ناميا
وتلمس كفي شعره فكأنني   أعارض سلسالا من الماء صافيا
وأشكوه ما يجني ، فينفر غاضبا   وأعطفه نحوي فيعطف راضيا
أقول له يكفيك أنك قادر   على أمل أعيى الزمان المعاديا
قدرت على إسعادنا ومنحتنا   لياليَ أعيى منحهن اللياليا
قدرت ، ومن يقدر على السعد لم يكن   جميلا به أن يترك الخل شاكيا

* * *

(*) ليلة الوداع : الجزء الأول .
(١) راويا : اسم فاعل من روى الماء .
(٢) الرواجب : مفاصل الأصابع .

وناعية صاحت ولِلّيل هجعة   فقال : «علام البوم ينعب ناعيا»
القبحتِ منعمياء تقرأ في الدجى   إذا اسود أسطار الخراب الخوفيا»
فقلت :على النفس التي سوف تغتدي   طلولا بأحناء الضلوع خواليا
تجوس أفاعي الحزن في جنباتها   ويا ربما تأوي الضلوع الأفاعيا
فلا تحسبن البوم تنعى المغانيا   فقد تندب البوم النفوس البواليا
وكم وحشة للنفس يخشى اقتحامها   أخو غمرات ليس القيافيا

* * *

ولما تقضى الليل إلا أقله   وحان التنائي جئت بالدمع باكيا
فأقبل يرعاني ويبكي وربما   بكى الطفل لبباكي وإن كان لاهيا
وزحزحني عنه بكف رفيقة   وأسبل أهداب الجفون السواجيا
يقول لقد ران الكرى وتفرّقت   نجوم الدجى والديك أصبح داعيا
فقلت وكم من ليلة إثر ليله   سهرت وقد أمسيت وحدك غافيا
فهب من رقادك ليلة   فإنني قد وهبت حياتيا
حرام على النوم ، مادام هاتف   من الليل لا ينسى إذا بت ناسيا
وأسلمت كفي كفهُ فأعادها   وقلبي ! فهلا أرجع القلب ثانيا
فلم أر ليلا كان أبيض مطلعا   وأسود أعقابا وأشجى معانيا

* * *

الخمر الإلهية (*)

على طريقة ابن الفارض

. . . .

يدور بها الساقي علينا كأنها   مباسم ثغر والحباب ثناياه
جرت في صفاء الدمع وهي دواؤه   فمن ذاتها لم تجر بالدمع عيناه
تنير فلولا أن تسيل رحيقها   لقلت لظى أذكى النسيم شظاياه

(*) الخمر الإلهية : الجزء الأول . ٧١ (٦٢)(فقرة ٧٤) .

يكاد إذا طاف الغلام بجامها … يرفرف حوليه الفراش ويغشاه
لها في بين الشاربين توهج … إذا ما خبا قلب من الحزن أذكاه
تلوح كماء المهل[1] أما مذاقها … فمن سلسبيل الخلد في طيب سقياه
تشابه في عين النديم وما انتشى … فسوارغ صف كالثريا وملاه
كؤوس كجام السحر[2] يكشف وحيه … لعينيك من سر العوالم أخفاه
فما طاب في الفردوس ريا نسيمها … فأطيبُ في دار الشقاوة زياه
فلو مزجوا بالخمر طينة آدم … لعاش ولم يدر القطوب محياه

* * *

حسناء عمياء (*)

قسرة العين عزاءً … لك في الكون المنير
إنَّ طرفاً يأسر الناس … من هو الآن أسير
إنَّ سحرا غاض في عينيك هيهات يحور[3]
صدت الشمس ضياها … عنك يا أخت البدور
غربت عنك غروباً … ما له الدهر بكور
ليت نور العين مصباح مسار فستخير
ليس أولى ببكى العيس عن الحسن القرير
وجمال عن جمال الكون مكشوف حسير
مطمح الأبصار بدع … أن يُرى غير بصير

* * *

---
(1) ... شراب أهل جهنم .
(2) ... الذي يزعم السحرة أن من نظر إليها انكشف عنه الحجاب .
(*) ... حسناء ، الجزء الأول .
(3) ... بعيد

من تقليد «نشيد الأناشيد»(*)

أجل تلك خطاياها … وهاتيك خطاياها
فهل تدرين ماذا … لك الذي يدعى مزاياها ؟!

* * *

لنا فيها من العيب … سننساه وننساها
وللحسن الذي فيها … ستُحيي الآن ذكراها

* * *

سأحصي لك ما يعجب منها وهو كالشمس
كما أحصيت ما يغضب بعد الشعي والنفس

* * *

ثناياها ثناياها … وهل ذقت ثناياها ؟!
وعيناك ، ويا للقلب كم تسبيه عيناها ؟!

* * *

وتلك الوجنة الخمرية السكران رائيها
أغر الجنة يا رضوان تفاحٌ يحاكيها ؟!

* * *

وتلك القامة الهيفاء زانتها زواياها
إذا ما جار ردفاها … أقسام الجور نهداها

* * *

(*) من تقليد نشيد الأناشيد : أعاصير مغرب .

وتلك النسمة الحلو … ة فى ثوب الأناسى
هى الروح الفراشـ … ـية فى النور السماوى !

* * *

دعيها تفسد الخمـ … ـسين إفساد ابن عشرينا
وحاشا . بل هى الأكـ … ـسير باسم الحب يحيينا

* * *

وعندى من خُميَّا [1] الشـ … ـعر إكسيرى وترياقى
وهل كالشعر فى الدنـ … ـيا ربيع دائم باق !

* * *

مزيج (*)

ما الحب من محض الصدا … قة يا بنىّ ، ولا العداء
الحب فيه الخلطتا … ن ، وفيه مزجهما سواء
أحلى الصداقة والعدا … وة يمزجان لمن يشاء
فيه العطاء ، والاغتصا … ب ، وقل على الدنيا العفاء !

* * *

ندم (*)

عشقتك مُكَذّبا خلقى ورأيى … وعفتك صادقا لهما أمينا
وما أخطأت فى لوسيك يوما … وقد أخطأت فى عذريك حينا

* * *

(1) الخميا : سورة الخمر .
(*) ندم : أعاصير مغرب .
(*) مزيج . أعاصير مغرب .

تقويم العام (*)

تقويمُ هذا العام من … لحظاته الأولى لديك
قومى لرقمه وارفعى … عنه الغطاء براحتيك
من يوم مطلعه إلى … رجعاه موقوف عليك

* * *

وإذا انتهت أيامه … ولكل عام منتهاه
فعليك أنت وداعه .. … وترحبين بما تلاه
ويصحّى إذا دار المدى … ورعيت وحدى ملتقاه !

* * *

هى قبلة ضمت عُمـ … ـرين فاتصلا اتصالا
وتُمنى الخواطر فى غد … عام كسابقه مآلا
لا تعجلنَّ به فمن … أقسى الحياة على العجالى

* * *

لا . لا . فهذا يومنا … وغدٌ ، وبعد غد ، خفاء
أنا مغمض عينى ومسـ … ـتمع إلى حادى الرجاء
فإذا سمعت حداءه … فدعيه يمضى حيث شاء

* * *

وعام ثان (*)

بشراى . ما أنا شاهدٌ … يا عام وحدى ملتقاك

(*) تقويم العام . أعاصير مغرب .
(*) وعام ثان : أعاصير مغرب .

دارتْ بروجُك والهـوى — يخطو وتتبعه خطاك
وحمدت وجهك مقبلا — ومضى . فلم أذمم قفاك !

* * *

ماذي فتاتي هذه ! — هي لا خسوف ولا اشتباه
هي في بديع قوامها — هي في الصبا ، هي في حلاه
هي في غوايتها وآ — ه من غوايتها ، وآه

* * *

خمسي تغررُك يا بنيـ — ـة وابعثي منه الأمل
لا بالعهود إلى مدى — عام . ولكن بالقُبل
إن ساعفتني ليلة — فدعي العهود إلى أجل

عام تفتيح بالرجا — ء وبالرجاء ختمته
برعت ذاك العام في — قربي كما استقبلته
قولي ، وقد ولّى ، أفي — شرع الوفاء قضيته ؟

* * *

لا تخدعيني يا بنيـ — ـة بالوفاء من اللسانْ
خنتُ وخنت ولا أقو — ل سلمى فلانة أو فلان
عبث خيانتنا معاً — والآن نحن الباقيان

* * *

عبث خيانتنا كما — ذهب الوفاء ومن يفسرون
نغمة تبقى ولا — يبقى الوفيّ ، ولا الخؤون
كم خمسة ضيعتها — يا عام في تلك الغضون !

* * *

انظر ألست ترى فتى — تى حيث كنتُ ضممتها
في جلسة الأمس التي — حتى الصباح جلستها
فكأنها ما فارقت — صدري ولا فارقتها

* * *

وإذا سألتَ وربما — جاء السؤال بلا كلام
ماذا تقول مودعي — والليل يومىء بالسلام
حبرتني يا عام فاستمـ — ـع الجواب ولا ملام

* * *

ما كنت عندي أيها — العام كلك بالسعيد
لكنْ سويعاتٌ سمحت — لي فيك تنسي ألف عيد
غفرت ذنوبك كلها — وطغت على العام الجديد

* * *

حسبي من الدنيا الذي — أعطت ، ودنيانا غرور
حسبي قليل عطائها — وقليلها أبدا كثير
إن عاد يومُ غدٍ كأمـ — ـس فتلك - زمانُ - كما تدور

* * *

أكذبيني (*)

. . . .

أكذبيني وأكذبيني — كلما شئت أكذبيني
مـا غناء القلب عندي — إن أبى أن تخدعيني
أنا في ثروة وفقر — منه مهما تسلبيني
أنقصيها . أي ضير ؟ — درهما أو درهمين !!

* * *

(*) أكذبيني : أعاصير مغرب .

المرأة والخداع (*)

حلّ الملام فليس يثنيها ، ... حبُّ الخداع طبيعةٌ فيها
هو سترها ، وطلاء زينتها ، ورياضةٌ للنفس تحييها
وسلاحها فيها تكيد به من يصطفيها أو يعاديها
وهو انتقام الضعف ينقذها من طُول ذل بات يشقيها
أنت الملوم إذا أردتَ لها ما لم يُرِدْه قضاء باريها
خنها ! ولا تخلص لها أبداً تخلص إلى أغلى غواليها

* * *

الحب أحمق (*)

لم أدر كيف يُتاح لي نسيانها وخيالها في ناظريَّ معلّق
حتى نسيت ، فعدت أذكر أنها كانت هواي ، فلا أكاد أصدق

* * *

مصيبتان (*)

قالوا اسلها ودع البكاء فإنها في حبها ليست بذات وفاء
ومصيبتي فيها اثنتان لأنني أبكي لمن لا يستحق بكائي
من كل يبكي الأوفياء ففي الأسى لمن استحق أساه بعضُ عزاء

* * *

(*) المرأة والخداع : أعاصير مغرب .
(*) الحب أحمق : بعد الأعاصير .
(*) مصيبتان : أعاصير مغرب .

عجائب القلب (*)

تلك التي كنت أغليها وأذكرها صُبحها ومُسْيها ، وفي سر وإعلان
قد كنت أرحم نفسي من تذكّرها فاليوم أرحمها من فرط نسياني
عجائب القلب ، ويلي من عجائبه ! عزت نظائرها في العالم الفاني

* * *

فراغ . فراغ (*)

فراغ بارد شات ! بلا ماض ولا آت
أأموات ؟ نعم ، لكنْ نحسُّ فناءَ أموات
وويا بؤسَ الفناء نحس في كل ساعات

* * *

الصحوة الكبرى (*)

متجردان وعلكان سعادة لكليهما ، لا يحتويها العالم
يتمليان الصحوة الكبرى وقد سعدا بأسعد ما يراه الحالم

* * *

(*) عجائب القلب : أعاصير مغرب
(*) فراغ . فرغ : أعاصير مغرب .
(*) الصحوة الكبرى : بعد الأعاصير .

معجزة وبرهان (*)

أطفأت منى الليالي   شعلاً بعد شُعَلْ
من غواياتي وأحلا   مي ، ومن برق الأملْ
فلما يُومِضُ فيها النـ   ـور من نار القُبَلْ
عجباً ، لكنّه وهـ   ـو عجيبٌ قد حصل !

* * *

عجباً والدهر لا يفـ   ـني أعاجيب الحياة
مفرقٌ شاب يُشـ   ـبّ الحبُّ في قلب فتاة
شرك صاد - ولم أنـ   ـصبه - صيّاد البُزاة
وقديماً كان إن دا   ر على الصيد يصل

* * *

لولسانٌ قاله لي   لم أصدّق ما يقول
غير أن الشوق في خد   يك يسري ويجول
مزهرًا بعد ذبول   مشرقاً بعد أفول
قسمٌ فاه به قلـ   ـبك ، بل وحيٌ نزل

* * *

أحوج الوحي إلى معـ   ـجزة وحيٌ عجاب
عند قلب كافر بالنـ   ـاس يغلو في ارتياب
يا رسول الحب آمنـ   ـتُ وفي كفي الكتاب
طفلة تهفو إلى الشـ   ـيب ؟ أجل ثم أجل !

* * *

(*) معجزة وبرهان : بعد الأعاصير .

حين لُحْت تشابيـ   ـتُ ، ولي والله عذرٌ
وانثنى التصريح كالتـ   ـصريح والشك مصرّ
ثم طاش الصبر حتى   كاد يسعى وهو جهر
وتلاقينا فماذا كا   ن ؟ يركان جفلْ

* * *

حساب شكي وأنا الآ   ن بما خاب سعيد
وسعيدٌ كلما خا   ب ببرهان جديد
بين حسن فيك يزدا   د وإقبال يزيد
وسلام شاع في نفـ   ـسك كالليل شمَلْ

* * *

يا فتاتي هو من ربـ   ـك والله قدرْ
قدرٌ أرحم ما حمّ   على قلب بشر
أغمضي عينيك وامضي   فيه أيان استقر
واطمئني ما قضى الله   قضاءً فارتجلْ !

* * *

صاغه الله عجيباً   ومحا عنه عجيبا
غير بدع أن يهيج الشـ   ـر الخبى لهيبا
إنما البدع لهيب   يستقي منا شبوبا
كله إن جل أو قـ   ـل من الشمس وصلْ

* * *

نحن في الآفاق قربى   بعضنا ينشد بعضا
ربما قيل رماد   وهو ملء الأفق ومضا
إن في النور لقاحا   صنوه بالصنو يرضى
رب نجم منك لو   لا شرر مني أفلْ

* * *

انتقام جيتي (*) (١)

ـ صديقي القديمَ «جيتي» أعتذارًا لك من ســوء ظنّي ومــالي
كنتُ أنعي عليك حبك في الســ ـتين بنتَ العشرين ، فاغفر ملامي
دَ أتني على مــلامك من قــبلُ لحب دون الثــمــانين دام
فـانتظرني فقد يجيء اعتذاري لك طوعــاً في مــستقبل الأيام
نْ عشقنا كما عشقت وأوفيـ ـنا عليها انتقمت خير انتقام !

* * *

إلى الشفاه لا إلى الآذان (*)

فيم أروي لك شعري ؟ أنــا أدري . أنــا أدري

* * *

أنا أدري . يا فــتــاتي حــيث ألقي بالأغــاني
إن شعري ســمــعته شفتــان . . شفــتــان !
ها هنا مــســرب إلى القــ ـلب الذي أعنيــه دان

* * *

(*) انتقام جيتي : بعد الأعاصير .
(١) شاعر الألمان الأشهر وله قصة حب في الستين وأخرى في الثمانين .
(*) إلى الشفاه لا إلى الآذان : بعد الأعاصير .

* * *

رفَّ شعري حيث رفّت بالأماني قــبــلاتي
وتصــفّــحت صــداه قــبســـاً في الوجنات
هو من ثغــر فــتــاتي وإلى ثغــر فــتــاتي

* * *

فــيم تســعى رحلتي بــ ــين المعــاني وتطول
ها هنا الشعــر ومــوحي الــ ــشعــر يصــغي ويقــول
كل إصــغــاء لعــمــري بين هذين فــضــول

* * *

مزج (*)

سمّيتني باسم اللّذات وبيننا عــمــرٌ كعــمــرك أو يزيد قليــلا
مزجَ الهوى العمرين في جيل فلا تقــديم بينهــمــا ولا تأجــيــلا
ومحــا الفــوارق كلهن فلم يدع غــير الهوى جيــلاً لنا وقــبــيلا

* * *

لفــاع (*) (١)

لفــاعك في عنقي كــالوفــا ء يطوّق جيــد السمــيع المجــيب
مكانٌ ذراعــيــك أولى بــه نسيجٌ يديك السخي القشيب

* * *

(*) مزج : بعد الأعاصير .   (*) لفاع : بعد الأعاصير .
(١) اللفاع : هو ما يعرف بالكوفية ويلف حول العنق في الشتاء .

إذا فـاتتنى منك طيب العنا ق فلسـوى منه بديلٌ قـريب
فـلا أحـرم الدفء عند اللقـا ء ولا أحـرم الدفء عند المغيب

* * *

رأيـت (*)

رأيت النهر ظمـآ ن إلى البيداء يرويهـا
رأيت الزهر مشـتـاقـا إلى الأطواد يُحليهـا
رأيت الليلة الليـلا ء والكوكب حـاديهـا
رأيت الحـان تنسـاب إلى أفـواه حـاسيهـا
رأيت العـجب العـاجـ ـب فى الدنيا وما فيهـا
شـبـابـاً هام بالهـا مة قد شابت نواصيهـا
إخـال الحب يستحـد ث ترويحـاً وترفيـهـا
ألا فليلةُ مـا شـا ء فـمـا تغنى ملاهيهـا

* * *

من الأستاذ عماد (*)

يا حزين النفس أعطيت مناها فاغنم الفـرصة حتى منتهاها
لا تغصبها اختيـاراً واكتناها إن من خـاف من الجن براها

* * *

. . . .

لا تقل يا وردتى شـوكك أينا ما علينا منه فيـهـا ما علينا ؟
ربما أخفيته عنا فـاتـهـينا حـسـبنا الوردة رفّت فى نداها

* * *

(*) رأيت : بعد الأعاصير .
(*) من الأستاذ عماد : أعاصير مغرب .

إلى الأستاذ عماد (*)

يا صديق النفس من عهد صباها نصحك الصادق لو تُشفى : شفاها
مـحنةٌ تبلغ فى يوم مـداها ما ترانى صانعـاً ، أو مـا تراها ؟

* * *

ناصحى أنت بزهرى أتشـبـه لا أبالى الشوك والغصة فيـه
كل شوك يا صديقى أتقيه يخترق الدرع وإن دقت عـراها

* * *

وردتى يا صاحبى فى الورد بدع يدعـيهـا طبع وكل الورد طبع
طبعـهـا كالفح ينهال ويدعو وبلاء النفس فى مسّ جناها

* * *

إن تقل فـز بالجنى قلت رويدا أجنى الكيد ، فهل نأمن كيدا ؟
أجنى القيد ، فهل نحمد قيدا ؟ أجنى ، يا ويحها ، أشهى أذاها !

* * *

وردتى آفـتـهـا فرط التحدى جاوزت فى كل شىء كلّ حد
حسنها غيبها منه حسن ورد شوكها أنفذ من شوك سواها

* * *

أترانى نـاسـ ـيـاً والقلب دام ومسار الجرح يمشى فى عظامى
لذة العيش بوشى ونظام وامتلاء الأنف من عطر شذاها

* * *

(*) إلى الأستاذ عماد : أعاصير مغرب .

آه من برئي وآه من سقامي   آه من صلحي ، وآه من خصامي
آه من شمسي وآه من ظلامي   آه من لذعة آه في جواها

* * *

لذعة النيران ينفثن دخانا   ليضئ اللهب الخافي عيانا
لهباً صرفاً تعالى وتدانى   من قرار النفس يرتاد ذراها

* * *

آه من آه خلاها اللّه جسداً   لا تزل خالدة في النار خلداً
من قلوب تلتظي حباً وحقداً   حرقت آهاتها آها فآها

* * *

أنا لا أطفئها حتى تذوبا   في لظاها ، كلما شبت شبوبا
وأراني يا صديقي لن أتوبا   فإذا تابت عرفنا منتهاها

* * *

مترجمات

العرض (*)

معربة عن شكسبير

أرى الذكر للإنسان أنفس جوهر   تزان به أعراضه ومناقبه
وما سارقي من يسرق المال إنني   أرى المال من يظفر به تهو صاحبه
تقلّب في الأيدي فقبلك كاسب   حواه، وقد يحويه بعدك كاسبه
ولكنّ من يسلب من المرء عرضه   فذلك في شرع الحقيقة سالبه
يُضيع على المسلوب زينة نفسه   وليس يفيد العرض من هو ثالبه

* * *

الوداع (*)

معربة عن بيرنز

قبلة بعدها بطول الفراق   وعناق، وليس بعدُ عناق
سوف أبكيك والمحاجر شكرى [1]   بدموع من الفؤاد تراق
سوف أدعوك في الدجى بأنين   وزفير في الصدر منه احتراق
كيف يشكو من عثرة الجد ظلماً   مَن سيسالك لحسنه الآلاق
بعد إني درجت في ظلمة اليأ   س فحولي من الظلام نطاق
لست ألحى على الهيام فؤادي   قدرُ الحب دفعه لا يطاق
من رآها فكيف يسلو هواها   يعشق القلب إذ ترى الأحداق
آه لولا صبابة وغرام   قد شربناه والكؤوس دهاق
ما غدونا ولي فؤاد كسير   وجبين سيماؤه الإطراق
فسلاماً يا قسوة العين والقلـ   ـب وأحلى من صور الخلاق

(*) العرض – معربة عن شكسبير : جزء أول .
(*) الوداع – معربة عن بيرنز : جزء أول .
(١) شكرى : ملأى

حفظك الله بالسعادة والحب   ورواك ماؤه الرقراق
قبلةٌ بعدها يطول التنائي   وعناق، أواه ! ثم افتراق

* * *

لا طلع الصباح (*)

مترجمة ببعض توسع عن رواية روميو وجوليت

أمبتعدٌ وما اقترب الصباح ؟   كأنّ الدهر شيمته السماح !
أراعك صائح الطير المغني   فخلت الليل يعلم بالصباح ؟
ترفّقْ لا عدمتك من حبيب   فليس عليك من رفق جُناح
فذاك البلبل المسكين يبكي   فسيطربك كلانا شاء النواح
يرفّ له وجنح الليل داج   على رمان دوحتنا جناح
أكنت حسبتها الورقاء هبّت ؟   لعمرك والله جدّ بك المزاح
قليلاً ما أنست، فقف مَليّاً   قُبيل الفجر، لا طلع الصباح

* * *

الوردة (*)

مترجمة عن قطعة للشاعر الإنكليزي وليام كوبر

(وردة قطفتها صديقة للشاعر وقدمتها إلى صديقة أخرى فعرضتها هذه عليه تستدي قريحته فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت أوراقها فندم واستعبر ثم قال ذلك الشاعر الرقيق) :

أتتني بها عن خدنها مثل لونها   مبللة الأوراق باكية الحسن
جنتها لها ترب غصنان ترفّها   إليها، وقد يجني على الورد من يجتني

(*) لا طلع الصباح : الجزء الأول .
(*) الوردة : جزء أول .

كــــــأنّ ندى الطل دمعٌ أطله   فراق وُرَيدات صغار على الغصن
فأمسكتها خجلى الحيا أهزها   لتنشط من خوف وتبسم من حزن
فما كان أقساني ! لقد فاض روحها   وطُيّرت بداداً في التراب إلى الدفن
ولو لطفت كفي لفاحت وأزهرت   كما شئت من عطر وما شئت من حسن
كــــذلك يكون اللوم طعناً وربما   حوى بلسماً يشفي الجريح من الطعن
وكم راح تعنيف الشجي بروحه   ألا إن بعض العذل يضني ولا يثني
ولو لمت في رفق رأيت ابتسامة   تجول مكان الدمع من جانب العين

* * *

القـــــدر (*)

مترجمة عن بوب الشاعر الإنكليزي

إنما الغيب كتاب صانه   عن عيون الخلق رب العالمين
ليس يبدو منه للناس سوى   صفحة الحاضر حيناً بعد حين

* * *

لا مرتين على جبل الكرمل (*)

سقاك الحيا يا حوض أعذب ما سقى   ففيك قرأت الحسن سطرا منمّقا
حباك الفضاء اللازوردي لونه   فجلاك كالمرآة تلمع أزرقا
أراك وقد فيأت «ليلى» عشية   صموتا كمن يصغي إليها محدقا
تمثل منها وجهها - فعلَ عاشقٍ -   يطل إلى معشوقه متشوقا
فتطلعه كالبدر يبدو مثاله   بمصطفق الآذيّ أبلج مشرقا
فما حفلت عين بما فيك من حصى   حكى الدر أو عشب هنالك أورقا

(*) القدر - جزء ثاني .
(*) لامرتين على جبل الكرمل : الديوان الجزء الأول الطبعة الأولى . (٦٨ فقرة ٦) .

وما ينظر الرائي السماء مصعّدا   إلى الأفق بل يستوضح الماء مطرقا
لك الله كم حسناً حويت ورونقا   روى الماء عن ليلاى فيك فأصدقا
فعينان أبهى زرقة وملاحة   من الزهر ينمو في حوافيك مونقا
وحسبك من در المحار بمبسم   تضاحك فيه دره وتألقا
وثغر كأن الورد باكره الندى   فجال على أوراقه وترقرقا
وجيد كمثل العاج أبلج ناصعا   على أنه كالغصن مال على النقا
وفرع كتخفق الموج فيك خفوقه   يكلل منه الزهر فودا ومفرقا
وفيك من المرجان يا حوض دملج   تحلى بأحلى معصم حين أحدقا

* * *

رفعت يدي دون النسيم وقد سرى   مخافة ذاك الظل أن يترنقا
أحسدت نفسي أنني منك لا قط   إذا ما مددت الكف درا منسقا
وأرشف من ماء هنالك ريق   جلاه الحسن عذبا في حواشيه ريقا

* * *

على أن ليلى خلفتك وأجفلت   إلى أمها تعطو لديها تأنقا
فأني لأدلي فيك طرفي فلا أرى   سوى الماء أمسى راكد الحس ضيقا
تذوقت منه قطرة بعد قطرة   فألفيت ما لا يستطاب تذوقا
وكنت أرى حسنا فمالي لا أرى   سوى حشرات أو نبات تفرقا

* * *

حنانيك يا بنت المشارق إن لي   فؤادا بربات الجمال تعلقا
خبيئة سر في الفؤاد كسره   على الماء أن حكاك فدققا
فظل رسمت فيه لحاظك صورة   مدى الدهر لا تمحى وتزداد رونقا
ستبرى من تلك اللحاظ كأنها   هي النجم في عرض السماء تألقا
إذا رمقت فالصبح ، أو حال دونها   خمار ، فهذا الليل من قد تعشقا

* * *

حديقة الحيوان

مسودات الحياة (*)

مسوّدة : (*)

تأمل ترَ الأحياء عُجشًا كأنها ... مسوّدةٌ للخلق لمّا تُنقّح
ويارب سطر في كلام مسوّد ... يعود فيخفى في الكلام المصحح
أراها كأخوان تفاوت حظهم ... وسيرانهم ، من سابقين ورزّح
فمن حائز نُعمى أبيه وأمه ... ومن خاسر رفديهما أو مطرّح
ومن يلقهم يلق الحياة كأنها ... حبتْ طفلةً من مهدها المترجّح

* * *

رأى واحد (*)

في وضعين مختلفين

زعموا الإنسان قرداً ... قد ترقّى وتحلّى
وأناس يزعمون الـ ... ـقرد إنساناً تدلّى
هو رأى واحد نقلـ ... ـبه علواً وسفلا

خنزير أعجف (*)

فيه خنزيرية ظاهرة ... ما نفاها عنه ذاك العجف
هو خنزير ولكن شأنه ... جسدٌ في وضعه منحرف

(*) مسودة : وحي الأربعين ١٤.
(*) رأى واحد : وحي الأربعين.
(*) خنزير أعجف : هدية الكروان.

خمارويه وحارسه (*)

(كان لخمارويه بن أحمد بن طولون أسد عوّده أن يجلس بين يديه إذا أكل وأن يسهر إذا نام وقد سافر مرة وتركه بمصر فقتل في دمشق ، فأعجب لرجل حرمته السباع واغتاله الناس ! .)

ركنت إلى السباع خمارويه ... ولم تركن إلى أحد سواها
...وظك نائماً وتبيت تخشى ... قلوب الناس أن يطغى أذاها
ليس من العجائب أن ليثاً ... يذود رعيّة عمن رعاها ؟
وإن يحمي ابنَ آدم من أخيه ... سباعٌ جَلَّ أن يُدعى أخاها
...فت يدي حفاظٍ ليس يُرشى ... ولا ينسى الحقوق لمن حباها
...م تتلوك حين وثقت منهم ... وكم حفظ العهود فما اعتداها
...ن تهدد اغتيالك في دمشق ... لتضرّج بالجناية من جناها

* * *

العقاب الهرم (*)

... يعييه النهوض فيجثم ... ويعزم ، إلا ريشه ، ليس يعزم
...ترق العصور وهو على الثرى ... مُكبٌّ ، وقد صاح القطا وهو أبكم
... حدباء القدامى كأنها ... أضالع في أرماسها تتهشم
...نه حمل الجناحين بعد ما ... أقلاه وهو الكاسر المتقحم

(*) ...رويه وحارسه : الجزء الأول .
(*) ... الهرم : جزء أول ، ٣٠ (١٢ (فقرة ٤٥) .
... عيرانا حقيقا .
...

جناحين لو طارا لنصت فدوّمت ... شماريخُ رضوى واستقل يلملم (١)
ويلحظ أقطار السماء كأنه ... رجيم على عهد السموات يندم
ويغمض أحياناً فهل أبصر الردى ... مقضاً عليه أم بماضيه يحلم
إذا أدفأته الشمس أغفى وربما ... توهمها صيداً له وهو هيثم (٢)
لعهتك يا شيخ الطيور مهابةٌ ... يفر بغاث الطير عنها ويهزم
وما عجزت عنك الغداة وإنما ... لكل شباب هيبة حين يهرم

* * *

عيش العصفور (*)

حطَّ على الغصن وانحدر ... أقلَّ من لحظة البصر
مستقرّاً قطّ ما توانى ... مرفرفاً قطّ ما استقر
يلمس أيكاً بُعيد أيك ... كأنه لامساً يلمس الإبر
مطارداً لا إلى طريد ... مسابقاً لا إلى وطر
كخفة الطفل في صباه ... لكنها خفة العُمُر
وروده تعبة فأخرى ... من خوف الطائر الصدر ؟
يقارب السحب ثم يهوى ... يبشر الروض بالمطر
أصدق من سار في سرار ... بين الحيا (٣) العذب والشجر
ويستحث الرياح ضرباً ... بخافقيه فتستبدر
لله ما أهول المطايا ... وأضعف الراكب الأشر (٤)
طار عليها شيخاً ... بين البساتين والغدر

* * *

(١) الشماريخ : ... في الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة الطيران سلبت من جناحيه فأصبحت ... الجبال سواء . ورضوى ويلملم اسما جبلين .
(٢) الهيثم : العقاب الصغير .
(*) عيش العصفور : جزء أول .
(٣) الحيا : المطر .
(٤) الأشر : الفرح .

لا أعين الماء ناضباتٌ   ولا خلا الروض من ثمر
أخيرٌ بالنضج مقلتاه   عن سقى الحب أو بذر
سلة عن الجند والزمر   سله عن الملك والشرر
لم يأته عنهمُ بلاغٌ   ولا دليل ولا خبر
هذا هو العيش فاغبطوه   عليه يا أيها البشر

* * *

هذا هو العيش فارحموه   عليه واستخبروا الغِيَر
فإن سألتم فسائلوه   عن صولة الصقر إن كسر (١)
وحيلة الدّبق (٢) في ثراه   وغيلة الحية الذكر
هناك ينزو له فؤاد   لا يجهل الريب والحذر
لم يخف عن أعين الليالي   ولا توارى من الصغر
حبائل الدهر قانصات   من طار أو غاص أو خطر
من عاش يوماً أو بعض يوم   يعلم ما ضربه القدر
أليس هذى الحياة ذخراً   وحارس الذخر في خطر ؟؟

* * *

الكروان (*)

هل يسمعون صدى الكروان   صوتا يرفرف في الهزيع الثاني
من كل سار في الظلام كأنهُ   بعض الظلام تفضله العينان
يدعو ، إذا ما الليل أطبق فوقهُ   صبح الدياجي ، دعوة الفرقان
ويثبّ في الجو السحيق كأنهُ   يبغي النجاة إلى حمى كيوان (٣)

(١) كسر : الطائر الكاسر هو المتهيئ للانقضاض على الفريسة .
(٢) الدبق : الشرك .
(*) الكروان : الجزء الأول .
(٣) كيوان : عطارد إله الغناء والفنون عند اليونان .

عاف التجمل فهو في جلبابه   فان يرتل كالأبيل الفاني (١)
ما ضر من غنى بمثل غنائه   أن ليس يبطش بطشة العقبان
إن المزايا في الحياة كثيرة   الخوف فيها والسطا سيان (٢)

* * *

يا محيي الليل البهيم تهجداً   والطير آوية إلى الأوكان
يحلو الكواكب وهو أخفى موضعاً   من نابغ في غمرة النسيان
قل يا شبيه النابغين إذا دعوا   والجهل يضرب حولهم بجران (٣)
كم صيحة لك في الظلام كأنها   دقات صدر للدجنة حان
هن اللغات ولا لغات سوى التي   رفعت بهن عقيرة الوجدان
إن لم تقيدها الحروف فإنها   كالوحي ناطقة بكل لسان
أغنى الكلام عن المقاطع واللُّغى (٤)   بث الحنين وفرحة الجذلان

. . . .

ما أحب الكروان (*)

ما أحب الكروان !
هل سمعت الكروان !

موعدي يا صاحبي يوم افترقنا   حيث كانت جيرةٌ أو حيث كنا
هاتفٌ يهتف بالإسماع وهنا (٥)   هو ذاك الكروان ، وهو هذا الكروان !

* * *

الكراوين كثير أو قليلْ   عندنا أو عندكم بين النخيلْ
ثم صوت عابرٌ كلَّ سبيلْ   هو صوت الكروان ، في سبيل الكروان

* * *

(*) ما أحب الكروان : عدية الكروان .
(١) الأبيل الفاني : الراهب .   (٢) سطا : جمع سطوة .
(٣) الجران : عنق .   (٤) واللغى : جمع لغة .
(٥) وهنا : الوهن من الليل نحو منتصفه أو بعد ساعة منه

لي صدى منه فلا تنسى صداك … هو شاديك بلا ريب هناك
فإذا ما عسعس الليل دعاك … ذاك داعي الكروان ، هل أجبت الكروان ؟

* * *

مفردٌ لكنه يؤنسنا … ساهرٌ لكنه ينعسنا
صدحت في نفسه أنفسنا … فتسامعنا سواء ، وسمعنا الكروان ؟

* * *

واحدٌ أو مائة ترجعه … عندنا أو عندكم مطلعه
ذاك شيءٌ واحد نسمعه … في أوان وبيان ، هو صوت الكروان

* * *

واحدٌ بين عصور وعصور … نحن نستحيي به تلك الدهور
لم يفتنا غابر الدنيا الغرور … في أوان الكروان ، ما أحب الكروان

* * *

على الجناح الصاعد (*)

حادى الظلام على جناح صاعد … يا أرض أصغي ، يا كواكب شاهدي !
يا آنسين بصحبة من وجدهم … نصوا المسامع للأنيس الواجد
يا ساهدين على انفراد في الدجى … ردوا التحية للفريد الساهد
المستعزُّ بعرسه وكأنه … منهما نجيٌّ مغاور وفراقد
لهجت طيورٌ بالضحى وتكفَّلتْ … بالليل حنجرة المغني الخالد
يحدو ويشدو لا مساعد حوله … أبداً ، وما هو آمنٌ لمساعد
أنا صائد لصداك ، لستُ بصائد … لك أنت يا كروان ، فأمن صائدى
بينا أقول هنا إذا بك من هنا … في جنح هذا الليل أبعد باعد

(*) على الجناح الصاعد : هدية الكروان .

وودت يا كروان لو ألفيت لي … صوتين منك على مكان واحد
إن كنت تشفق أن أراك فلا تزل … في مسمعي وخواطري وقصائدي
عاهدت هذا الصيف لست بواهب … سمعي سواك ، فهل تراك معاهدي ؟
من كان قد أغنى الطبيعة كلها … مُغنيٌ عن شاد سواه وشائد

* * *

شدو لا نوح (*)

شدوُ القماريِّ لا نوح القماريّ … هل يعبر الحزن بالشادي الصباحيّ ؟
أو الربيعيّ في أنس وفي أمل … وفي غرام على الإلفين مطويّ ؟
يا حسنها من بشيرات على دعة … كأنها أمنت فوت الأمانيّ
محبَّبات إلى الإنسان تألفه … وتستطلي من ذراه كلُّ علويّ
تهوى الديار ، وفي الآفاق مطلعها ، … ما بالها ؟ هل سباها حسن إنسي ؟
ولا ناسيٌ حسنٌ لا أبوح به ! … هل تعرف الطير ما حسن الأناسي ؟
غنَّتْ لزهر وسلسال ولو رشفت … زهر البسام جُنَّت بالأغانيّ
أولى لقُمريّنا أن لا يحوم على … يأمل الهوى بين إنسي و «طَيْريّ»
غرد على الدور يا قمريُّ في دعة … واسلم هنالك من باك ومبكيّ
واتلُ الرجاء على هذا وذاك ولا … تسألهما عن جوى في القلب مخفيّ
حسب المغاني التي يبكي الحزين بها … من سلوة ، أن فيها شدو قمريّ

* * *

شفاعة الغراب (*)

يحيي الغراب الفجرَ بالنعيب … تحية التهليل والترحيب
وأقبل نور الفجر كالحبيب … في غير ما لوم ولا تثريب

لهاتف ناداه من قريب

* * *

(*) شدو لا نوح : هدية الكروان .

(*) شفاعة الغراب : هدية الكروان .

ما ذنب ذاك الناعب المسكين   ألا يحييّ النور بالتيسقين
تحية العصفور والشاهين ؟   ألا تدين كلهما بدين ؟

فماله يعذل كالرقيب ؟!

* * *

شفاعة الأنوار والأعتاب [illegible]   في الأسود المهجور في الخراب
ما الصَّدْحُ الهاتف بالعجاب   أصدق حباً لك من غراب

فاعذره يا فجر على التشبيب

* * *

أسمعته والطير في أوان   وقُبلةَ الصبح ، وقد ناجاني
صوت حبيبي باديّ الحنان   للملك الموعود بالحرمان

وماله في الحسن من نصيب !

* * *

أمنتُ منه لوعة الفراق   وكلٌّ (غاق) عنده وفاق
فلا يزل ينعم بالاشفاق   من الرياض الفسيح والآفاق

ومنك يا فجر ، ومن حبيبي

* * *

(*) الحب : أعاصير مغرب .

أسبوع فلورة (*)

أو تكريم الكلاب

(لا أعني تكريم كلاب الجاز ، فليس تكريم هذه الكلاب بالأمر الطارئ أو البديع الغريب .. وما خلا زمان ولا مكان من كلب من كلاب الإنس علا به الجد إلى حيث باتت تزلف إليه الأسود وتمشي بين يديه السباع ، فإن المرء ليعجب كيف صار إنساناً له خسة الكلب وتذالته وليست له نظراته وإهانته ، والناس تظلم الكلاب بحشره في زمرتها ، ويرون نهاية الزراية وصفه بصفتها . وإن الكلبية لتبرأ براءة الإنسانية منه .. ولكني عنيت الكلاب ذات الأذناب وقد وصفها العرب ورثوها ومدحوا خفتها وسرعتها ولكنهم لم يسبقونا إلى الاحتفاء بها ، والاحتفال بولادتها وتسميتها ، وأن حقاً على الناس أن يحمدوا الأمانة حيث كانت وأين ظهرت ، فهل نلام إذا نحن مجدناها في مخلوق من مخلوقات الله ؟

اجتمعنا في رهط من الأدباء ليلة من الليالي ، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضي أسبوع على ولادة كلبة لبعض أصدقائنا فقلت أبارك للنفساء وأحيي المولود ! :)

أعلمني أبا فلورة الأفراحا   وأملأ الأرض والسماء نباحا
ما حبا الدهر مثل كلب بأغلى   من ذراريك عنصراً ولقاحا
أبشري بابنة الكلاب ، بجرو   سوف يغني عن جيله الاتراحا
ما تقضى الأسبوع إلا تمشّى   يذرع الدار جيئة ورواحا
خلع الليل والنهار عليه   فتوارى عن العيون ولاحا
[illegible] الدهر ذيله حين وافى   وعرى الكون بهجة وانشراحا !
سوف يدعى على الكلاب أميراً   يفزع الأسد وثبةً وصياحا
يلبس الطوق من نضار ودر   ويحسوك الخبز الثمين وشاحا

* * *

(*) أسبوع فلورة أو تكريم الكلاب : جزء أول

واراه بعتبة مستبشرة قطمـ   ـير (١) وقاراً وفطنة وصلاحا
لا أصابت عصا لئيم قفاه   أو ثوى في الطريق لبل صباحا
لا ولا عضه من الجوع ناب   يثخن الناس والسباع جراحا
أو ترامى على الموائد يوماً   يرقب العظم سائلاً ملحاحا
أو يراه داء الكلاب فأخفى   بين جفنيه عسجداً لماحا
كان إيواؤها حراماً فأضحى الـ   ـيوم إيواؤها حلالاً مباحا
قد فسرحنا في عيده وطربنا   وشربنا في نخبه الأقداحا
يا كليباً أزرى بذكر «كليب»   لا تظنن ما نقول مزاحا
ما مدحت الأنام يوماً وإني   لست آلوك يا كليب امتداحا
أعجم الناس في الوداد وما زا   ل بنو الكلب في الوداد فصاحا
إن عي اللسان خير من النطـ   ـق إذا كان للأذاة سلاحا
وسعار الكلاب أهون شراً   من سعار يرق الأرواحا

* * *

أبو العيد (*)

طائر يأكل دود القطن

أبا العيد لو جئت بين الأولى   لصلى إليك عباد الجعل
ولا تخذوك إلهاً لهم   له ملة بين تلك الملل
وقالوا إنه رحيم بنا   فمن يدن منه بسوء قتل
وأبدلت من شركة بيعة   على الأرض شاهقة كالجبل
وكان لعيدك في أرضهم   أبا العيد يوم عظيم الجذل

* * *

(١) قطمير : كلب أهل الكهف .

(*) أبو العيد – طائر يأكل دود القطن : جزء أول .

وعل كردفان (*)

بحديقة الحيوانات

يا وعل القفر كيف أسرى   إلى حماك العزيز أسر
ساقك يثنيهما العوادي   والضأن عداءة تكر
سهوت عنا وعن أناس   يعجبهم سجنك الأمر
تذكر داراً نأيت عنها   والعمر غض الإهاب نضر
والأرض قد ملكتك فيها   ساق لها كالرياح عسر
تروده منها سهلاً ووعراً   يرضيك مرج منها وقفر
لو فر من حتفه وليد   لكنت في حبها تفر
هذي ديار وتلك أخرى   هيهات من كردفان مصر
وربما خلتها قريباً   ليها وراء الحديد عبر
لو زحزحوا بابه قليلاً   لخلت من كردفان عقر (١)
تبلغها طفرة فأخرى   ولا يؤد الوعول طفر
وكل ذي حاجة جسول   وكل راجي الخلاص غر

* * *

فضاؤك الحب واحتمله   واصبر وإن لم يفتك صبر
نت بحسن العفراء أحجى   وبعض حسن العفراء كبر
تربك (٢) تسليك والروابي   حولك رفافة تسر
ألفت أن الأسود فيها   وكان للسمع منه وقر
ويحك إن همهمت تسكن   قلب بجنبيك مقشعر
أمنك الذل وهو خوف   وحاطك الأسر وهو شر

* * *

(*) وعل كردفان – بحديقة الحيوانات : جزء ثالث ٢١٦ (١٩ فقرة ١٤٦) .

(١) عقر : الدار وسطها .

(٢) تربك : الترب الند والمقصود به هنا أنثى الوعل .

عش مفرد القيد ، إن أصلا ... غماك بين الأصول حر
وما وجدنا الإنسان إلا ... مضاعف القيد لا يقر
للضيم فيه وفي ذويه ... حرٌّ بفسوديه مستسر
نحن بني آدم أسارى ... لنا بوشم الإسار سخر

* * *

الطير المهاجر (*)

علمتني مواسم الروض أنَّ الطـ ... ـير شتى : مهاجر ومقيم
أقرانى لا أسمع الطير إلا ... في رياضي معششاً لا يريم (١) ؟
رب شاد في هجرة يتغنى ... وعليه السلام والتسليم
من جنوب إلى شمال ، وحيناً ... من شمال إلى جنوب يحوم
فله حين يستقلُّ (٢) وداع ... وله حين يقبل التكريم
خذ من الطير كلَّ يوم جديداً ... فسواء جديده والقديم
كم مُوَلٍّ وصفوه لا يولي ... ومقيم وصفوه لا يقيم

* * *

حديقة حيوانات آدمية (*)

(هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون ، سمى كل زميل من زملائها باسم حيوان يلاحظ في اختياره اتفاق الشبه في الملامح والعادات . وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف في أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغني ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة ، وهي لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان :)

أورفيوس الفن سوَّى بينها ... فتلاقى الذئب فيها والقرود

(*) الطير المهاجر : أعاصير مغرب .
(١) يريم : يفارق .
(٢) يستقل : حين يبرح ويسافر .
(*) حديقة حيوانات آدمية : وحي الأربعين .

وتغني فرسُ البحر بها ... ياله من فرس طَلْق النشيد !
ومشى الأرنب والحوت لها ... صاحب القاعين من لُج وبيد
وتآخى الجديُ والضبع وما ... بين هذين سوى الثأر اللدود
وجرى «السيسي» فيها شوطه ... وهو ناهيك بسيسي عتيد
ولغا «البطريق (١)» فيها لغوه ... وهو من قطب جنوبيٍّ بعيد
وكأني بالزرافي (٢) اجتمعتْ ... وحمير الوحش منها في صعيد
وأوى السنور والجرو إلى ... غرفيها ، على غير الوصيد (٣)
والسلحفاةُ تجاري عندها ... أرنب البيداء والكلب الشريد
فُتحتْ أقفاصها واختلطتْ ... لا سدود : لا قيود ، لا حدود
حيوانات غداها آدم ... وهي من أمثاله نسلٌ فريد
حيواناتٌ ولكن بينها ... كلٌّ ذي لب ساوى رشيد
أورفيوس الفن سوَّى بينها ... فاستوى المنشد فيها والمعيد

* * *

رثاء كلب (*)

حزناً على كلب طاهر (٤) ... فإنه طاهر الكلاب !
تشابها في خليقة ... واتفقا - شيمةَ الصحاب
وربما غير طاهرٍ ... وكلبه حاضر الجواب
فليس يُرضيه حقه ... من اكتئاب أو انتحاب
إلا إذا بات نابحاً ... نبح المساعير في الخراب
عو عو ، عووو ، بلا وني ... ولا انقطاع ولا اقتضاب

* * *

(١) البطريق : هو الطير المعروف في اللغات الأفرنجية بالبنجوين .
(٢) بالزرافي : جمع زرافة .
(٣) الوصيد : العتبة ، وفي البيت إشارة إلى الآية «وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» .
(*) رثاء كلب : وحي الأربعين .
(٤) طاهر : هو الأديب طاهر الجبلاوي .

لا تســـألوا رحـمــــة له	قــد رحم اللّه واستـجـاب
لعله مـــات قــــانطاً	من «أزمــة» الأكل والشــراب
منتـحـراً في شــبـابه	وهكذا يفـعل الشــبـاب
أراحــــه اللّه من ضنىً	أنقـذه القـبـر من عـذاب
فليـحـمـد اللّه ربه !	من جـاع فليـرضَ بالتـراب

* * *

كلب ضائع (*)

أوديوجين الكلبي (*)

أمسـت كـلابك شـتى	وأنت يا صـاح أنتـا
كلبٌ تجنـا وهـو حيٌ	وأخـرٌ فـرّ عـيـتـا
مـا بين تارك دنيـا	وتارك لك بيـتـا
قل لي بربك مـاذا	على الكلاب جنيـتـا
حتى «ديوجين[1]» ؟ قل لي	يا شـيخ مـاذا صنعـتـا
واللّه مـا كـان يأبى	لو صـادف الخبـز بحـتـا
أو جـدت يومـاً عليـه	فـصـادف الأدم زيتـا
زعـمـتـه راح يهـوى	من قسوة الفـقـر بنتـا
لا تلزم الحب ذنبـاً	من الصيـام تأتى
فـاحـمل رغيـفاً تجده	في أي صـوب نظرتا
مصـباحه[2] ليس يجدي	فـلا تضع فيـه وقـتـا
أنعـمْ به من حـكيـم	إلى ديوجين مـشـتـا
رأى الســلامـة حـقـا	ومن رأى الحق أفـتـى

* * *

(*) كلب ضائع – أوديوجين الكلبي : وحي الأربعين .

(1) ديوجين : الكلبي فيلسوف يوناني . قد سمى الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس ولأنه يت إلى غسوف بصلة الكلبية .

(2) مصباحه : كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً في النهار يفتش به عن رجل فلا يجده .

أمام قفص الجيبون (*)

في حديقة الحيوان

(القرود العليا هي الشمبانزى و «الأرانج أتانج» و «الغورلا» و «الجيبون» وهو فرع وحده في رأى كثير من الشرقيين ، لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف .

ومن هذه القرود العليا ما يصلح – من الوجهة الشعرية – أبا للفلاسفة والحكماء وهو «الشمبانزى» لتأمله وسكونه واشمئزازه من الحياة !

ومنها ما يصلح أبا لرجال المطامع والوقائع وهو «الغورلا» لبطشه وهياجه وقوة عضله .

ولكن «الجيبون» وحده هو الذي يصلح من الوجهة الشعرية أبا للفنانين والراقصين لأنه لعوب طروب ، رشيق الحركة خفيف الوثوب يقضي الكثير من أوقاته في الرقص والمناوشة ، ويحب أن يعرض للناس ألاعيبه وبرواته ، وإذا صعد أو هبط في مثل لمح البصر فإنما يصعد ويهبط في حركات موزونة متعادلة كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ في مساواة الوقت ولا في مضاهاة المسافة ، فإذا شهدته فاسأل نفسك :

ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو في «سلم الرقي» ولم يأت على درجات السلم كلها صعودا ووثبا في بضعة ملايين من السنين ! هذا سؤال ، وسؤال آخر تعود فتسأله : ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد ؟ الطعام المطبوخ ؟ هو يأكل طعامه الآن نيئا وذلك أنفع ، أو يأكله مطبوخا على يد غيره وذلك أدنى إلى الراحة !!

أو يفيد العلم ؟ فصاراه إذن أن يقول «لست أدرى» كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود .

أو يفيد وزن الشعر ؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض ، وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن رشاقة الوثب ورقصات اللعب ليستعيض منها بترقيص الكلمات وترقيع المعاني ، وهو قاعد حسير ! أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات :)

(*) أمام قفص الجيبون : عابر سبيل .

أيهذا الجيبون أنعم سلاما | يا أبا العبقرىّ والبهلوان
كيف يرضى لك الجنون سقاما | مُزريا ، فى حديقة الحيوان ؟

* * *

إلعبْ الآن وانتظر بعدُ حقْبا | ترقَ فى «سلم الرقى» وتصلْ
كيف لم تصعد السلالم وثبا | أيها الصاعد الذى لا يمل

* * *

يا عميد الفنون صبراً ، ومهلا | وارض حظ الهتاف والتهليل
مرحبا مرحبا ، وأهلا وسهلا | والهدايا ما بين لب وفول

* * *

انتظر يا صديق شيئاً فشيئاً | تطبخ القوت كله بيديكا
غير أنى أخال ما كان نيئاً | منه أجدى فى الحالتين عليكا

* * *

انتظر يا صديق مليون عام | أو ملايين ، لست والله أدرى !
إن تدانيت بعدها من مقامى | فقصارى المطاف أن لست تدرى

* * *

واصطبر إن عناك نثر ونظم | سوف تتلو نثرا وتنظم شعرا
وغدا يظفر الخيال ويسمو | والذراعان لا تطيقان طفرا

* * *

وجمال الوجوه سوف تراه | فى المرايا ، بعد الطواف الطويل
سوف تحلو فى ناظريك حلاه | فتتهيأ للضم والتقبيل !

* * *

وإذا ما درست أوزان رقص | بعد لأى ، فالرقص فيك انطباع
هل تنال الكمال من بعد نقص | إن أقلتْك فكرة ، لا ذراع ؟

* * *

قفص أنت فيه أرحب جدا | من فضاء ، تقيم فيه أسارى
قد ضللنا فيه وهيهات نهدى | ونجوم السماء فيه حيارى

* * *

انتظر ! سوف تفهم الشىء باسم | بعد رسم ، وغابر بعد حال
فإذا ما طلبت باطن فهم | يا صديقى ، طلبت أى محال

* * *

أين بالأمس كنت يوم ابتدأنا | والتقينا بآدم فى الطريق
قد بلغنا . فأين تبلغ أينا | حين تمضى وراءنا يا صديقى ؟

* * *

إلهُ والعب واضحك كما شئتَ إنا | أنت طفل الزمان ، والطفل غر
سوف تبكى حزنا وتضحك حزنا | حين يمضى دهرٌ ويقبل دهر

* * *

عتب على الجيبون (*)

(ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة ، وقصدوا إلى قفص «الجيبون» فإذا هو في تلك الساعة كاسف البال صادف «المزاج» عن الرقص واللعب ، فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة ، كأنه هو الذي يعرض الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألاعيبه ، وفي الأبيات التالية رجاء كذلك الفنان ألا يكذب شهادته ولا يخيب ظنون الأدباء في مدحه وتقريظه :)

أيهـا الجيبـون لا تفـ ـضح تقاريظي وشكري
أنت بعد اليوم محسو ب على نقادي وشعري
أنت إن لم تحسن الرقـ ـص فمن يحسن عذري ؟
أنت إن قصرت قالوا شاعر بالزور يطري
ما لذا العقاد والتفسـ ـير و «التقريظ» يغري
أنه يسرف بالمد ح ولكن ليس يدري
فاملأ الأقفاص يا جيـ ـبون طفرا أي طفر
وقل العقاد لا يخطـ ـئ في تعريف قدر

* * *

(*) تب على الجيبون : عابر سبيل .

بيجـو (*)

رثـاء

حزناً على بيجو تفيض الدموع
حزناً على بيجو تثور الضلوع
حزناً عليه جهدَ ما أستطيع
وإن حزناً بعد ذاك الولوع
والله - يا بيجو - لحزنٌ وجيع

* * *

حزناً عليه كلما لاح لي
بالليل في ناحية المنزل
مُستقبلي حيناً ومستقبلي
وسابقي حيناً إلى مدخلي
كأنه يعلم وقت الرجوع

* * *

وكلما داريت إحدى التحفْ
أخشى عليها من يديه التلف
ثم تنبهت وبي من أسف
ألا يصيب اليوم منها الهدف . .
ذلك خير من فؤاد صديع

* * *

(*) بيجو : أعاصير مغرب .

حزنى عليه كلما عزنى
صدق ذوى الألباب والألسن
وكلما فوجئت فى مأمنى
وكلما اطمأننت فى مسكنى
مستغنياً . أو غانياً بالقنوع

* * *

وكلما ناديته ناسياً :
بيجو ! ولم أبصر به آتيا
مداعبا مبتهجاً صاغياً . . .
قد أصبح البيت إذن خاويا
لا من صدى فيه ولا من سميع

* * *

نسيت؟ لا . بل ليتنى قد نسيت
أحسبنى ذاكره ما حييت
لو جاءنى نسيانه ما رضيت
بيجو معزىَّ إذ ما أسيت
بيجو مناجىَّ الأمين الوديع

* * *

بيجو الذى أسمع قبل الصباح
بيجو الذى أرقب عند الرواح
بيجو الذى يزعجنى بالصياح
لو نبحةً منه ، وأين النباح ؟
ضيّعتُ فيها اليوم ما لا يضيع

* * *

خطوته . . . يا برحها من ألم
يخدش بابى وهو ذاوى القدم
مستنجداً بى . ويح ذاك البكم !
بمنظرة أنطق من كل فم
يا طول ما ينظر ! هذا فظيع !

* * *

ثم لا أرى النوم لعينى يطيب
أنتم خبيرون بنهش القلوب
يا آل قطمير هواكم عجيب
غاب سنا عينيك عند الغروب
وتنقضى الدنيا . . ولا من طلوع

* * *

ثم واترك الأفواج يوم الأحد
والبحر طاغ والمدى لا يُحد
عيناى فى ذاك وهذا الجسد
بوحشة القلب الحزين انفرد
والليل . والنجم . وشعب خليع !

* * *

أبكيك . أبكيك وقلّ الجزاء
يا واهب الود بمحض السخاء
يكذب من قال طعام وماء
لو صح هذا ما صحبت الوفاء
لغائب عنك . وطفل رضيع

* * *

قصص وأماثيل

سباق الشياطين (*)

يا شياطين الدجى حيّ هلا (١)   وتغنّى الآن بالفعل الذميم
أيكم في الناس أعلى منزلاً   فله عندي مقاليد الجحيم

* * *

رنّ في الندوة صوت الكبرياءْ   رائعَ الصيحة مرهوبَ الصدى
قال إني أنا داء الأعلياء   أنا داءٌ لهُم فيه الردى
مالئٌ بالغيظ قلب الضعفاء   تارك النابه (٢) فيهم أوحدا
رُبّ خير بت أجريه على   منهج الفتنة والكسر العميم
ووضيع رحت أذروه إلى   مطلع النجم كما يُذرى الهشيم

* * *

ومشى الشيطان شيطان الحسد   مشية الأفعى إلى وكر القطا
شاحبَ السحنة مهضوم الجسد   خائفاً في جبنه قد أفرطا
قال : لو شئت لما حاز أحدْ   منكم السبق وإن جدّ الخطا
بذوي القربى وأعني والألى   بينهم قربى سهيم من سهيم (٣)
أجدر الناس بأن يتصلا   حائل بينهما كيدي العظيم

* * *

ونبرى للقول بأسٌ معضلُ   كلما هم تولاّه الضجر
قال ما لليأس فيكم مأملُ   لا ولا يرجو مقاليد سقر
بعد إني قاتل لا يعقل   ومن القتل حياة للبشر

(*) سباق الشياطين : جزء أول ، ص ٥٠ (٣٤ فقرة ٥٦) .
(١) هلا : أي أقبلي وتعالي .
(٢) النابه : المشهور .
(٣) السهيم : الشريك ، والحسد موكل بالنظراء من الناس وهم أحق الناس بالمؤاخاة .

إيه إن أبأست من ورد حـــلا   فكمـا ييـأس من ثدي فطيم
ـفروني ! كيف أبغي مسؤلاً   بينَ خنّاس ووسواس رجيم ؟

* * *

ثم أبدى الليل شيطانُ الندمْ   ضارعاً يفرق من خفق الهواءْ
ـرس المقـول من غير بكم   ولقد ينطق حسيناً بالبكاء
ـت الإثم ويغـري من أثم   بذنوب مساله منهما وقساه (1)
ـد الإثم ويغري بالطلا (2)   وهو بالشارب ينبو والنديم
ـغر التوبة للجاني ولا   يرحم الجانيّ من وخز أليم

* * *

ـشى من جانب الحب أنينْ   كشواظ النار يرمي بالشرار
ـقوم فهبوا صارخين   وهُم في الخلق من مارج نار
ـيطان الهوى أسرى الونين (3)   كل من أغشاه مسلوب القرار
ـغض سبيل والقلى   وسبيل للرزايا والهموم
ـي الكون مكان قد خلا   من صراع أنا موحيه القديم

* * *

ـ الداعي بشيطان الكسلْ   فتمطى ساعةً لا ينطق
ـو راودت نجماً لأفل   وثوى في أفقه لا يشرق
ـلبول جميعاً والعمل   وبلاء الله فيما يخلق
ـ رجـه ـريه التغبيلا   فتنحى خلفه وهو كظيم
ـ ـوه هتـر ما أجملا   وهو يزوي عنهم الوجه الدميم (4)

* * *

ـم أنوي له عذره غير حرية إلى اقتراف جريمة أخرى !! .
ـ تخمر
ـ عرق ـ
ـ التريد ... يظهر به للناظرين ووجه يستره عنهم .

قال : إني أنا شيطان الرياء   صاحب الوجهين أملود (1) اليد
ألبس الأعداء جلباب الإخاء   وأعير العبد وجهَ السيد
وأميت النفس في طي الخفاء   فهي تحيا كالرفات الملحد
أنا فبيسما ابتلى صنو البلى   أبدل الأحشاء إبدال الرميم
ميتٌ من عاش يوماً مبدلا   ومسيخٌ وجهه وهو وسيم (2)

* * *

أنصت الجمع ولم يبق سوى   حكم إبليس بسبق السابق
رجع الأمر إليه فاستوى   يلحظ الرهط بعيني حاذق
ثم نادى بالرياء الجتوى (3)   فأبى الحب إباء المائق (4)
قال تأباها ولولاك المجلّي   غيهب الأرض فكانت كالنعيم
دونك الدنيا اتخذها منزلاً   وتولَّ اليوم أبواب الجحيم

* * *

كولمب في الأقيانوس (*)

من لكولمب والمخاوف تنتـ   ـابه وتزجيه خادعات الغرور
هام بالعالم الجديد يمنيـ   ـه تقى بالعالم المستور
ما ابتغى جيرة هناك ولا أهـ   ـلاً ولا عاذ عنده بنصير
أي أهل وجيرة لهمام   أوحديّ المنى قليل النظير

من له فيصل ... ومـا فاتح الجـ   ـهول يوماً كفاتح المنظور
ضا ... حشا خضارة (5) تعلو   ... ـساء عمقه التدوير

(1) أملود : ناعم .
(2) وسيم : من أظهر شعوراً غير شعوره فكأنه ميت حرم الحياة لأن الحية هي الشعور
(3) الجتوى : المكروه .   (4) المائق : الملول .
(*) كولمب في الأوقيانوس : جزء أول .
(5) خضارة : من أسماء البحر والمحيط الأطلسي كما لا يخفى لم يذلل للركوب قبل سفر كولمب فكأن ظهره ظهر الأوابد أي الوحوش والحيوانات التي يصعب عليها الركوب .

يمتطى صهوة الخضمّ خضمًّا ... لم يوطأ ، كالأبد المذعور
بين سخطين من صحاب غضاب ... أين يمضى ؟؟ وعيلم تيهور
يفرع الليل والفضاء بطرف ... شاخص لحظه ووجسه وقسور
ويفل الفجاج فى الصبح حتى ... يسبل الليلُ خيمةَ الديجور
فإذا النجم كالسفينة ركبٌ ... ليس يدرى هناك عقبى المسير

من لكولمب لا السماوات تهد ... يه ولا النور فى دجاه بنور
يسأل السحب أين مسراك غرباً ... أين ترمين بالحيا المسجور (١)
أمعاداً به إلى البحر أم تحيـ ... ـين منه الثرى بصوب غزير
إنما يزجرُ السحاب وما كا ... ن سحاب بالطائر المزجور (٢)
لو نعيبُ الغراب (٣) يسمع لاعتدّ ... نعيب الغراب صوت بشير
فى سماء ما قط حوّم فيها ... غير غادى سحابها من طيور
كلُّ يوم يرى بساطاً من المو ... ج شبيهَ المطوى بالمنشور
فيرى الراكبوه أن لن يزالوا ... راسياً فلكهم رسو ثبير (٤)
تطلع الشمس كل يوم ولا يأ ... ذن للأرض حاجب بالظهور
ثم لاحت فظنها القوم راحاً ... مدها الله من وراء البحور (٥)

* * *

عرضٌ كان لم يصب منه خيراً ... وتولى وليس بالمشكور
تلكم آدم الذى أورث النا ... س كبيرات آدم المعمور!

* * *

لا تلوموا الكبير يركب هولاً ... إنما الهول من مطايا الكبير
إن قلب العظيم بحر زخور ... فهو ما عاش فوق بحر زخور
كم ضلال فى اليمّ أرهب منه ... مزعجاتُ الضلال فى التفكير

(١) المسجور : أى المطر الغزير .
(٢) الطائر المزجور : صناعة كانوا يزعمون فى الجاهلية أنها تكشف الغيب .
(٣) نعيب الغراب : الناس تتشاءم بنعيب الغراب ولكن كولمب لو رآه قبل وصوله إلى أمريكا لعلم أنه طار عن شجر كان يقصده فكان له بشيراً .
(٤) رسو ثبير : الملاحظ مع شذوذها فى عرض البحر الفسيح فإذا أصبح السفر فرأوا السماء فوقهم والماء تحتهم كذا ظنوا أنهم أصبحوا بحيث أمسوا وإن فلكهم كالجبل الراسى الذى لا يتحرك .
(٥) راح : جمع راحة اليد .

الأثواب الثلاثة (*)

(إن أحقر الصعاليك قد تمر به ساعات يتمنى فيها الملك ، ولكن لا يؤخذ من ذلك أنه يحب أن يخلع نفسه ليلبس نفس الملك بل هو فى الحقيقة لا يتمنى الملك إلا ليتمتع بما يصير إليه وهو صعلوك حقير . فالإنسان يحب نفسه ولا يبدلها بأى نفس أخرى . فإذا كان يحب حظوظ غيره فلأنه يحب نفسه ولو تساوت النفوس والحظوظ لما كان هناك باب للتمنى والعمل وهذا مثل تقسيم الأثواب فى القصيدة التالية فإنه لما اختلفت ألوان الأثواب أصبحت كل بنت تختار الثوب بعد الآخر ولا ترضى واحداً منها ، ولو تشابهت ألوانها لرضيت كل بنت بثوبها وربما كانت لا تتطلع إلى سواه . فكيف كان الإنسان إذن يرضى عن نصيبه ؟ إنه لن يرضى إلا إذا احتجز لنفسه كل المزايا ولم يبق لأحد مزية قط أو إذا تساوى الناس فى كل شيء فلم يبق لأحدهم مزية على الآخر .

ومن ثم يظهر لنا أنه لا يستطاع إرضاء الناس جميعاً إلا بما فيه خراب الكون .)

ليلة العيد أقبلت بالسعود ... فاكتسى بالجديد كل وليد
واكتست بالجديد كل فتاة ... لبست جدة الجمال الفريد
وتواصت على الثياب أخيّا ... ت ثلاث فتنّ بالتقليد
يتسترن بالحياء وتُزهى ... كل أخت بحسن وجه وجيد
لا تجل (العذراء) إن لم تجدها ... فى كساء من الطراز الجديد
قسمن [illegible] بينهن شفوفاً ... غاليات من زاهيات البرود
لاحقات الأثمان بعضاً ببعض ... واختلاف الألوان جِدّ شديد
فتنازعنها مليًّا وولت ... كل أخت بزينة المزؤد (١)
تشتهى الثوب ثم تزهد فيه ... ثم تُغرى بثوبها المردود
لم يكن غيره بأحلى وشياً ... لا ولا كان همها فى المزيد

(*) الأثواب الثلاثة : جزء أول .
(١) زأده : أفزعه .

حسداً والضئيل يبدو جليلا   إن رآه الفتى بعين حسود

* * *

هكذا الخلق في الحياة تمادوْا   في حظوظ مقدورة وجدود
ظلمتهم دهورهم ولو بلغوا السؤ   ل لما كان عندهم بسديد
لا تظنوا الشريد يرضى بأن يُبْـ   ـعد من همه بهم العميد
لو تمنى العروش لم يرض أن يجلـ   ـس فوق العروش نفس الشريد
وأحب النفوس نفسك لكـ   ـن أحب الحظوظ حظ البعيد

* * *

غادة أثينا (*)

حدثى عن دولة الإسكندر   يا عروس الشعر واروى واذكرى [1]

* * *

كاعب كالظبي إلا أنها   دون تهديها جنان القسور [2]
علمتها أمّ علمت   صنوها البأس وقور الغضنفر [3]
رضعت ثدى أثينا حرةً   وتمت في أمة لم تقهر
أمة حسب بنيها سؤدداً   أنهم رهطٌ عزيز العنصر
وغزاها فاتح الأرض كما   تحدق النار بوكر الأنسر
وابتلته بحنان صابر   وابتلاها بالعديد الأكثر
وسطا الجند عليها كالدّبا [4]   بين ألفاف النبات المثمر

* * *

(*) غادة أثينا : جزء أول .

(1) هذه الحكاية مأخوذة من سيرة اسكندر في تراجم فلو طرخس بتصرف كثير .

(2) القسور : الأسد .

(3) الغضنفر : المعنى أن الأمة التي تعلم بناتها العفة هي الأمة التي تعلم أبناءها الشجاعة وركوب الجياد .

(4) كالدّبا : الجراد .

راود القادة منهم قائد   سيئ الخيم غَرِيّ المنظر [1]
أيها الفاتك بالعرض الذي   صانه الطهر ترفق واحذر
أغمد السيف فهذي وقعة   لم تصب فيها ، ألا تظفر
خضت حرباً ليس من آلاتها   منصل العضب وسَرْد المغفر [2]
دون ذاك النصل سيف لهذم   من شبا اللحظ وقد سمهري [3]
دون ذاك السور سد محكم   من عفاف واضح للمبصر
دون ذاك الحصن قلب مضمر   كيف يُرمى حصن قلب مضمر ؟
تبّت الحرب فما في غيرها   حل للجيش حرام الميسر [4]

* * *

أيأسته من رضاها فارتضى   من حلى الغيد بحظ المشترى
قال أين المال ؟؟ قالت هاكه   عم البستان وابحث وانظر
دونك البستان فانزل بئره   والتمس فيها نفيس الجوهر
إنني أحرزت فيها لؤلؤا   ليس يُلفى مثله في الأبحر
وأتى البئر فزجته بها   بضة بيضاء مثل المرمر
فتردّى ، فارعوت تقذفه   برجوم كالغمام الممطر
واحتوته البئر في أعماقها   كاحتواء النفس سر المنكر
إن من كانت حفيظا نفسه   لحقيقٌ بالحضيض الأكدر

* * *

وراها الجند فما جازوا بها   عند ذى القرنين هولَ المحشر
لا بسا الغار عليه أخضرا   وهو مستغنى كل زرع أخضر
وقفت وقفة لا مستعظم   عزة الملك ولا مستغفر
قال من أنت ؟ فقالت «إنني   أخت (ثيجين) الأبيّ الثّمرى

(1) المنظر : الخيم الطبع وغرى أى يغرى بجماله .

(2) المغفر : منصل العضب أى حديدة السيف وسرد المغفر أى نسج الدرع

(3) سمهرى : اللهذم القاطع والشبا الحاد .

(4) الميسر أى ما يحرمه الناس على مناسر اللصوص يحللونه في الحرب .

أحت (تيجين) فسل من قومكم ... عنه من لاقاه تحت العثير (١)
ممان في الحروب التي أرثها (٢) ... بغي فيليب أبيك القيصر
ذاد عن أوطانه ثم افتدى ... دوحة المجد بغصن المزهر

* * *

قال ذو القرنين إني باسط ... لك فيئاً (٣) فاسكني أو فاهجري
وخذي مما وهبنا أو دعي ... لن تُنالي بالأذى في عسكري

* * *

أورمزد واهرما (*) (٤)

أورمزد يا مختلق آمالي ... آمالي يا مخلقاً بجدة سرباني
إذا تجهمت لأهل الثرى ... سرقت بالأضواء أوصالي (٥)
وتمسح الأدمع من عينيها ... حتى تحب الصب كالسالي
الآن فلأحجبك عن أعين ... أحببتها في الزمن الخالي

* * *

مقالة فتاة بها أهرما ... ثم مشى مشية مختال
لاقى بها الشمس وقد صدها ... بالغيم عن سهل وأجبال
يضحك بالرعد ويبكي لها ... بالبرق عن أنياب أغوال
فالتفتت في برجها لفتة ... وابتسمت هادئة البال
قالت وهل يحجبني شانئ ... لولاي لم يلحق بأذيالي ؟

(١) العثير : غبار الوقائع .
(٢) أرثها : أوقدها .
(٣) فيأ : ظلا .
(*) أورمزد واهرما . جزء أول .
(٤) هما إلها الخير والشر عند قدماء الفرس وقد مثلت لأولهما بالشمس وللثاني بالغمام .
(٥) الأوصال : هي الأعضاء .

تعجبين مني حيناً ولكنني ... أزجيك للخيرات والنال (١)
لو علم الناس مصير الأذى ... لنافسوا في الشر بالمال

* * *

عند حلاق (*)

ما بالها تطفر كالغزال ... ساحرةً بالتيه والجمال
هيفاء من أوانس الأندلس ... ذات جبين كالنهار المشمس
قد أسفرت حلية بالنور ... في وجنة مصقولة وثغر
من كلّ زهر ناضر الرواء ... والزهر لا ينضر في الشتاء
ثم استوت في مجلس هناكا ... تمد للحلاق الشباكا
أمامها المرآة فيها يظهر ... ما ليس في غير المرائي تبصرُ (٢)
تمثالها في صفحة البلور ... مرتسماً بريشة من نور

* * *

وكان يرعاها أريب كيّس ... فقرّ في موضعه لا ينبس
وصوّب الطرف إلى الرذيلة ... يرمق تلك الصورة الجميلة
كمن يهاب الشمس في السماء ... فيرتضي بقرصها في الماء
وسامها حتى إلى الطيف النظر ! ... أهكذا تستخل ربات الخفر ؟
الحسن إن ضن به المليح ... كالمال إذ يدفنه الشحيح
والزهر إذ يزكو لغير ناشق ... والبدر إذ يبدو لغير رامق
فأقبلت غضبى إلى قرينها ... وأومأت سخراً إلى مجنونها !
قالت ألا تنظر للمغرور ... حملق في المرآة كالمسحور
مازال يرنو نحوها بالطرف ... حتى لقد أخجل فيها طيفي

(١) النال والنوال : بمعنى واحد .
(*) عند حلاق . جزء أول .
(٢) تبصر . المعنى أنها ترى أمامها في المرآة ما لا تبصره هي إلا في المرايا لتعذر من يماثلها من الحسان .

ـــاومـــا القسرين للحـــلاق   يبتـــسم ابتـــسامـة الإشـــفـاق
بقـــال : قل للصـــاحب الصـــديق   لا يكســـر المرآة بالتـــحـــديق
ـى يكْـــســر اللمح لهـــا بالليق   قــد يعــتـريه خــبل فى العـقل

* * *

ـــاطرق الأديب كـــالمســـتـعـــتـب   وقـــال «عـــفـــواً» يا قــرين الكوكب
ــــا فى المرايا ثمّ من شـــيطان   يُخـــــاف منه المسّ للإنســــــان
تخـ فـــيـــهـــا ملكاً مكمّـــلا   يوحي لنا الحـــسن كـــمـــا تنزلا
ملكتَ منه الذات واســـتـــأثرتا   فـــفـــز بهـا مـغـتـبـطاً ، هنئـتـا
ودع لنا هذا الخـــيـــال مـغـنمـا !   ليس الخـيال حرماً أو محـرما

* * *

أمنــا الأرض (*)

(مغزى هذه القصيدة أن الخوالج التى تحرك الأطفال هى الخوالج التى تتصرف بالرجال ، وأن الأقدار تخدعنا ونحن جادّون بالحيل التى تخدع بها الأطفال وهم لاعبون ، وأنها تؤدبنا فنسخط ونحن نؤدب الأطفال ثم نعجب لأنهم يسخطون) .

أســــــائلُ أمنا الأرضــــــا   ســــــؤال الطفل للأم
فـــتـخـبـرنى بما أقـضى   إلى إدراكـــــــه علـمـى

* * *

جـــــــزاها اللّه من أمّ   إذا مـــا أنجـــبت تئـــدْ (١)
تُغــذّى الجـــسم بالجـــسم   وتأكـل لحم مـــــا تلد

* * *

(*) أمنا الأرض : جزء ثانى .
(١) تئد : تدفن أولادها .

ألا يـا أمّ كـم طـلـعـــــــا   عليك الشـمس والقـمـرُ
وكم أسنى وكم وضـــعـــا   على أرجـــائك القـــدر

* * *

أقـامـوا أمسِ وانصـرفـوا   فليس لقَلّهم (١) شـــملُ
فـــأين نفس من سلفـــوا   وأين يكون من يسلو

* * *

فــقـــالت فى مــلاعــبكم   يبين الجـــســـد والخلف
فتجـوسـوا فى جـوانحكم   فــثمّ يجــرس من سلفوا

* * *

وأين عظام من نبـــهـــا (٢)   من الماضين فى الـــشـــبـــر
فــقـــالت قــد صنعت بهــا   الكـم حلوى من الثـــمـــر !

* * *

ومـــا المجـــد الذى أضـــرى   قلوب بنيك فاشـتـجـروا ؟
فـــقــــالت حلة كـــبــــرى   يراها القلب لا البـــصـــر

* * *

فـقلت لهـا : فـمـا العـمق ؟   فـــقـــالت خــادم الحُلْم
ومـــا الأحـــلام والأمـل ؟   فـــقـــالت حــيلة الأم

* * *

وقـــد يُحـــتـــال للطفل   على خـــبـــز له فـــيـجـــد
ألا ينـبـــــــو عـن الأكـل   إذا لم يُغـــرَ بالوعـــد (٣)

* * *

(١) فل الجيش : هو ما تبدد منه .   (٢) نبه : اشتهر .
(٣) بالوعد : الأمل كاللعبة التى توضع أمام الصبى ليمشى إليها حتى إذا بلغها أبعدت عنه وهكذا إلى أن يقوى على المشى وكذلك الأمل كلما بلغنا منه منزلة لاحت لنا منزلة أعلى فيبعثنا على العمل الذى يقدمنا ولولاه لما عملنا .

فقلت لهـا مـا الشقمُ ومـا الآلام والبلوى
ومـا الآفـات تخـتـرم شـبابَ الأحـور الأحـوى ؟

* * *

فـقـالت إنما البلوى عـقـاب الطيش والنَّهم
فـإن جسرتم على الحلوى هززت لكم عـصـا الألم

* * *

وقلت لها فـمـا الذهبُ وفـيـمَ طويتـه عـنا
فـمـاج الناس واضطربوا فـلا عطفـاً ولا أمنا

* * *

فقالت لست أحسبه سوى ضرب من الحجر
وأن الطفل مطلبُـه أشـد لكل مستتـر

* * *

يجـد الطفل مـفـتـتنًا بما لم يُبـدِه العلَنُ
ويحسب جـهـده ثمنًا لشيء مـا لـه ثمن !

* * *

تُزدت بقـولها خُـبْرًا وزدت بقـولها جـهـلا
فـمـا ألفـيتـه وعـرًا ومـا ألفـيتـه سـهـلا

* * *

وصـحت بهـا إلى أينا إلى أين المصـير بنا ؟؟
فـغـضَّت عـينُها الجـفنا وصـدت عنِّيَ الأذنا

* * *

بنى الدنيـا لعـابث بهـا فـفي الأبواب فـصـَّاد
لكم يوم تملعـبـيهـا وتحـت الأرض آبـاد

لهـا ملهى تـكـره إذا مـا انفض لم يُعـقـدْ
تـغـادية فـتنظره ويوصَّـدُ بابُه السـرمـد

سيان (*)

ياشمس ما ضرَّك لو لم تشرقى يا روض ما ضرك لو لم تعبق
يا قلب ما ضرك لو لم تخفق سيان فى هذا الوجود الأحمق

من كان مخلوقًا ومن لم يخلق

المعرى وابنه (*)

قال المعرى :

وإذا أردتم بالبنين كـرامـة
فالحزم أجمع تركهم فى الأظهر

(فهو والدرؤف صد أبناءه عن الحياة رحمة بهم ! فيالها من رحمة لا يعرفها له أبناؤه ! ومتى كان الأبناء يعرفون البر للآباء؟ والقصيدة الآتية محاورة بين المعرى وابن له فى الغيب يتوسل إليه أن يريه الحياة وهو يذوده عنها وينصح له بالبقاء فى عالم العدم) .

يا أبى ! طال فى الظلام قـعـودى فـمتى أنت مخرجى للوجـود ؟
طال شوقى إليك فاحلل قيودى

(*) سيان : جزء رابع .
(*) المعرى وابنه : جزء ثانى .

يا أبي عـالمُ الظلام سـخيف   ليس يقوى عليه طفل ضعيف

فاجزني من ظله الممدود

حدثونا عن الحياة العجاب   فلهجنا بحسنها الخلاَّب

وظمئنا لخوضها المورود

حدثونا عن الدجى كيف يسطو   وعن الصبح بعده كيف يعطو

وعن النحس فيهما والسعود

حدثونا عن دارها وبنيها   وجهاد يُمنى[1] به القوم فيها

وعن الموت بعدها والخلود

أرني الجهر يا أبي والخفاءَ   أي شيء ذلك المسمَّى شقاءً ؟

أي سر يُراد بالمولود ؟

ما الوجوه الحسان ؟ وما النُّوار ؟   ما الدراريّ ؟ ما الفلا ؟ ما البحار ؟

إن دأب الوليد حبُّ الجديد

لي جدود وليس لي أبوان   ولئن شئت أن فيكم أواني

وعلَّيت قسمتي في الوجود

* * *

ولدي ! إنني أبوك الرحيم   أنا بالعيش يابني عليم

لا تصدق مقالةً من بعيد

ما حياةٌ تشقى وتسعد فيها   تتعنَّى لكن بما يعنيها

في عظيم تُبلى به أو زهيد

(1) يمنى : أي يبتلى .

يحسب الحي جهده لهواه   جهل الحيُّ جهدَهُ لـ...

إنما المرء آلة للجدود[1]

إنّ غُنم الحياة من لم يجده   لم يُمتَّع به ولم يفقد...

فاغتنم ربح شرها المفقود

شرها يا بنيَّ شرٌّ ثقيل   خيرها يا بنيّ خير ...

أهلها يا بنيَّ أهل حقود

زعموها إلى الخلود تؤدي   ما رأينا سوى فناء ...

فيه مُؤْدٍ على تجاليد مُودي

قف بباب الحياة لا تدخلنها   واعتصم يا بني ما استطعـ...

سوف ألقاك - فانتظر - بالوصيد

* * *

هكذا أقنع المعري الوليدا   ... عن الحياة بـ...

والتقى الشيخ وابنه في اللحود

* * *

بين الشاعر (*)
وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيبت آمالي   وكذَّبت أحلامي وأشمتّ ...

إذا ما وعدت أخلفت في غد   وهيهات لا تبقين يوما عـ...

بظل غرير من أغر...   وإن عاش أجيالا عفتْ بعـ...

* * *

كفى يا صديق العهد هجتَ بلبالي   وما أنت بالسالي هواي ولا ...

ملامك فيه الحق ... وفيه بعضه   وما غاب عن ظني ولا بال ...

إذا قلتُ زورا فهو من صدق شيمتي   ومن يصف الدنيا يصف خيـ...

إذا هزلت أمي الخبيئة فهل ترى   من الصدق ألا يطرق الهزل ...

بحسبك من عذري ... ما عذلتني   أما ... تمثيل ... وروعة ...

(1) المجدود : المحظوظ . والمعنى أن الإنسان مسخر في الحياة وهو يحسب أنه خلق لنفسه وأن ... تعنيه هو وما نصيبه منها إلا أثر من نصيب الأقدار التي تسخره لغاياتها .

(*) بين الشاعر وعروس شعره ... سن الأربعين .   (2) الخيم : الطبع والعادة .

حانوت القيود(*)

(الحياة كالمرأة إذا أحبت امرءاً قيدته بأحابيلها وعلّقته بهواها ، فمن كان حي النفس تحتفظ الحياة بوجوده فهو عقيد بالغرائز والأهواء ، ولا تضعف هذه الغرائز والأهواء في الإنسان حتى يكون منبوذاً من الحياة كأنه عاشق لها ملول لا تبالي هي أن تطلق له القيد وترسله حرا متى شاء ، فكلنا طالب قيد مزاحم على حانوت القيود . ونحن على هدى من سبل الحياة ما دمنا مقيدين بوهم من أوهامها أو عاطفة من عواطفها ، لأن قيودها تلك هي الأزمة التي تقودنا بها إلى حيث تريد) .

جزى الله حانوت القيود فإنه ... مناط الأماني من بعيد ومُكثِب(١)
تزوّد منه الناس في كل حقبة ... وحجوا إليه موكبًا بعد موكب
يصيحون فيه بالقيون(٢) كأنهم ... سراحين(٣) في واد من الأرض مجدب
فمن قائل عجل بقيدي فإنني ... طليق ، ومن عان كثير التقلب
إذا أخطأ الأغلالَ قطّب وجهه ... كئيبًا ، وإن أثقلته لم يقطب
يطوفون بالمغلول طوفة عاطل ... فقير بموشيّ الطيالس معجّب
فهذا إلى قيد من العقل ناظر ... وما العقل إلا من عقال مؤرّب(٤)
يخفّض من أهوائه كل ناهض ... ويغلب من آماله كل أغلب
يمشي بأغلال التجارب معجبًا ... على غبطة منه لمن لم يجرب
وهذا إلى قيد من الحب شاخص ... وفي الحب قيد الجامح المتوثب
ينادي : ألا هي القيد يا من تصوغه ... فقيد من سجن الطلاقة مهربي
أدره على قلبي وعقلي ومهجتي ... وطوّق به كفي وجيدي ومنكبي
ورصّعه بالحسن المسوّم وأجله ... بكل سعيد في المناظر طيّب

(*) حانوت القيود : جزء ثالث . ٢٠٤ (ه فقرة ١٤٤) .

(١) المكثب : القريب . (٢) بالقيون : جمع قين وهو الحداد .

(٣) سراحين : ذئاب . (٤) مؤرب : معقد .

عزيز علينا اليأس حسرا وحولنا ... أسارى الهوى من فائز ومخيّب
ورب رخيّ البال تمت حظوظه ... بقيد دنياه بعنقاء مغرب
أمانيّ يقفوها فتربط خطوه ... رباطَ الدياجي خطوة المتشكك
وآخر أضنته الملالة باسط ... يديه إلى الأعمال في غير مأرب
إذا ما رأى المكدود يمقت عيشه ... تمنى على الأيام شقوة متعب
وكم طامع في الجاه والجاه عصمة ... ولكنه كالمعقل المتأشب
يصد العدى عن ربه ويصده ... عن الناس صد الخصم المترقّب
ورب عقيم حطم العقم قيده ... يحن إلى القيد الثقيل على الأب
إذا مسّت الدنيا عليه أجابها ... بلعنة مسنون وغلة مترب(١)
يرى أن حال المقتدى من إساره ... لديها كحال المشتري المتجنّب
ومن لم تعلّقه الحياة بقيدها ... فيا سوء ما اختارت له من تقرّب

* * *

بني آدم لا تنكروها فإنها ... مياسم من أرواحكم لم تُغيّب
فما تكرهون القيد إلا لأنكم ... تنوءون منه بالثقيل المشعّب
أعزكم من لا مزيد لوفره ... ولا فضل(٢) في أغلاله لمعقّب
وقد زعموا أن القياد قيادة ... لمن كان يمشي في مجاهل غيهب

* * *

(١) مترب : فقير .

(٢) فضل : بقية .

أكاروس

(قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تروى على روايات كثيرة فى الأساطير اليونانية القديمة . وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية ، وهذه هى خلاصتها : ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة فى الصناعة وحسن الحيلة فى تذليل المصاعب والخروج من المآزق ، وزعموا أنه غار من ابنه أخته الذى كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته ، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب فى البلاد برا وبحرا حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينوه» فلقى عنده كرامة وحسن وفادة . وأمل «مينوه» أن يستفيد من علمه وقدرته فى تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام .

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورا مشهورا فى الأساطير «منوطوره» . فولدت منه طفلا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان ، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه فى غفلة من زوجها المخدوع ، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبنى لذلك الطفل سردابا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة . فتردد الصانع أولا وحسب حساب الرفض والقبول ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسيسة الزوجة واطمئنانا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب ، ولكن الملك علم به فثارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربا من عقابه ، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة ، ونصح الحكيم الصناع ولده ألا يعلو فى السماء فتذيب الشمس خام جناحه ولا يهبط على الماء فيبللهما الرشاش الكثير . ولكن الولد نسى النصيحة وهو فى نشوة الطيران والوثوب ، فعلا مصعدا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه ، إذ سقط هالكا على صخرة فى البحر يبكيه من حولها بنات الماء ، فالأسطورة مجال لاستعراض عبر الشهرة والغيرة والشهوة والطماح) .

وحى الأربعين .

«أكاروس هذا مسبح الطير فاركب … وتلك الهاوى من خضارة⁽¹⁾ فاجنب
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه وظن … وناوى ، فنحّى جنده كل مركب ؟
بنا عجزا ، فيا سوء رأيه ! … متى حيل ما بين السماء وكوكب
أدر مركب الريش الذى ما استقله … أنيس ولا جن ولا ذات مخلب
وطر تلتمس عبر⁽²⁾ الشمال ونحّل … على سنة الطير التى لم تهذّب
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها … على أهبة فى جوها المتقلب»

«ألا وادّخر عزما يقودك شرحه … إلى الأوج ، فاحفظه لشوط مغيّب
وسر قصدنا . إن المطار لواحد … ولكن سبيل الأوج ليس بمقرب⁽³⁾
أكاروس ! إنا هاربان من الردى … فلا تجعل العقبى إلى شر مهرب
توسّط فلا تهبط ولا تعل مصعدا … ولا تلق من يعلو إلى غير مطلب
فإنك أن تغتر بالشمس ينحلل … جناحاك ، أو تبتل بالماء ترسب
هنا لافح يؤهى اللحام ، وها هنا … الريش وهى من رشاش مسرطب
أكاروس ، إنى باذل لك من يدى … وما تخبرنى ذخر الصناع المجرب
تذكر عقاتى واعلم اليوم أنه … صنيع الحجى لا الكف أنفس مكسبى
ولا تتخذ ريشى ونس نصيحتى … يخنك جناح الرأى يوما فتعطب
جناحك من ريش إذا لم يعضهما … عديلان من رأى ، كأغلال متعب
أثقل من الصخر امرؤ ضم جسمه … أسسانه روح لم يصنها لمأرب
ولى فيك أعقاب طوال واللذتى … فأسند إلى عزم الصبا حزم أشيب
حياتك من بعدى معادى ؛ ولن ترى … فتى صالحا يجنى الفناء على أب
وللأمر مسبوق أن يرى الغد طالعا … فإن مات يوم قبل ماضيه فاعجب⁽⁴⁾
يثنى المطيع فولى فما بعد تنشيه … سبيل إلى تكراره لمعقب
الى الجو ! هذا يا بنى وداعنا … وللأرض منا لهفة المتغرب
فإما لقاء بعد فوق صعيدها … وإما فراق شاعب كل مشعب

(1) خضارة : اسم معرفة للبحر . (2) العبر : الشاطئ .

(3) بمقرب : أى إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام .

(4) لا يحب الأب أن يموت ابنه قبله فيكون كالغد الذى غرب قبل أمسه .

وصناعةٌ لديدالوس وصّى بها ابنه   ونعم الموصّى من حكيم مدرَّبُ
صناعٌ له كف كأنّ أكفّنا   من العجز - إن قيست بها - لم تُركّب
عليم بأسرار الفنون ، وإنها   لتقبس من سر الحياة المحجَّب
ومَن يُؤتَ تصريف الجماد يُصب به   أكفّنا وأعضادًا إلى كلّ منكب
وناهيك ديدالوس من ذي حصافة   قدير على فعل الأعاجيب معجب
يُقشّيرك من يمناه صولة قشعم(1)   وخلسة ثعبان وحيلة ثعلب
ويبني فيبنيه عمادٌ لأمة   وبيتٌ لأجيال وزينٌ لمنصب
ولكنه بئس الغيور على اسمه   وقد يحمل الغيرانُ أوزار مذنب
تغيّظ لما بزّه فرع صنوه   ولم يرع حق الأخت في ابن محبَّب
فأصماه ، لم يشفق عليه من الردى   وواراه ، لم يندم ولم يتحوَّب(2)
وما كان إلا أن نبا بكليهما   فضاء أثينا من مقيم ومغترب
فهذا مسجّى في ثراها متربٌ   وهذا مُزجّى دونها كالمتسرب
تشرّد واستعدى لإخفاء أمره   ذكاء يريك النجم في جنح غيهب
ووارته من عين الغريم فنونهُ   وكانت منارًا بين شرق ومغرب
وما زال يعروري البلاد ويتّقي   تصعّدَ أثناء الذرى بالتصوُّب
إلى أن تلقّته «كريت» وربها   على خير أهل في حماها ومرحب
وأنزل «مينو» منه حصنًا لملكه   فحصّنه «مينو» بملك مؤشَّب(3)
وما ملكٌ إلا له من صناعة   معاقلُ يبنيها ليوم عصبصب

* * *

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤٌ   يُخاف ويرجى للمخوف المؤرِّب
تحيّر ديدالوس ما بين مُنكر   وشكر ، وغِبُّ اثنيهما غير طيّب
أيحمل شكر الملك أم كيد عرسه   وأنجاهما في طيّه سمُّ عقرب
غوتْ عرس مينو واشتهت ، ساء ما اشتهت   عن الناس ، لا بل من بهيم مذنّب
تحنّ إلى ثور وتهوى اقترابه   وليس وليّ العهد منه بمعجب !
فأولدها طفلًا له مثل ظلفه   إلى شطر وجه آدميّ ومنكب
ويا رُبَّ أنثى تعشق الثور كلما   صباها فتى بالجسم لا الروح يستبي

(1) القشعم : المسن من النسور ومن كل شيء . (2) تحوّب : ألقى عنه الحوب وهو الذنب .
(3) مؤشب : متشابك ملتف .

فمَن غير ديدالوس يخفي شنارها   ويرعى سهاد الطفل رعيَ المؤدِّب ؟!
أهابت به أمًا وأنثى حريصة   ومالكة حسبي ، فلم يتهيب
بنى لسليل الثور حرزًا ، وليته   تلمّس حرزًا من غوائل مُغضَب
غوائل «مينو» الحين ثارت ظنونه   وضاجع أشجان المعنّى المعذَّب
وأقسم لا واقٍ من الموت عنده   ولا وائلٌ من سخطه المتلهّب
وأهولُ من هول الخضارم في الدُّجى   ضراوة مهتوك وغيظ مخيَّب

* * *

فلمّا تنادى الجند وارتجّت القرى   وخيف الأذى من حاضرين وغُيَّب
وقالوا : أمَن ربُّ الجزيرة حربه   يوقّيه عرض البحر أو طول سبسب
أهاب الصنّاع العبقري بفنه   فلبّاه ، فاستعلى به متن أشهب(1)
تسربل من ريش وسربل نجله   خوافق لولا بينها ألف لولب
فحلّق مستزهوًا وقرّ مظفّرا   وأغرى لحسان السحر بالمتعقّب

* * *

مضى ناجيًا من بأس «مينو» فهل نجا   فتاه من اليأس الذي فيه يختبي ؟
بلى ! قد نجا لولا طماحٌ سما به   إلى الشمس في ثوب من النار مُذهَب
تعشّقها مفتونة فتقبّلتْ   هواه بوجه صادق النور خلّب
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى   لنصح نصيح أو لزجر مؤنّب
وما هي إلا وثبة بعد وثبة   إلى الشمس حتى عزّه كل موثب
تعشّقها نارًا ، فكان جناه الأذى   من النار ، فليعتب ، فلا حين معتب

* * *

علا [illegible] حيٌّ وخرّ مضمّخًا   به في جناحي أرجوان مخضَّب
طريحًا على صخر تُغشّيه رغوةٌ   من العيلم(2) الغضبان في غير مَغضب
وناحت بنات الماء يندبن حوله ،   ومن بر أنقاض الصبا الغض يندب
وما من عزاء للشباب علمته   سوى مدمع من أعين الحسن صيِّب
إذا جال في حسبانه هان عنده   دموع ذراها(3) الحزن من طرف أشيب

* * *

(1) الأشهب : الأمر الصعب وقد يطلق على الطير الجارح الأشهب .
(2) العيلم : البحر .   (3) ذرا : الشيء فرقه وبعثره .

كعبة الأصنام(*)

بعد الزلزال

كانت الكعبة والأصنام فيها   زينةً تأخذ قلب الصب تيها
حلقت في كل ركن بالدمى   والدمى مستعبداتٌ صائغيها
هي أصنامٌ لمن يعبدها   أو تماثيلٌ تناجي عاشقيها
عظمتْ حسبنا فلما زُلزلت   كاد من صلى إليها يزدريها
كان فيها صنم الحق نبيـ   ـها(1) تداعى ، فبدا مسْخا كريها
نزع الزلزال عيني رأسه   فاحتوته ظلماتٌ غاب فيها
وارتمت ساقاه في جانبه   هل ترى داعيَه إلا سفيهًا ؟!

* * *

كانت النخوة فيها صنما   صاغيَ السمع ، كما شئت نزيها
يخلب الطرف بحسن واضح   وسمات تزدهي من يجتليها
فارتمت أذناه في الأرض لقىً   ومضت كفٌّ بالي كف تليها
يطلب الغوث ولا غوث له   هل ترى داعيَه إلا سفيها ؟!

* * *

والإخاء المحض كم أبصرته   حيث لم أبصر له قط شبيها
قائمًا يفترُّ عن مبسمه   واسع الصدر ، يحييك وجيها
شقه الزلزال فانجاب لنا   عن حنايا صدره لا قلب فيها
خير ما في وجهه ظاهرُه   هل ترى داعيَه إلا سفيها ؟
وتراءى الحب فيها فتنةً   ما اجتلوها زائرٌ من زائريها
ضرب الزلزال في أصنامه   فهوت أشلاؤها تنعى ذويها
ما الذي أبقاه من أشلائها ؟   سوأة يعرض عنها مشتهيها

* * *

(*) كعبة الأصنام بعد الزلزال : وحي الأربعين .

(١) النبه من النباهة وهي الظهور والشهرة .

وهوى تمثال مسجد لامع   يحطم العين بنور يجتليها
مثلاً للدار علينا جوهرًا   زائفًا ينطق بالزيف بديها
وقشورًا لا تساوي وزنها   من تراب ، لن ترى من يشتريها
هي إن قامت جمالٌ فإذا   سقطتْ ، لم تكد العين تعيها

* * *

هكذا أقوت زوايا كعبتي   وثوت خاويةً من ساكنيها
غير أني طائفٌ من حولها   لم أشأ أهجرها أو أشتهيها
لا طوف المتملي(1) حسنها   أو طواف المهتدي من عابديها
بل كمن نقب في جوف الثرى   يجمع الآثار في شتى سنيها
من فراغ لا من الرغبة في   تلكم الآثار ، أمسى يقتنيها
أو هي العادة كالطيف إذا   هام بالأجداث يبكي نازليها

* * *

(١) تملى الحسن : نظر إليه واستمتع برؤيته .

(الاستعباد هو الجو الذى تعيش فيه الشياطين لأنه و الخوف والإغراء ، وإبليس يخاف أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء) .

هاتو لى الخير والهدى جُرَعا   أبخع نفسى حزنا كمن بخعا
حريةُ القوم أفسدت خُدَعى !   لم تبقِ لى فى الأنيس منخدعا
إن مُنِعتْ لذةٌ حفزتُ لها   فكيف حفزى من لم يكن مُنِعا ؟
لو حُجِبتْ شهوةٌ أزيِّنُها   فكيف تزيين ظاهرٍ سطعا ؟
وإن طغى ظالمٌ له خنعوا   فكيف يطغى إنْ عَزَّ من خنعا
لو دام هذا البلاءُ واتسعتْ   حريةُ القوم ضاق ما اتسعا
واستغنتُ الأرض والسماء معًا   عن الشياطين فانطووا جزعا
ما حاجة الأرض للأبالس فى   عهد نفى الخوف عنه والجشعا ؟
وكيف تغذوهُم بلا عمل   وهى على السعى شأنها اجتمعا ؟
وأين يأوونها إذا قشعتْ   عنها ظلام الدهور فانقشعا
أنى زمانٌ أموت فيه أنا   إبليس يأسًا ، وفى يدى صُنِعا
ودعتُ ملكَ الدنيا وودعنى   ملكٌ إذا همَّ قلما رجعا
هاتوا لى الخير جرعة فإذا   ضعفتُ عنه شربته جُرَعا
سأسبق الموت حين يتبعنى   فإنه لاحقٌ إذا تبعا

* * *

(*) إبليس ينتحر : وحى الأربعين .

بيت يتكلم (*)

(كل بيت من البيوت التى تعاقب عليها السكان لو ألقيت عليه طلسم الخيال وأمرته بالكلام فتكلم لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان ، ولسمعت عجبا لا تسمع الآذان أعجب منه ، وليس الذى يتحدث به «البيت» فى القصيدة التالية إلا قليلا من كثيره) .

جميع الناس سكانى   فهل تدرون عنوانى ؟
وما للناس من سر   عليها آذان حيطانى
حديثى عجب فيه   خفايا الإنس والجان
فكم قضيت أيامى   بأفراح وأحزان !
وكم أويت من بشر   وكم أويت من جان !
فإن أرضاكم سرى   فها كم بعض إعلانى

* * *

بنى الإنسان لم أحفـ   ـل فى دهرى بإنسان
ألم أعرف فكم طرا   فلم أسعد بعرفانى
أتانى أولُ السكن (١)   وما استوفيت بنيانى
وكنا أرهفت آذانا   ولم أنس بقطان
وأصغيت على مهل   فطاشت كل آذانى
هما زوجان ، أو شيطا   نة لاذت بشيطان
وقد عاشا وفيين   بتقدير وحسبان
وراحا - هكذا يحكو   ن - فى روح وريحان
وما أبصرت من هذا   ولا من تلك فى آن

(*) بيت يتكلم : عابر سبيل .
(١) السكان .

سوى خوانة خمـ ... ـار تفرى عرض خوان
إذا ما ضحكا يوما ... على غش وبهتان
حسدت البيد والأطلا ... ل في غيظي وكتماني
وأشفقت من النقـ ... ـمة أن تهتز أركاني

* * *

وجاء الساكن الثاني ... وبئس الساكن الثاني
يراه الناس ذا مال ... وأفراس وغيطان
وقد شوهني بخلا ... وأعراني وأعياني
وقد صيرني سجنا ... ومنه كان سجاني
فلما طال بي عهدا ... ولم أسعد بهجران
وددت لو أن لي في ... كل جحر ألف ثعبان
بديلا منه أرضاه ... وأحبوه بغفراني
وأنفث سمها أو يتـ ... ـقي شري وبخشاني
إلى أن آده[1] أجري ... ولم يظفر بنقصان
فأخلاني ولن أنـ ... ـسى سروري يوم أخلاني

* * *

وكان الساكن الثا ... لث ذا عز وسلطان
فما ارتبت بأن العـ ... ـز والذلة سيان
وما ألفيته إلا ... لئيما جد غفلان
ضعيفا يستر الضعـ ... ـف بطغيان وعدوان
وكم أذعن للطاغي ... عليه شر إذعان
إذا ما لقي الناس ... بكبر منه طغيان
فما أصغر ما ألقا ... ه منه بين جدراني

* * *

وأما رابع القوم ... فذو علم وتبيان
حشانا بالورق اليا ... بس والأخضر حيشاني

(١) آده : أتعبه

فما لي موضع في الأر ... ض أو من فوق عمدان
وما لي مطبخ أو مخد ... ع أو بهو ضيفان
ولا زاوية إلا ... وفيها الكتب تلقاني
أبى للنفس دعواها ... لم يسمع لجثمان
فلا سهرة أحباب ... ولا جلسة ندمان
فما أجهله بالحق ... ذاك العالم العاني !
أبين الناس يحتاج ... إلى علم وبرهان ؟
وهم عميان ظلماء ... سروا في أثر عميان ؟
كثير لك يا إنسا ... ن في دنياك عينان !!

* * *

وأما الخامس الجاني ... فناهيك بشهوان
فما زودني إلا ... بإنشاد وأعكان
وهتاف بألحان ... وسمار على ألحان
إذا أمسيت مساني ... بأشكال وألوان
على الأبواب ما يرضيـ ... ـك من حسن وإحسان
ومن عون لأسماع ... ومن غض لأجفان
فلا تنظرهم ثمة ... وانظر بين أحضاني
فيا لله كم في الأ ... رض من غي وغيان
وكم في القوم من مخد ... وع أبناء وإخوان
وأزواج وأصهار ... وخلان وأخدان
لو أني قلت ما أدري ... لهدوا كل أركاني
فنعم الصمت والحكمـ ... ـة يا صخري وصواني !

* * *

وكم صاحبت من أصـ ... ـحاب آداب وأديان
تجافوا وصمة العاصي ... وعافوا شهوة الزاني
وباتو بين قربان ... وترتيل لقرآن
ولم يأسوا من الدنـ ... ـيا على غبن وحرمان
إذا ما شرفتني زمر ... ة منهم بضيفان

حسبت الأرض تجفونى — فـأنساهـا وتنسانى
وقالوا الجان لا تقـر — ب من مجلس فرقان
فـقـد ألفيت بعض الأنـ — ـس فى العنصر كالجان

* * *

ولكن شر ما أو — يت فى لؤم وعصيان
رياء الخائن العادى — على أهل وأوطان
تلقـاهم بتمويه — ولاقيـه بإيمان
وفى حجرة أسرارى — وفى ظلمة أوكانى
يبيع الحوزة الكبرى — بربع أو ببستان
ويعطى الحق والذمـ — ـة والقضيا بأثمان
ويُفنى أمة تحيـ — ـيه وهو النائل الفانى
وعشى بين قتلاه — رفيع الذكر والشأن

* * *

ولم أحمد من الضيـ — ـفان ضيفاً مثل فنان
تسولا نسى بإبداع — من الفن وإتقان
وغطى كل جدرانى — بمنضور ومزدان
وأوحى الحسن وإسنو — حياء من جنات رضوان
فـحبنا حسن مكسوٌ — وحيينا حسن عريان
بربنا فى سماء الفـ — ـن من عبث وأدران
وفتانا على الحيـ — ـطين لكن أى فتان
كما تفتنك الرهـ — ـرة فى أعطاف أغصان

* * *

جموع لست أحصيها — لو دونت ديوانى
ومستثل كل جاراتى — ومثلى كل جيرانى
عرفت الناس أشتاتا — بلا عد وحسبان
فلم أعرف أعداء — هم أم جمع أقران ؟
إذا ما اختلفوا فى — سيمة تبدو وشكلان
فـهم فى الموت أشباه — وفى سقم وأشجان
وما منهم فتى إلا — بكى حينا وأبكانى

مساكين فلا تحفل — من الناس بإنسان
ولا تحمد فتى منهم — على بأس وإمكان
فـأعلاهم وأدناهم — أمام الغيب صنوان

* * *

نزيل المنزل الخالى — ألا تعرف عنوانى ؟
إذا ما طفت حوليه — فـثق أنك تلقانى
فـما من منزل إلا — وفيه بعض ألوانى
تأمل فى نواحيه — وراقبه بإمعان
ولا يخدعك صمت فيـ — ـه أو تفتيح بيبان
ولا تحسبه خلوا من — مغاليق وأكنان
إذا ما كنت مستحضر — أرواح وحدثان
فـقف فى المنزل الخالى — وأرهف سمع يقظان
وأغمض فيه أجفا — نك وانظر غير وسنان
تر الأطياف أفواجا — وتسمع موج طوفان
وتجمع كل ما يُجمع — من ربح وخسران
ولا يخطئك تاريخ — ولا دارس أزمان

* * *

بعد صلاة الجمعة(*)

على الوجوه سيمة القلوب — فـانظر إلى المسجد من قرب
وقف لديه وقفة اللبيب — فى ظهر يوم الجمعة المحبوب

إنك فى حشد هنا عجيب

* * *

(*) بعد صلاة الجمعة : عابر سبيل

هذا الذي يمشي ألا تراه   كأنما قد حملت يداه
سفنجة(١) صاحبها الإله   ذاك هو الثمين ، وقد وفاه

فليس للدائن بالمطلوب

* * *

وذلك المبتسم الرصين   كأنه بسره ضنين
أصغى إليه سامع أمين   فسره إذا صلى كمن يكون

في خلوة النجوى مع الحبيب

* * *

وانظر إلى صاحبنا المختال   في حلة ضافية الأذيال
أكان في حضرة ذي الجلال   أم كان في عرض أو احتفال

يزهى على المحروم والمسلوب

* * *

وكم مصل خافت الدعاء   كأنه نص إلى السماء
رسالة في عالم الخفاء   فلا يني يبدو لعين الرائي

كالمترجي أوبة المكتوب

* * *

ورب شيخ من ذوي الخلاق(٢)   فرحان بالجمع وبالتلاقي
كأنه التلميذ في انطلاق   بين تلاميذ له رفاق

عادوا إليه عودة الغريب

* * *

تجمعوا في بيته تعالى   وافترقوا في جمعهم أحوالا
وهم تساموا في أرضه النضالا   فيحتويهم بيته أمثالا

على اختلاف السمت والنصيب ؟

* * *

(١) السفنجة : هي ورقة التحويل المالي .   (٢) الخلاق : الخير الوافر .

لعلهم صلوا له ارتجالا   فاختلفوا فيما بينهم سؤالا
فلو أجاب السائلين حالا   صب على رؤوسهم وبالا

وألحق المخطئ بالمصيب

* * *

الدينار(*)

في طريقه المرسوم

لما بدا الدينار من   باب الخزانة في السماء
نادى الموكل ثم بالأ   رزاق : أين ترى الثواء ؟
قال انطلق في الخافقـ   ـين إلى فتى جم الشقاء
قد بات ممنوع الغذا   ء وراح مقطوع الكساء
فاذهب إليه ومنه   بعض السعادة والرجاء

* * *

فأجابه الدينار وهـ   ـو يكاد يجهش بالبكاء
أنا لست أعرفه فدعـ   ـني أستطيب هنا البقاء
سيطول بحثي عنه في   وادي الخمول ، ولا لقاء

* * *

قال الموكل ثم بالأر   زاق حسبك من رياء
لن يألف المال الفقـ   ـير ولن يحيد عن الثراء
ما شئت يا دينار فامـ   ـض كما تشاء لمن تشاء

* * *

فاستقبل الدينار وجـ   ـهته وهم بلا ونا
ومضى إلى حيث المعا   لم واضحات والضياء
حيث الدنانير السوا   بق قد رسمن له القضاء
ليس الطريق على اقتحا   م كالطريق على اهتداء

(*) الدينار في طريقه المرسوم : عابر سبيل

نداء طفل(*)

أرسلت إلى عروسين :

سرى إلى الآذان ... في خفقة الوسنان
نداء طفل جرىء ... مستعجل لهفان
عجبت منه صغيرا ... يقول طلق اللسان :
«أبي كريم وأمي ... كريمة في الحنان
كلاهما في رواء ... من الصبا وازديان
كلاهما ذو فؤاد ... مجمل بالحنان
كلاهما يتمنى ... بين الصغار مكاني
فلى أحق رجاء ... في عالم الإنسان
وفي ولادة يمن ... تزف بالمهرجان
وفي احتفال ختان ... وفي احتفال قران
وفي احتفال نجاح ... ويجوز كل امتحان
هيا ادعواني سريعا ... إليكما واهديانى
وقربا لى ضياء الشمو ... س والأكوان

* * *

قالوا : انتظر ! قال لا لا ... هيهات لست بوان
قالوا تعقل قليلا ... يا أعقل الصبيان
فكل شيء لدينا ... موكل بأوان
أتحسب العيش رهنا ... بما قضى الأبوان
فصاح صيحة سخط ... وقال في عنفوان
مالي أنا ؟ أنا مالي ؟ ... هيا ادعواني ادعواني
أتأبيان لقائي ... ما أنتما منصفان

* * *

(*) نداء طفل : عابر سبيل .

لا تعذلوه إذا ما ... أطال في الهذيان
فالطفل غير صبور ... على الحجى والبيان
والطفل هيهات يدرى ... يوما بحكم الزمان
فاستمهلاه برفق ... وحيلة وافتنان
ولا تطيلا عليه ... في الغيب عد الثوانى
فكلنا نترجى ... قدومه في أمان

* * *

جواب جميل(*)

قال جميل بن معمر صاحب بثينة :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا ... أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

وأجيبه بلسان أحد النوام :

بربك دعنا راقدين فلو درى ... بنا الحب لم يرقد لنا أبدًا جنب
وسل راقدى الأجداث عنهم فإنهم ... مجيبوك عن علم بمن قتل الحب !

وقد سأل جميل بلسان الحال :

ألا أيها الأموات ويحكم هبوا ... أسائلكم هل يقتل الرجل الحب ؟

وقد أجيب بذلك اللسان :

أتى مزعج الموتى فلو كنت قادرًا ... على أن تهب اليوم من صرعة هبوا
ولست إلى أن يسمع الصور سامعًا ... هنا سر مقتول يبوح به صب !

(*) جواب جميل : أعاصير مغرب .

جنة الخيام(*)

رغيف خبز وزوجةٌ   حلو . وكأس مدام
وتلك جنة عدن   في مذاهب الخيّام(1)

* * *

قالوا : ونوديَ يوماً :   ما تشتهي في يديكا
دع مطلبًا منه فردا   والباقيان لديكا

* * *

فحار بين رغيفٍ   إنْ فاته مات جوعا
وبين وجهٍ منير   إن غاب غابت جميعًا

* * *

وبين كأس مدام   على الشقاء تعين
لولا خداعُ مناها   أفاق وهو غبين

* * *

طال التردّد فيها   فمال عنها كظيما :
سألت جنةَ خلد   وما سألت جحيما

* * *

قالوا : فناداه صوتٌ   يقول في غير رفق
كصوت إبليس لولا   ما فيه من فرط صدق

* * *

«أتلك جنة خلد   تهذي بها يا حكيم
يطلب إن عداها   تردٌ وهي جحيم ؟»

* * *

(*) جنة الخيام : أعاصير مغرب .

(1) عمر الخيام الشاعر الفيلسوف الفارسي وله رباعية بهذا المعنى .

ماذا يقول الربيع(*)

رفيق أول : إن الربيع جميل
رفيق ثان : صه ! ذاك قولٌ دخيلُ

ألست تعلم أن الر   بيع شيء فضولُ
وأنه من صنيع   للغش فيه أصولُ

رفيق أول : من غشه يا صديقي ؟
رفيق ثان : حقًا لأنت جهول
قد غشه الأغنياء الـ   مستأثرون القليل
أليس فيه متاعٌ   لهم وظل ظليل ؟

رفيق أول : لكنْ بعيشك قل لي   وذاك مني فضول
بأي برهان صدق   وأي شرح يطول
قد أقنعوا الأرض حتى   باتت إليهم تميل ؟

رفيق ثان : حقًا لأنت عجيبٌ   فيما أراك تقول !
برشوة دفنتها   في جوفها يا زميلي
ألا ترى التبر فيها   منها إليها يؤول ؟
فافهم إذن يا صديقي   فقد أتاك الدليل
وأيدته شهود   وأكدته عقول
الأرض والشمس والنا   س والدعاة العدول
لهم ضمائر سوء   مرضى ، وطبع وبيل
بذاك لا مستريبًا أفتي   ونقضه مستحيل !

(*) ماذا يقول الربيع : عابر سبيل .

عيد ميلاد في الجحيم (*)

(دخل شقي الجحيم فحسبوه مولودًا جديدًا في تلك العالم القديم . ومضى عليه العام فاحتفل بعيد ميلاده وقال لأترابه وأنداده :)

صُفّوا الموائد واملأوا الأكوابا ... وادعوا الصحاب ، وبشّروا الأحبابا
قولوا مضى عامٌ ليوم هبطته ... هذا الجحيم ، فقرّ فيه وطابا
وبلا المقامَ فراح يحمد شؤمها ... فيه ، وأدب باسمه إيدابا
هذا الجحيم أحبُّ لي من عالم ... ما كان لي إلا جحيمًا خابا
الشر ثمة كان شرا كاسمه ... والخير كان كما علمت سرابا
يشقى بنوه ليعمروه ويجشموا ... فيه الشقاء ليرجعوه خرابا
لا يعرفون الحق إن سمعوا به ... إلا ليلقوا في الحقوق عذابا
أهونْ بصاب في الجحيم أذوقه ... فلقد كان ثمة كلُّ شيء صابا
صابًا إذا ارتوت الشفاه شربته ... بالناظرين ، وساء ذاك شرابا
ولربَّ وجه يومذاك شهدته ... فكأن سمًّا في العيون انسابا
وجه اللئيم إذا استهلَّ وحلا ... وجه الكريم إذا اضمحلّ وذابا
ورضى الظلوم وحيرة المظلوم في ... سلواه يطرق كل يوم بابا

* * *

يا صحب حيّوا النار في ويلاتها ... واحثوا على ذاك التراب ترابا
ما كان في حصن هناك فجهده ... أن يخدع الأبصار والألبابا
أو كان من أهل هناك فحسبه ... أن يملأ الدنيا عليك صعابا
ياصحب هاتوا من علاقتهم لنا ... وادعوا الأحبة واشربوا الأنخابا
من عاش عاما في الجحيم فلا اشتهى ... أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

(*) عيد ميلاد في الجحيم : وحي الأربعين .

ترجمة شيطان

ترجمة شيطان (*)

(نظمت هذه القصيدة في أعقاب الحرب العالمية الأولى وهي تدور على سيرة شيطان كفر بالشر بعد أن فتن الخلق بصورة الحق . وإن شيطانا يكفر بالشر لأشقى من ملك يكفر بالخير . لأن الملك بعد الكفران بالخير قد يجرب الشر فيرى للحياة معنى في هذه التجربة ، ولكن الشيطان الذي يزيف الحق بيديه ، ثم يكفر بالشر يخبط في حياة ليس لها معنى على الحالين ، ويمضي غير حافل بالخلق محقين أو مبطلين ، وغير مكترث لهم ولا لنفسه في هداية ولا ضلالة) .

صاغه الرحمن ذو الفضل العميم ... عبق الظلماء في قاع سقر
ورمى الأرض به رمي الرجيم ... عبرة . فاسمع أعاجيب العبر

* * *

خلقة شاء لها الله الكنود ... وأبى منها وفاء الشاكر
قدر السوء لها قبل الوجود ... وتعالى من عليم قادر

* * *

قال كسوني مسحة للأبرياء ... فأطاعت ، يا لها من فاجرة !
ولو استطاعت خلافا للقضاء ... لاستحقت منه لعن الآخرة

* * *

سُنة لله فاقتفوا إثرها ... عصبة الناس وامضوا راشدين
علم الأقيال قدما سرها ... فأقاموا دينه في العالمين[1]

* * *

(*) ترجمة شيطان : الجزء الثالث .

(1) إشارة إلى كلف أكثر الملوك ببناء المعابد تعزيزا لقوتهم بقوة المعتقد .

سنة الله وما أوسعها ... رحمة منه بجاري الأمم
ويحهم ! لو لم يكن أبدعها ... كيف يدرون بأسرار النقم ؟؟[1]

* * *

فله الحمد على ما فقهوا ... من دهاء الملك والكيد الحذر
فإذا راموا نكالا شبهوا ... من أرادوه بشيطان قذر

* * *

قال : كسوني مسحة للأبرياء ... واخسأي أيتها النفس الرقيم
أيها الشيطان أضلل من تشاء ... سوف تأويك وتأوي الجحيم

* * *

فهوى الشيطان صفر الراحتين ... خاوي الزاد ويئس السفر
أين يمضي ؟ أين أفق الأرض أين ؟ ... في حجاب الكون ملأى بالأكر

* * *

بيد أن الشر ما زال أريبا ... وسبيل الغي مهسود الجناب
لن تراه حيث تلقاه غريبا ... أبد الدهر ولا نزر الصحاب

* * *

هبط الشيطان في وادي القرود ... أوهم الزنج كما قد خلقوا
أمة من صنعة الخلاق سود ... أخطأوا الصبغة أو قد حرقوا

* * *

أرضهم الخصب من أبنائها ... وحصاد الزرع فيها دائم
لا ينام الطفل في أرجائها ... وهم ظل عليها قائم

* * *

واستوى بين رباها والحوافي ... فإذا الصمت بها صمت السباع
صيد القوم كصيد[2] القفر حافي ... وهما بعد سواء في الشاع

* * *

(1) أي أن الأقيال إذا أرادوا أحد أتباعهم بنقمة أخرجوه حتى يزل أو جعلوا له العلة ليأخذوه بها .

(2) الصيد بكسر الصين هو الذئب .

وإذا الكعبة فى الأرض الشّرى ... ورسول العلم فى باريها الشروط
بين تنعى أو هراش أو كسرى ... يذهب التاريخ فيها ويعود(١)

* * *

ولقد هم وما أعجله ... يسأل الإنس بها لو يفقهون
أو ينادى الوحش لو أصغى له ... ألكم فى القوم صهر وبنون ؟؟(٢)

* * *

سخر الشيطان من قسمته ... ومن الأرض وما فوق السماء
ومضى يهجس فى سجنته : ... «ألهذا تُستذل الكبرياء ؟»

* * *

أن يكن أغوانىَ الزّج لزامًا ... فمن العُجم الضوارى عجبى
ماله يأنف إن يغوىَ حاشًا ... ذلك المغوى ذوات الذنب(٣)

* * *

ومشى ينغم فى غير طربْ ... نغم الخبطة باليوم العبوس
نغمًا يرصد من خلف الحقب ... يومَ تندك على الأرض الشموس

* * *

لا نطيل القول فالخطب يسير ... وحياة الإنس والجن هذرْ
خرج الشيطان فى الأرض يسير ... ومن اللّه إلى اللّه المصدرْ

* * *

نجمة جازت به مشرقها ... ثم ردته حيال المغرب
ويشاء الله أن يوبقها ... فاشتهاها شهوة المغتصب

* * *

وارتضى منها مقامًا رغدا ... حول بحر الروم أو بحر العجمْ
يتلهّى فى مغانيها سدى ... أو لأمر عقبت فيه الحكمْ

(١) الشرى مشددة أو مسبعة المعنى أن آداب المعيشة والأزياء فى ذلك الوادى الذى نزل به الشيطان من مجاهل إفريقية هى آداب السباع وأزياؤها فأقصى مكان هناك هو أوجرة الوحش ومكامنها وكل ما يعرفه عنها من العلم هو ما يصدر من شهوات الحيوانات وحركاتها من عفو الطبيعة فكأنها هى القائمة هنالك برسالة العلم وفريضة المعرفة .
(٢) هم الشيطان المتهم أن يسأل الوحش أى قرابة لكم بأهل ذلك الوادى لأنه رآهم جميعا متشابهين .
(٣) يقول الشيطان : إذا كانت الضوارى لا تحتاج إلى من يغويها فما حاجة أبناء حام إلى شيطان لإغوائهم

ورمى أول فخ فأصابا ... ودعاه الحق واستلقى فنام
وأناب الحق عنه فاستجابا ... فإذا الحق لجاج واختصام(١)

* * *

وإذا الحق طلاء الخبثاء ، ... رسن الواهن ، سيف المعتدى ،
ضلة الجهال ، لغز الحكماء ، ... ذلة العبد ، غُرام السيد

* * *

وإذا الحق طعام وكسون ... وإذا الحق بريق الذهب
لو يموت الناس أو لو يشبعون ... ذهب الحق ذهاب السغب

* * *

يا لها من لقطة زوّقها ... آض فرضًا بعدها الفعل الذميم
ويحسه ! فى نأمة أطلقها ... غلب السحرُ ولم يغن النعيم

* * *

نام لما صنع الحق وأغضى ... ولو اختار لاغضى أبدا
غير أن الشر لا يألف غمضا ... يخلب صفقته أو قد فقدا

* * *

فأطارت سنةً فى هدبه ... بهجة الزرع الذى كان بذر(٢)
كان أن يشكر نعمى ربه ... لو يسيغ الشكر شيطان كفر !

* * *

وتمادى بعدُ فى سَكرته ... كلما أنبت زرعا ينعا
فرأى الشوك فى دولته ... وجنى الوفرة مما زرعا

* * *

ألفُ جيلٍ بعد ألف غبرت ... صاحبَ الآباء فيها والبنين
ورأى فيها فنونًا ورأت ... منه فى صحبته أى فنون

* * *

(١) معنى هذا أن الشيطان صنع للناس شيئا دعاه الحق فكان علة خصامهم وانقسامهم فأغناه عن السعاية بينهم وإغوائهم بالشكوك وفى الأبيات التالية وصف ذلك الحق الذى صنعه الشيطان .
(٢) المقصود بالزرع هو ذلك الحق المخترع .

ائتلفتـــه مـثلمـــا أتلفـهـــا ... عجبًـا ! لا بل عـلام العجب ؟
أترى الشيطان يدري ضعفها ... وهو من ذاك بـريء أجتـب ؟[1]

* * *

فاشتى الخمر ورنات المثاني ... وأحب الغيد عـذريَّ الهوى !
لعـجـبًـا يتهل أنا بعـد أن ... نهـلا منهن ينعشن القوى

* * *

لا نطيل القـول فـالقـول هذرٌ ... وحـيـاة الإنس والجن هبـاءْ
إن يدمْ للناس سلطان القـدرْ ... فعليهم بل على الكون العفاءْ !

* * *

أنف الشـيطان من فـتنتـه ... أما يأنف من إهلاكـهـا
ورأى الفـاجـر من زمـرته ... كـعـفيف الذيل من نساكـهـا

* * *

مـا له يقصد خلقًا عـدمـوا ... آية الرشد ، وهديهم رشـدوا
وعـلام السلب عما غنمـوا ... وهُمُ لو غنمـوا لم يحسـدوا

* * *

كلهم طالبُ قـوت ، والشـرى ... ذل قـوم أو تعـالوا ، مـخصب
وقـصـارى الأمـر في هذا الورى ... راسب يطفـو وطاف يرسب

* * *

مـذ رأى الشيطان عـقـبى شره ... كـفـر المسكين بالشر العقيم
وأراها بـدعـة من كـفـره ... دونهـا الكفران بالخير العميم[2]

* * *

يا إله الكون يا خـير إله ... أين من قـدرك أصنام القدم
من كـرب الكون لا بل من سواه ... عـادلٌ في الخلق بر بالأمم

* * *

أنت يا رب لطيف في القـضاء ... فـاصـعق اللهم من يجحد لطفك
فـ... باسمك يا رب السماء ... ما رأى في الناس من يدرك وصفك

---

(1) ... عجب في أن يكون الشيطان عرضة للتلف فإنه لما كان يداخل الناس من جهات الضعف في نفوسهم ... يكون في نفسه شبيه تلك المواطن الضعيفة وإلا لما عرفها .

(2) ... أن كفر الشيطان بالشر إنما هو ضرب من الكفر أسوأ من الكفر بالخير لأنه يرى الخير أهون من أن ... العناية بإزالته ورصد المكائد له ، فالراشد والغاوي عنده سيان .

يكفر الشيطان بالشر العقام ... فـتبعـد الكفـر منه تنفسا
وتنجيـه إلى دار السـلام ... وقـديمًا قلت لا يغشى الحمى[1]

* * *

فيصلي اللهم من غير حساب ... وكـذا اللهم آلاء[2] العليم
فاعجبوا من نعمة الله العجاب ... وانظروا كـيف تلقـاها الرجيم

* * *

نزل الشـيطان من جنتـه ... منزلا يرضى به الفن الجميل
ومشى فاختار في مشيته ... هضبة عند مصب السلسبيل

* * *

هضبـة فيـهـا نخيلٌ وثمر ... وبراكين خبـا منهـا الضـرام !
وحـلاها دون أنماط الصـوَر ... قـالب الحسن كما شاء التمام[3]

* * *

قـالب الصنع الذي ينقل عنه ... كلُّ ذي فن أعـاجيب الفنون
ثمـرةٌ لا تفلت الألبـاب منه ... حفظته روضةٌ تسبي العيون

* * *

كملت زينتـهـا من كل فن ... وكـسـاها الزهو ولدان وحـور
وعلى أحـواضـهـا الطير تغني ... يا كـريمٌ ، يا حليمٌ ، يا غفـور

* * *

وحـواليـهـا على رحب المدى ... زُمَـر الأمـلاك من خلف زمـر
كلمـا راح عليـهـا أو غـدا ! ... شيَّعـتـه بنشيد مبتكر

* * *

ونفـيـض الوصف لولا أننا ... نصف الدار لكم يا داخليـهـا[4]
فاصبروا فـالصبر مفتاح المنى ... واسمعوا كيف غوى الشيطان فيها

---

(1) يؤخذ من هذا البيت إن هذا الشيطان لما كفر بالشر نقله الله إلى دار السلام أي النعيم وعد ذلك الـ... ندما لعله يكون سبيل الهداية والإيمان من جهة أخرى .

(2) الأفضال .

(3) للجمال مثل أعلى ينقل الشعراء أخيلتهم والمصورون صورهم فتلك البقعة التي اختارها الشيطان ... النعيم كانت مزدانة بقالب المثل الأعلى نفسه لا بالصور والأخيلة المنقولة عنه كما هو الشأن في ... وبقاعها .

(4) لا حاجة إلى الإطالة في الوصف فإننا نرجو أن يكون القارئ من أهل الجنة فيراها بعينه .

أزفت ساعته ذات شتاء ... أو على قول صفت حين مضى
وإذا حدثت في أسر السماء ... فاترك التاريخ سطرًا أبيضا

* * *

وقُبيل الصبح أو نحو الأصيل ... عند باب القدس أو باب الحرم !
ركب الشيطان فوق السلسبيل ... مركبًا يزجيه سلسال النغم

* * *

وفشت حوليه أرواح السلام ... كلُّ زهر باعثٌ منه شذاء
ساريات مثلما تسري المدام ... أو كما رقّت على الخد الشفاه

* * *

وهو ما بين وصيف وملكْ ... في رواق من رضى لو كان يرضى
سبحوا الله وقالوا الملك لكْ ... وهو يزداد على التسبيح قبضا

* * *

نظرت صحبته الوجهَ العبوس ... فرأوا في الخلد شيئًا عجبا
ما رأوا من قبل ما لون النحوس ... لا ولا يدرون إلا الطربا

* * *

والتقت أعينهم فابتسموا ... كابتسام الطفل في مهد الرخاء
وتمادى الأمر حتى سئموا ... فتمشت في الخليط الثؤباء

* * *

قال أدناهم إلى مجلسه ... وهو لا يعلم أنْ قد أغلظا
ما لمولاي أرى في نفسه ... بعضَ ما خُبّرت عن وادي اللظى

* * *

أترى الويل إذن والشجنا ... فترةٌ تُطبقُ أهدابَ الرقود(١)
أكذا الوادي الذي قيل لنا ... في صبانا أنه مرعى الجحود ؟

* * *

فانثنى العابس وقّادَ الجبين ... صارخًا صرخة مقتضي الهلاك :
أي واد ؟؟ قال وادي الكافرين ، ... قال دع هذا فما أنت وذاك

(١) سئم الملائكة منظر انقباض الشيطان فناموا كما ينام الأطفال إذا غلبت عليهم السآمة ولهذا ينام الملائكة لطهارة قلوبهم : حل الويل والشجن الذى يحسب أهل جهنم هو هذه الغفوة التي تجلب النعاس للعيون

قل لنا كيف ترانا ها هنا ؟ ... قال : ماذا ؟؟ إننا للفائزون
قال لكنني أرانا كلنا ... وأراكم قبلُ أشقى ما يكون

أيها القارئ وُقّيت العثار ... وبلغت الخلد موفور القدم
هل شهدت الجيش في هول الفرار ... أو رأيت الطير راعتها الديم(١)

إن تكن لم ترها فارصد لها ... ثم ما فزعة أملاك السماء
فزعةٌ لله ما أجملها ... صانها الرحمن عن سفك الدماء

ساءهم في الخلد ألا يُحسدوا ... رغم الحساد من تطلبه
راعهم في الخلد أن لا يسعدوا ... منكر السعد كمن يسلبه(٢)

ولقد علّمهم شيطانه ... علم ما لم يعلموا من غضب
ما لهم قد فاتهم شكرانه ... أوليس الغبط بالمكتسب ؟؟

لو تراخى خطبهم لاحتملوا ... عُدد الرجم لذاك المعترك
لطف الله فلو قد عجلوا ... لخلا من نجمه هذا الفلك(٣)

مننٌ لله لا يحصرها ... صيرفيٌّ وُزنت أعداده
خفرات لم يزل يظهرها ... كلما هام بها عباده

هو أرخى الوحي في جنته ... فسرى في الملأ الأعلى الصدى
حين نادى قسرٌ في وقفته ... كلُّ غضبان ولبى واهتدى

(١) الأمطار .

(٢) إذا أريت سعيدا من الناس أنه لا يستحق أن يسعد فكأنما جعلته كمن لا يتمتع بنعمة من النعم الموهوبة فسلبته تلك السعادة التي أنكرتها . وكذلك الملائكة في السبع ساءهم من الشيطان أن ينكر عليهم ما يعرفونه لأنفسهم من النعمة ورأوا أن إنكار السعادة وسلبها على حد سواء .

(٣) المعروف أن النجوم هي رجوم الشياطين يرجمهم بها الملائكة فلو أن أملاك النعيم اقتصوا من ذلك الشيطان برجمه خلت الأفلاك من كواكبها لعظم جريرته عندهم

فإذا الجنة أمنٌ وسكون ... كسكون الليل في ضوء القمر
خشعت حتى الشوادي في الغصون ... وصغت حتى وريقات الشجر

* * *

ساعةً ثم انجلى موقفها ... عن جلال الله فردًا في علاه
غابت الأملاك لا تعرفها ... وبدا الشيطان معروفًا تراه

* * *

وبدا الشيطان مصعوقًا ترى ... كبرياء الكفر في وقفته
عالي الجبهة يأبى القهقرى ... وتموّج النار من نظرته

* * *

وتنحى كلُّ مشهود فما ... ثَمّ إلا الله والطاغي الفريد
ويكاد الكون ما بينهما ... يغلب الشك عليه فيبيد

* * *

ساعةٌ أخرى وقد تم القضاء ... وانقضى العفو وحق الغضبُ
ساعة للنحس حلت والبلاء ... ومتى حلت فأين المهربُ ؟؟

* * *

حاقت اللعنة ، حاقت كلها ... وقضاها المنعم المنتقم
وجناها وهو لا يجهلها ... ذلك الجاني الذي لا يندم

* * *

هاتفٌ في الخلد لما هتفا ... نفذ السهم فمن ذا الهاتف ؟
إهو الرحمن ؟؟ لا والبقا ... بل هو الروح العصيُّ العاصف

* * *

هو روح يحمد الله وما ... أعجب الحامد لله الصمد
كلما أبصره مستحكما ... أصغر الكون وأزرى بالأبد

* * *

هو نتاج ... جت في عينه ... نعمُ الله فما هي يجتويها
حبة يزرعها في كونه ... تلكم النعمى ، فأين الجود فيها ؟؟(1)

(1) يجحد الشيطان جود الله وكرمه ويقول : إذا كان نعم الله إنما هي كالحبة التي يزرعها الزارع في أرضه فأين الجود فيها ؟؟

هو طاغ يأنف المستغفر إلى ... سائل يسأله عما جنى
يحسب الغفر عقابًا قد غلا ... كيف لو أعسر أولو أذعنا ؟؟(1)

* * *

فكرمي بالهجر لا يحفله ... حيث لا يبدأ خلق بالكلام
ويجد القرب أو يهزله ... ولعينيه وميضٌ وابتسام

* * *

قال : سبحانك يا مولى الموالي ... وتعاليت ولسنا نعتلي !!
لا سلامَ اليوم بقربه مغالي ... أيها المولى فهل تغفر لي ؟؟

* * *

أيها المولى ونوليك العزاءْ ... ويُعزّى سيدٌ يفقد عبدا
فاقد العبدان أولى بالرثاء ... من فتى يألم للأرباب فقدا

* * *

أيها المولى ولا تغضب على ... عبدك العاصي إذا لم تُرضه
عبد سوء رفض الخلد فلا ... تَبلُ بالجود فصارى رفضه !!

* * *

لا تعاجلني بلوم إنني ... قاتم عنك بلومي وانتقادي
أنا من ينصف من يغفرني ... ونجيٌّ بالذم مني لا يُعادى(2)

* * *

لائمي أنت على كفر النعم ... وكذا يبدأ باللوم الكريم
ليتني ذاك الكفور المتهم ... إنما الكفر أخو الخير القديم(3)

* * *

آخذي أنت بقوم شكروا ... بعض ما قد بسطت لي من نعم
كيف لا يشكر قوم ذكروا ... لك بالحمد حلول النعم

* * *

(1) إن الشيطان لتجبره يرى أن إصغاءه إلى من يلومه هو العقاب أشد العقاب فكيف به لو قبل ذلك اللوم أو أذعن له ؟؟
(2) يصف الشيطان نفسه بأنه لا يعادي أي لا يجامل في ذم نفسه لأنه يرى أقصى الذم كالثناء
(3) يذكر الشيطان إنه أصاب أي خير لمن يشكر أنه كفر لأن الكفر لا يكون إلا مع الخير .

تهب [illegible] لأ[illegible]ساد الثرى … وتعد الجسوع منهن كنودا
فـازت [illegible] ولا غـيرو ثرى … أنهـا تبلغ بالأكـل الخلودا

* * *

كم [illegible] تستغلا في ملكه … يحكم الناس بما لا يفقهون
ويرق [illegible] عن [illegible] … ويبيح الأمن من لا يسألون

* * *

هكذا [illegible] شقاء … دولة تمشي على الطرف النظر
حظ من [illegible] من السحر الشقاء … وسعيد من لهـا عما استتر[1]

* * *

فـاعن [illegible] من أقـدارها … أنهم نعم عباد المالكين
وأجعل [illegible] من أقطارها … حيث يرضون ، وما هم ساخطين

* * *

وإذا [illegible][2] الغضب الكدى … فـقل الكذبة فـردوس السماء
أو ليس [illegible] الهـدى … منزلا لا يتخطاه الرجاء ؟؟[3]

* * *

لا تعـ[illegible] لا يتقى … [illegible] الكون لسنا يكذب
أن يكن [illegible] مـزهقى … آخر الأمـر ، فحتفى مكتب

* * *

لا [illegible] هو الصدق وما … أجمل الصدق بشيطان غـوى
إنما [illegible] ما تما … قط بالخير ، وقد يسمو الهوى

* * *

(١) يقول [illegible] كل من يحاول الكشف عن حكمة الأقدار كما أن التنكيل نصيب من يحاول [illegible] الدول الخفية .
(٢) أقف .
(٣) يستصحب [illegible] الفردوس التي وعيها لأنه له رجاء فوقها ولذلك لا [illegible] فردوس ولا يعد الرضى [illegible] غاية [illegible] يرضى بكذبته أو حجره وليس جحره بأقصى ما ترتقي إليه الآمال .

إنما الصدق وبال يُفـتـرى … وأحق الحق مـا يوحى الرجيم
أبطل البـاطل لا يؤذي [illegible] … وأحق الحق يودى بالصميم[1]

أمجيبي أنت أم عند الصدى … أبدا الدهر سؤالي والجواب
أهي الراحة في الخلد [illegible] … ثمر الكون جميعا والقباب ؟؟

كيف يرضى خالد [illegible] … أسد بينكما لا يعبر
أيعاف الشأو أم يحـ[illegible] … أم يرجيه فـلا يقـ[illegible]

[illegible] الهم لا خلد منا … ومتى كـان خلود في قيود ؟؟
[illegible] الخلد وسواس [illegible] … وصدى الليل وأحلام الرقود

وسيبقى الكون في جـ[illegible] … أبدا [illegible] مهمـا اقتربا
خالق قسام على عنصـ[illegible] … و[illegible]ـاليق رأوه احتجبا

صانع يحيى البرايا [illegible] … وبرايا صنعـا من وجود
وكلا هذين موجود [illegible] … أبعد البون لعمري في الوجود !![2]

أيها الفانون في هذي [illegible] … خلدكم يا قوم آجال توالى[3]
تحسبون الخلد في نيل [illegible] … قد خدعتم ! فاشكروا الله تعالى

(١) [illegible] هذا الشيطان أن الناس إذا [illegible] الصدق قد تجردوا من الأهواء وترفعوا عن الطبائع ومطالب [illegible] [illegible] نذير الهلاك في عزمه .
(٢) تطمح كبرياء الشيطان إلى أعلى منزلة [illegible] منزلة أعلى منها وهي منزلة الإلهية فيسخط على قسمته ويقول كيف يرضى بهذه القسمة [illegible] ؟؟ أيعافون ذلك الشأو الذي فوقهم وهو لا يعاف أو يجهلونه والجهل نقص في مرتبة الخلود أو يطلبونه [illegible] فيكونون من المحرومين ؟؟ – وفي هذه الحجة موضع ضعف لأنها تفترض التماثل التام بين حالة الخلود و[illegible] الفناء في هذه الدنيا المحدودة .
(٣) المعنى أن خلود الفانين في رأي الشيطان [illegible] هو آجال محدودة متعاقبة ليس إلا فكأنهم لا يزالون فانين مع خلودهم وهو إنما يريد الخلود المطلق الذي لا [illegible] الآجال .

قد خدعتم فاسألوا الدود أما   يبلغ المأسول من شهوته
واغبطوه فهو أرقى ملحما ،   أو ما يوغل في حسناته ؟؟

* * *

اسألوا يا قوم أن لا تسألوا   وتمنوا للأماني الكمالا
وإذا أعجزكم أن تفعلوا   فاشكروا من يحرم الخلق السؤالا[1]

* * *

عفوك اللهم لو لا عفو لي   طال بي حلمك فابعث وجلك
[illegible]ت لا تخطر لي في أملي   لا تكن توبة نفسي أملك

* * *

[illegible] في خلقك يسجد من رجا   خلقك الأعلى فما نحن سجود
[illegible]نكون إذا صح الحجى ،   حجرا صلدا ولا هذا الوجود

* * *

لا تطيل القول . أما المنتهى   فقريب ، وجرى ما قد جرى
[illegible]سى أظلم والنجم سها   ولهيب النار أمسى حجرا

* * *

لا تسقانا حبطت فتنتي   حاش لله ولا الحلم نفد
[illegible] تكن قد خمدت جذوته   فمن الرحمة بالخلق خمد

* * *

حين جارت فتنة الغاوي على   عصمة الأملاك في غرتها
عجل الله به ما أجلا   وحمى الدولة في بيضتها

* * *

[illegible] كن عيدي فلما أن أبى   قال كن صخرا كما شئت فكان
[illegible]بعث طار فلولا أن خبا   لتغشى الكون نار ودخان

* * *

[illegible]لقد قال أناس شهدوا   مصرع الشيطان هل طبع يزول ؟؟
[illegible] تخبو فلا تعتقد   وهو في الصخرة يستهوي العقول

(1) يقول الشيطان إذا طلبتم أمنية تستحق الطلب فلتكن أمنيتكم أن تصبحوا من الكمال بحيث لا تطلبون شيئا . وهذه أمنية لا يقل الله منكم أن تطلبوها فاشكروه لأنه يحرمكم السؤال .

فإذا أبصرت من صخرته   دمية ساحرة أو صنما
فابتعد منه ومن رقيته   واتق الله وحوقل ندما

وتعجب من شواظ[1] رده   طارق اليأس صفاة جلمدا
وتدبر كيف أبقى كيده   ومحى روحا وأفنى جسدا

ولقد أسمع فيما زعموا   نبأ من نحو إبليس أتى
قال لا تأسوا ولا تنتقموا   معشر الجن فما بز الفتى

ما أرى هذا الفتى من دمنا   ومتى استغوى الشياطين الشرك ؟
أترى شيطانه من قومنا   أغوت الأملاك فهو ابن ملك !

ذاك أو كيف أطاشت فمه   غير[illegible] على القول الصراح
أكسيا الشرثار أم أسقمه   أرج الجنة أم مسل الكفاح ؟؟)

فتلاحى القوم[2] ثم استضحكوا   ودعا مازحهم شر دعاء
قال فلنسلكه فيمن سلكوا   أيها المولى سبيل الشهداء !

وتقضت بينهم سيرته   ومضى كالطيف أو رجع الصدى
باء بالسخط فلا تبعته   رضيت عنه ولا أرضى العدى

وكذا المجهد بشبوب[3] القلى[4]   عارم[5] الفطنة جياش الفؤاد
أبدا [illegible] بالقول فلا   يعجب الغي ولا يرضى الرشاد

(1) شواظ النار اللهيب .   (2) تلاحى القوم - أي تنازعوا .
(3) الشبوب المتقد .
(4) القلى : الكراهية .
(5) العارم الذي اشتد وجاوز حده .

شوقيات

هيكل إدفو(*)

يا دار بطليموس حسبك رفعةً ... وصيانة بين البِنَى وجمالا بالشامخات
حرصُ الزمان عليك وهو موكَّلٌ ... يحسيلهن أطلالا
أبقاك في فلك الزمان مصونةً ... جيلان يبنيك الملوك وصالا(1)
لم يحصروا بك موضعًا لزيادة ... إلا استزادوه علاً وجلالا
غدروا ذوي القربى ودكّوا دورهم ... وتلاحقوا عمًّا إليك وخالا
واستنزلوا الأرباب فيك ليشهدوا ... بين العباد ثوابًا ونزالا !
وضعوك أم رفعوك لما صوروا ... فيك الصلاح أسنة وصالا !
وتقمّصوا الجسوم الجليل أم ابتغوا ... زلفى لديه وقسوة ونوالا ؟
ضلَّ الذين تطاولوا فتوهموا ... أن الأوائل دونهم أفعالا
حسبوا المعابد أرضَها وسماءها ... كونًا من حكم الطبيعة حالا(2)
هبطتْ من الملأ العليِّ فأصبحت ... فيها الذئاب الضاريات سخالا
تنسى العداوة والصداقة والهوى ... فيها وتنسى الخوف والآمالا
كذبوا فما تغني الأنام عبادةٌ ... تذر القلوب فوارغًا أغفالا
لا ربَّ إلا من يبالي شعبه ... عند الكريهة إن جفا أو مالا
لا تعبدنَّ إذا أردت سيادةً ... ربًّا يُعين الصيد والأنذالا
واعبد إلهًا يصطفيك بعونه ... ويذيق خصمك ذلةً ونكالا(3)
من ظنَّ أن الإله كعباده ... عند الإله . فكيف يسعد حالا ؟؟

* * *

الخوف يغتال القويَّ ضعيفهم ... والدهر يغتال الفتى المغتالا
وصغار كل القاهرين تقاصرت ... عند مكائد من طغى واحتالا

(*) هيكل إدفو : جزء ثاني .
(1) وصالا : أي متواصلين .
(2) حال : أي اختلفت .
(3) هو الإله العادل الذي يعين الأخيار ولا يسوي بينهم وبين الأشرار .

ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم ... أسفًا وما نقص الثرى مثقالا
تلك الفراعنة الحماة وخلفوا ... للملك أعلامًا بمصر طوالا
وخلا الأكاسرة البغاة كأنهم ... عبروا بمدرجة الزمان رمالا
ومضى البطالسة الكماة وهذه ... مصر يزيد شبابها إقبالا
تتقوض الأوطان وهي كدأبها ... من عهد نوح تربة ورجالا
عهد على الله القدير وذمة ... ألا تضيم لها الكوارث آلا
فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا ... قسط البنين معارفًا وخصالا
إنا لنرجوها ونوقن أنه ... ما كان يومًا لا يكون محالا
ومستقل فلا تقولوا إنها ... صمد الهوان بها فلا استقلالا

* * *

تمثال رمسيس (*)(1)

رمسيسُ أين جنودك البسلاء ... ومواكبٌ لك في البلاد وُضاء
وبشائر بك كلما طال المدى ... وتفتحتْ بإيابك الأنباء
والجيش حولك كالغمائم فوقهم ... للمُلْك والفتح المبين لواء
متهللين غداة أطفأ شوقهم ... نبأٌ أتوه وهم إليك ظماء
فنىَ الجنود فهمْ عِثْيَرٌ(2) ... سافٍ وأنت جلامدٌ صماء
تتخيَّرُ الصحراء دار إقامة ... إن الليوث ديارُها الصحراء
وتكنَّفتك(3) من الخلود مسافةٌ ... لا يستبيح ذمارها الأحياء

. . . .

رمسيس أيةُ صخرة بين الصفا(4) ... قد شرَّفتها هذه السيماء
رجحتْ بها التبر السبيك نفاسة ... ما التبر والذكر المقيم سواء
سفلت سماتك بيننا وتطلعت ... تبغي علاك فعازها الأجواء
بذكت مواقفة الزمان ولم يكن ... يعروك أنت بموقف إعياء

* تمثال رمسيس : جزء ثاني .
(1) رمسيس الثاني : أكبر فراعنة مصر تمثال ضخم على مقربة من البدرشين وهو التمثال الذي كانت الحكومة قد عزمت على نقله إلى القاهرة ونصب في ميدان باب الحديد .
(2) العثير : التراب الثائر . (3) وتكنفتك : أحاطت بك (4) الصفا : الحجارة .

إلى متطوعي مشروع القرش (*)

. . . .

يا فتية القرش وروّاده ... على سواء المنهج الواضح
خذوا هبات الجود حتى إذا ... فرغتم من فيضها النافح
طوفوا على الدور ولا تتركوا ... بابًا قد استعصى على فاتح
وحاصروا الراكب في ركبه ... واسطوا على السانح والبارح
وراقبوا الجسر ولا تتقوا ... غوصًا وراء الغائص السابح
وعلّموا من ضن بالقرش أن ... يخجل من عدوانه الفاضح
فمن أبى قرشًا على أمة ... فذاك كالجاني وكالجارح

* * *

عيد الاستقلال السوري (*)

(ألقيت هذه القصيدة في احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال في سنة ١٩٢٠) .

ربعَ الشآم أعامرٌ أم خال ... اليوم عيدك عيد الاستقلال
إني لأرجع بالسؤال أطيله ... لو علك الشهداءُ رجع سؤالي
سكنوا وأقفرت المنازل منهمُ ... إلا منازل من صُوى(1) ورمال
بوركت من وطن يجل شهيده ... في حبه ألقى عصا الترحال
وطن تضيق الأرض عن أبنائه ... وإليه موئلهم مع الآمال
يتملكون الخافقين ببضعة ... منه ، وما قنعوا بالاستبدال
جمعوا بأفئدة تشوق شملها ... شغفًا ، وما فيهم فؤادٌ سال

* * *

(*) إلى متطوعي مشروع القرش : عابر سبيل .
(*) عيد الاستقلال السوري : وحي الأربعين .
(1) الصوى : القبور والحجارة التي تتخذ دليلًا على الطريق .

يرتاد راحلُهم وخلف ركابه … حُلُمٌ يبيت به مع الترحال
يصحوا على «الشاغور» من لبنانه … وينام من «بَرَدَى» على السلسال
ويهزه من «عشقوت»(1) خميلةٌ … تلتفُّ بين جداول وتلال
وتليه من وادي العرائش نسمةٌ … سكرى الضحى رفافة الآصال
أنّى استقرّ وحيث سار هفا به … همسٌ من الجبل الأشم العالي
أين السلوّ؟ ولا سلو لعابر … فيه، فكيف بولد ونسال
هذي مواطنكم وتلك قلوبكم … وشجت(2) على الأهواء والأهوال
ما في المدامع من شعار كنيسة … يوم الحنين، ولا شعار هلال
فيمَ اختلافُ معقدين تضمهم … - قبل الوفاء - سلاسل الأغلال
أتنازعون على السماء وأرضكم … نهبٌ لكل منازع ومُوال ؟
كونوا - ولا تصحُ لجبل نبوة - … في العالمين هداية الأجيال
من يعليك خذوا المثال لرأيكم … يوم الخلاف، وتلك خير مثال
فيها لموسى والمسيح وأحمد … أثرٌ وللوثن القديم البالي

* * *

أنتم بنو ماضٍ على أحزانه … نغمُ البشير لكم بالاستقبال
ماضٍ بأمثال التجارب حافل … ومن التجارب حكمة الأمثال

* * *

النشيد القومي (*)

قد رفعنا العلمْ … للعلا والفدى
في ضمان السماء

* * *

حيّ أرض الهرم … حيّ مهد الهدى
حيّ أم البقاء

* * *

(1) عشقوت: هي قرية شتورة الحديثة فما يقال.
(2) وشجت: اشتبكت.
(*) النشيد القومي: عام [illegible].

كم بنت للبنين … مصر أم البناة
من عريق الجدود

* * *

أمة الخالدين … من بهيها الحياة
وهبته الخلود

* * *

تحت أصفى سماء … فوق أغنى صعيد
شعب مصر مقيم

* * *

قد حوى ما يشاء … من زمان مجيد
ومكان كريم

* * *

نيلنا خير ماء … كوثر من نعيم
فاض بالسلسبيل

* * *

في العروق الدماء … شعلة من جحيم
للعدو الدخيل

* * *

إن يكن أمسنا … في حمى الأولين
فلنعش للغد

* * *

لا نرى شمسنا … غير فتح مبين
ما يدم يزدد

* * *

فارخصي يا نفوس … كل غال يهون
كل شيء حسن

* * *

إن رفعنا الرؤوس … فليكن ما يكون
ولنعش يا وطن

* * *

يوم الجهاد (*)

أجل هو يوم الفدى والندم ... ويوم الجهاد ، ويوم القسم
ويوم الذين دعوا أمة ... ونادوا بدعوتها في الأمم
ويومٌ له غده المرتجى ... ويومٌ له مصره في القدم
هنا حرمٌ في جوار الزما ... ن فحيوا الزمان وحيوا الحرم
هنا فليقم عهده من أقا ... م ، ويعزمْ على أمره من عزم
ويستقبل الهول من راضه ... ويرتد من خافه فانهزم
تعز الصفوف بنبذ الجبا ... ن كعزتها بشجاع هجم
وتحمى الحقوق بدفع الضعيـ ... ـف كدفعك عن حوضها من ظلم
فليست تصان الحقوق التي ... حمى جانبيها ضعاف الهمم
وهيهات تعلو لنا شوكة ... بشكوى الذليل ، ونجوى السأم
إذا كسرتْ أمة لم تكن ... كرامتها من هبات الكرم
إذا استرحمت أمة خصمها ... فلا رحمتها عوادي النقم

* * *

. . . .

كفى لعبا أيها الهازلو ... ن ، فقد ملأ الخطب مصرًا وطمْ
لئن أسأمتكم كبار الأمو ... ر لقد أسأمتنا صغار اللمم
وقد أسأمتنا رعاة تسا ... ق ، فأين الرعاة وأين الغنم ؟
أأصنام باغين تبغونها ... وأنتم تذلون ذل الخدم ؟

* * *

أأطلب حرية المستبد ... وألقى بحريتي عن رغم ؟!
فماذا أقول لهذا الجبين ... وما عابه عائب أو وصم
وماذا أقول لهذي اليمـ ... ـين ، وأني بها قد صنعت الصنم
معاذ الفتوة . أني لكم ... على رصد ساهر لم ينم
هو الحق ما دام قلبي معي ... وما دام في اليد هذا القلم

(*) يوم الجهاد : عابر سبيل .

عيد بنك مصر (*)

ألقيت في الاحتفال بمضي خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر

بلغتَ الشباب ، فعش وازدد ... وأوح التهانيَّ للمنشد
نما بك جسدك في المعجزا ... ت ، فيالك من معجز مفرد
أفي السن كاليافع المرتجى ... وفي المجد كالهرم المخلد ؟
وما هرم الصخر في مجده ... نظيرك يا هرم العسجد
وما بنيةٌ حرةٌ في الرضى ... تقام : كبنية مستعبد
بنو مصر في كل عهد لهم ... بناء على سُنَّة الموقد
فحينا معابدُ فوق القرى ... وحينا مصارف كالمعبد
بهذا وهذا نجاري الزما ... ن ، ونسبق في شوطه الأبعد
وندرك في يومنا أمسنا ... ونرفع شأويهما في الغد

* * *

. . . .

فيا قائمين على (حصن مصر) ... سعدتم برضوانها الأسعد
إذا قيل (بنك) فقد قيل حصـ ... ـن ، غنيا بالعتاد والمعتد
ومَن قال يا أمتي فلي ... فقد قال يا أمتي جندي
هنيئا لكم قيادة ذادةٍ ... يصولون صولة مستشهد
هنيئا لكم (حربكم) أنه ... من الحرب في وصفها الأحمد
لكم راية النصر مرفوعة ... على ساحة الزمن السرمد
تعود لكم كل أعيادكم ... بأجمل مما به تبتدي

* * *

دار العمال (*)

ألقيت في دار العمال عند افتتاحها في صيف سنة ١٩٢٥ .

حيِّ «دار العمال» بالإقبال ... وترقَّبْ لها بلوغ الكمال
وانتظر رافعي الدعائم حتى ... يرفعوا بينهم عزيز المثال

(*) عيد بنك مصر : عابر سبيل . (*) دار العمال : عابر سبيل .

رفعوا أمس ما علا من صروح ... ولهم في غد صروحٌ عوالي
ولهم في غد من الأمر قسط ... من يكن مؤمنا به لا يغالي
أيها الآملون لنبنيكم اليو ... م ، ولنبنيكُم غدا في المجال
نعم جيش السلام أنتم إذا ما ... جرَّد البغي جيشه لاغتيال
لكُم العدة التي ما استطاعت ... أمةً قط تركها في نزال
ولكم أذرع شداد وأيد ... من حديد ، وأظهر من جبال
ولكم في اتحادكم رأس مال ... إن فقدتم ذخائر الأموال
ولكم صيحة يهاب صداها ... سادة في نفوسهم كالموالي
فابلغوا بالوئام والصبر ما لا ... يبلغ المرجفون بالأهوال
لا يسخِّركم المسخر جهلا ... وانبذوا كل عاطل مكسال

* * *

أيها المنقذون بنية مصر ... من فتور ومن ضنى أو كلال
أنتم الكف والذراع وأنتم ... قوة في عينها والشمال
حظكم حظها من العلم والصحة والبأس والحجى والخصال
كلما نالها نصيب من الخير فأنتم لكم نصيب تالي
أعجب الناس عامل في بلاد ... صاح فيها : ما للبلاد ومالي ؟
لا تقولوا العمال حسْبُ ، وأنتم ... في بلاد تموج بالعمال
إن مصرا تنال من غاصبيها ... أجر بخس وخدعة ومطال
وهي أرض للواغلين عليها ... سطوة أشعبية الإيغال
كل من في جوانب النيل عان ... مستغل الجهود والآمال
كلهم غارس لآخر يجني ... ثمر الماء ، والثرى ، والرجال
وإذا ما تفرقوا طبقات ... جمعتهم جوامع الأغلال
وإذا قيل موسر وفقير ... فقصاراهما إلى استغلال
حققوا الأمر ما قضية مصر ... بعدُ إلا قضية العمال

عيد الجهاد(*)

«١٣ نوفمبر»(١) بعد ربع قرن

جددوا آل مصر عيد الجهاد ... بجهاد على المدى في ازدياد
إنما قُدّر الجهاد عليكم ... يوم كان «استقلال» هذي البلاد
والذي أوجب الحراك على الأ ... يدي انطلاق الأيدي من الأصفاد
ليس كل الأعياد ندحة لهو ... قد تكون الأعياد لاستعداد
وقضايا السلام أطول عهدًا ... من قضايا الخصام بين الأعادي
قادنا معشر فلما تولوا ... أسلمونا أمانةَ القوّاد
ما إخال الروّاد قد سرّحونا ... بعدهم نحن معشر الأجناد
سبقونا ممهدين وقالوا ... دونكم فانهضوا بغير رقاد
قد حملنا وديعةَ الأجداد ... فاحملوها أنتم إلى الأحفاد

* * *

صدقوني فرب صدق نذير ... حاط قومًا من صادق الإيعاد
لغدٍ - فارقبوه - أحوج منا ... لاجتهاد في أمرنا واتحاد
قد بدا حولنا مدى الحرب فينا ... ومدى السلم حولنا غير باد
إنما الهول في غد فاتقوه ... واستعدوا له بأطيب زاد
ما الوغى والسيوف مشتجرات ... كالوغى والسيوف في الأغماد
من حروب على اللسان صراح ... وحروب مكنونة في الفؤاد

* * *

(*) عيد الجهاد : بعد الأعاصير .

(١) يتشاءم الناس من رقم ١٣ ولكن ذكرى الجهاد قد أسقط أن تجعل من هذا الرقم يوم عيد .

وأباطيل فتنة وضلال ... وعقابيل محنة وفساد
كم تلاقون في غد من دعاوى ... صبغوا لونها بكل حداد
ووباء الأخلاق من كل فج ... وبلاء الأرزاق في كل واد
ـسم للحطام في غير عدل ... وادخار له بغير سداد
بين كفّان أثقلت جانبيـه ... تخمةٌ جمة ، وجوعان صاد
إن وقيتم بلادكم من أذاها ... فانعموا بعدها بعيد الجهاد

* * *

عيد النيروز (*)

أهلا بنيروز وليد ... أهلا بميلاد سعيد
يومٌ جديدٌ . قلت بل ... عهدٌ على مصر جديد
عهدٌ تصان كرامةٌ ... فيه ، وتتبعها جهود
لا تستذل ولا تسا ... م على الهوى سوم العبيد
وغداً ستنقشع الغيو ... م فلا بروق ولا رعود
ما كان غير الصالحـ ... ـين لهم قرار في الوجود

* * *

مصر الكنانة كعبة ... قرت على حصن وطيد
لا تلبث الأصنام فيـ ... ـها أن تنكس أو تميد
كم ذا أراد بها الأذى ... باغ ، وكاد لها حسود
يمضي بعدد ما يريدُ ... والله يفعل ما يريد
حوض له من قومه ... ورد ، وما أحلى الورود
إن لم يذد أبناؤه ... عنه ، فمن عنه يذود ؟
سمرٌ وسودٌ أين من ... صبغيهما حمر الخدود
شتان ما هم في الأصو ... ل ، وفي المهود وفي اللحود

* * *

(*) عيد النيروز : الاحتفال بعيد النيروز نشرت بالعدد ٧٣ من الأخبار الخليفة بتاريخ ١١ من سبتمبر ١٩٥٢ .

يا صحبة التوفيق وفـ ... ـقتم إلى النهج السديد
حييتم النيل المبا ... رك واحتفيتم بالصعيد
عيد الوفاء إذا استعيـ ... ـد فمن وفاء المستعيد
عيدٌ له في ذمة التا ... ريخ توفيقٌ حميد
عيد الأوائل والأوا ... خر ، والخمائل والورود
العالمية وصفه المعـ ... ـهود في كل العهود
من فارس عنوانه ... وصداه في الدنيا بعيد
كم صان مصريون ذكـ ... ـراه وحياه هنود
وترنمت فيه العرو ... بة بالقصيد وبالنشيد
ما بين شعر البحتر ... ي وبين نثر ابن العميد
أم يؤلف بينها ... من حيث فرقها الجدود
ما أحوج الدنيا إذا ... اختلفت إلى عيد وحيد

* * *

في كل عام تحتفي ... ن بمولد اليوم الجديد
بالنيل غير مقسم ... فرد له ملك فريد
ملك على دين الإخا ... ء ونعمة العيش الرغيد
لا راغم فيه بسا ... د وكل من فيه يسود
وتراه ضاع وظنه ... ألا يضيع ، ولا يبيد

* * *

يا مصر يا بنت الخلود ... يا معقل المجد التليد
أين الذين جزوك جسا ... زية الخيانة والكنود
من كل مسخ هازل ... في زيّ جبار عنيد
يحكي الأسود تجبرا ... وكذاك عربدة القرود
طاغ عليك ؛ ومنك لا ... منه الصوالج والبنود
وكأنما في جوفه ... نار تلظى بالوقود

أبداً تنادي كلمـــــا　　أطعمتها هل من مزيد

لا تصح يجدي في هذا　　يته ولا عتبٌ يفيد

أين القرار به ، وأين　　اليوم موكبه المجيد ؟!

ولّي وولّى صحبه　　لا غائبين ولا شهود

من كل مغلوب على　　كمد ومنبوذ شريد

الله أقوى قسوةً　　من كل شيطان مريد

كم ذا استعز ببأسه　　فأذله البأس الشديد

بأس الجنود العاملـ　　ـين يقودهم رب الجنود

* * *

النيل أقبل من بعيد　　وكأنه حبل الوريد

متدفقٌ بين السدو　　د ، ولا حدود ولا قيود

فيض من السودان مو　　رده وقبلته رشيد

متجدد في كل عا　　م عند موعده يعود

* * *

الفالوجة(*)(1)

. . . .

أجل هي مصر التي نعهد　　إذا نفد الدهر لا تنفد

لها مورد من حماة الذما　　ر . يسعفه أبداً مورد

فلله مصر وما جددت　　وأبناء مصر وما جددوا

إذا ما ارتضى الموت أبطالها　　فرضوانهم أنها تخلد

(*) الفالوجة : بعد الأعاصير .

(1) تحية لأبطال الفالوجة الذين قاوموا الحصار في معركة فلسطين على قلة المواد والذخائر والأسلحة المعروفة .

أعادوا لها سيرة الأوّلـ　　ـين ، والعود من مثلهم أحمد

نحن الرمال التي خضّبوها　　ويشفى في جوفها الجلمد

فكم لعليّ ، وكم لصلا　　ح جنودٌ بساحتها استشهدوا

وكم قبل ذلك أربابها　　كُماةٌ على صخرها وُسِّدوا

معودةٌ أن تجيب الدعا　　ء إذا ما دعا المجد والسؤدد

. . . .

بيوم مجيد ، لأمس مجيد　　وإن غداً بعده أمجد

* * *

بنو مصر لله ما جاهدوا　　وفي الحق والخير ما أعتدوا

أولوا البأس لكنهم عصبة　　إذا ما اعتدى البأس لم يعتدوا

ومنهم لكل ضعيف حمى　　وفيهم لكل أخ مُنجد

أغاثوا المروءة في محنة　　أساها بها الزمن الأنكد

* * *

تقدير

شكسبير (*)

بين الطبيعة والناس

أبا القوافي ورب الطرس والقلم   ماذا أفادك صدق العلم في الأمم؟
لم يعرفوك ولم تجهل لهم خلقا   هذا نصيبك من دنياك فاغتنم!
قضّيت دهرك تلهيهم وتضحكهم   يا للعجائب من أضحوكة القسم
لا يوثق الدهر رئبالا ليضحكه   فاعجب من الناس، لا تعجب من البُهم
هلا رأوك على قرب بنظارة   ترى الحجى رؤية الأسوار والأطُم؟
ولو رأوك بتلك العين لانخلعت   رقابهم دون أدنى تلكم القمم

* * *

شرعتَ للناس وردًا لا انقطاع له   يوم انقطعت عن الآفات والنعم
والميت قد ينفع الأحياءَ ما عَمروا   وليس ينفعه الأحياء في الرَّجم(1)
إنْ يذكروك فما جاءتك ذكرتهم   في الغابرين، ولا سرتك في الرمم
أو يكبروك فماذا قول مرتجل   للشمس: هذا ضياء الكوكب العلم
أو يشكروك فما بروا ولا ندموا   أين الجهالة من بر ومن ندم؟
ارجعْ إليهم، وقل فيهم وغنِّ لهم   أينظرونك إلا نظرة القدم؟
ما أكثر البر باسم لا غناء به   وأندر البر بالأرواح والنسم
لا يقدر الناس يومًا أجر سادتهم   وإنما يقدرون الأجر للخدم
أجر العظيم زماع(2) في جوانحه   يجزيه بالأمن أحيانًا وبالألم

* * *

وصاحب لك أرخصتَ الفؤاد له   والحبُّ أقرب من إلّ ومن رحم
فرد من الناس لو شد الوفاء به   أهونتَ غدر جميع الناس بالذمم
فقدته وهو موجود على كثَب   يا موجد الحسن أسرارًا من العدم
لم يُغن قلبك عنه حبّ زخرفه   عن صورة الحسن في الأوصاف والشيم

(*) شكسبير بين الطبيعة والناس: جزء ثالث . ٢٢ (٢ ؤ فقرة ١٥٥).
(1) الرجم: القبر. (2) زماع: عزم وبأس.

بل زاد شجوك أن تلقى لها مثلاً ... حبًا ، على أنه في لبعد كالحلم
أعناه باللهو عما أنت ضامنه ... من ليس يغنيك عنه بالنهى العمم
هلا سلكتَ إلى قلب الحبيب وقد ... عرفتَ سر قلوب الناس كلهم ؟
هيهاتَ لا تملك الألباب ما عرفت ... أين المنجم من شهب ومن رُجُم
أرضٌ تراها ولم تملك مقالدها ... لتلك أقصى لعمري من ذرى إرم

* * *

أبا القريض وحسبُ القول معجزة ... بشكسبير وحسب العرب والعجم
لو فاخر الكون أكوانًا تناظره ... كنت الفخار فأبدت ذلك العقم
ما الفخر للكون إلا بالحيلة وما ... من بضعة هي أحيا منك في الأدَم(1)
لما رأت بك عمياءُ الحياة جلت ... ماليس يجلوه نور الصبح من ظلم
(حتى الخرافات ترجيها فتحسبها ... من خلقة الله لا من خلقة الوهم)(2)
تكاد إن لم يجدها الطرف مائلة ... في الأرض تقدح فيه قدح متهم
تقاربت عندك الأقدار والتهمت ... حيالك الخلق طرًا كل ملتهم
فما احتفلت بأمر هائلي جلل ... صعب المرام ولا أزريت بالنسم(3)
(مثل الطبيعة تذكى الشمس ساطعةً ... في عُلُو ، إذكاءها المنار في السلم)(4)
كم ترجم الناس عن فحوى حقائقها ... أنت تنقلها نصًا إلى أنفسهم

* * *

أبا القريض ألا بوركت من رجل ... إن الرجولة في الأقوال والهمم
لقد خدعت خداعًا لن يضل به ... إلا الذكي الفؤاد الصادق الحكم
وقد خلدتَ ولكن مثلما خلدت ... تلك الشخوص التي أنشأتَ بالقلم
هذا فصارك في الدنيا وأحسبها ... تلهو بنا ، بيد هوجاء ، لا بغم
صالت على القوس ترمينا على غرر ... من الظلام ، بلا وزن ولا نغم
يا ليتها كلمتنا وهي رامية ... أو غلّها شلل أحرى بذا البكم

(1) الأدم : جمع أديم وهو الجلد .
(2) الوهم : هذا المعنى لها زفيت للناقد الإنجليزي .
(3) النسم : الصغار
(4) هذا المعنى مقتبس من أمرسون .

مجاورَ الموت هل ألقيت في يده ... بقية منك لم تُقرأ ولم تُشم ؟(1)
ألقيت في الأرض جمرًا لا ذكاء له ... فأين أفلت ذاكي ذلك الضرم ؟
أمست فسرب ثراها واتقيت يدًا ... تمس منك بقايا الأين والسقم
والأرض أملك والإنسان بعدُ أخ ... وقد يمد شقيق كف منتقم
لقد لحقت وكم في ذاك من عجب ... بزمرة الصخر ، فانزلْ ثم في حرم
ما أبلغ الموت في صمت رمالك به ... يا أبلغ الناس في صمت وفي كلم

* * *

ذكرى سيد درويش (*)

في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

اذكروا اليوم سيّدا ... واحفظوا الذكر سرمدا
وتغنوا بحمد من ... قد تغنى فأسعدا
من يكن ذاك أمسه ... يبتدئ مجده غدا

* * *

كان للصوت مالكا ... كيف لا يملك الصدى ؟
قد حوى السمع شاديًا ... وسيحويه مُخلَدا
أخلد الناس من إذا ... قبل تاريخه شدا
عاش للفن والفنو ... ن مصابيح للهدى
مطلع النور ، نجمها ... جاوز الشمس مصعدا
من يعش في السماء هيـ ... ـهات لا يعرف الردى

* * *

جددوا اليوم ذكر من ... قد تغنى فجددا
الطلى صوّر الحيا ... ة هتافًا مرددا
علم الناس كيف يغنو ... ن باللحن مقصدا
ما ابتغوا قبله المعا ... ني في القول مسندا
وانثنوا يعجبون للطـ ... ـير لما تغردا

(1) تشم : شام البرق نظر إليه أين يذهب وأين يمطر
(*) ذكرى سيد درويش : عابر سبيل .

ولهمس النسيم في الـ ... ـغصن لما تأودا
والدراري والسنا ... والأزاهير والندى
سمعوا كل ما انطوى ... من أسرار وما بدا
سمعوا الكون بيننا ... والمقادير شهدا
فتح الباب كله ... بعد أن كان موصدا
ربما جاز فالح ... في المدى ما تعمدا

* * *

إنما الفن في الشعو ... ر شباب له الفدى
فيض ما زاد من شعو ... ر وما هام مبعدا
سورة في عروقها ... يتقى بأسها العدى
لا أنين ولا طنين ... ولا ضجة مبتدى
أو نديم لشارب ... بالطلا قد تزودا
أو بكاء كما بكى ... سائل يطلب الندى
رحم الله سيدا ... كان للفن سؤددا
ليت أحبابنا الأولى ... سبقوا الموت موعدا
لحقوا - وهو في الثرى ... منه روحا تفردا
وارتأوا مثل رأيه ... واقتدوا مثلما اقتدى
أي بحر الظن أنه ... جاوز البحر فاهتدى (١)
مفلح من يكون أستا ... ذه البحر مزبدا
إنما اللحن ترجما ... ن عن النفس ما عدا
مبدع وهو نائل ... كلما قال أوجدا
واصف لن نرى له ... عاذلا أو مفندا
هكذا كان سيد ... صادق الوصف مرشدا
ما سمعنا لشعب مصـ ... ـر علي ما تعددا
واصفا كان مثله ... مستجابا مؤكدا
كل رهط أعاده ... لحنه أسلم اليدا

(١) كانت نشأة الموسيقار الكبير في ثغر الإسكندرية.

وحبيب أراه بسره ... ناطق الوصف منشدا
ليس من عامل ولا ... عاطل راح أو غدا
أو سري مجلل ... أو فقير تجردا
أو قوي مزمجر ... أو ضعيف تنهدا
أو دعاء دعاه إلا ... عرفناه جيدا
هكذا يسمع الخليـ ... ـقة من يسمع الصدى

* * *

إنما اللحن منطق ... وحد الكون إذ حدا
فيه لا في البنان يبـ ... ـدو تطريبا منضدا
اسمعوا منه في الضما ... ئر وحيا مؤيدا
حيثما ينصر الكلا ... م ويمشي مقيدا
وارفعوا الفن واحذروا ... عبطا منه أو هدا
واجعلوا من تراث درو ... يش للفن معبدا
إنه مهد الخطى ... فابلغوا أنتم المدى
رحم الله سيدا ... كان في الفن سيدا

* * *

تكريم عامر (*)

بلدة الشمس والجبال ... كيف لا تنجب الرجال ؟
أنجبت مثل عامر ... وهو في الهمة المثال
الذي في جهاده ... سبق القول بالفعال
والذي كان أول الصـ ... ـف في حومة النضال
عندما نودي «الدفا ... ع» بدا فارس المجال
وتلا من تلا وصا ... ل بنو النيل حيث صال
أشجع الناس باذل ... عزم الشيخ والمطال
كرم النفس كالشجا ... عة من أندر الخصال

(*) تكريم عامر : عابر سبيل - أنشدت في احتفال أقيم لتكريم السري الأسواني الكبير إبراهيم عامر «باشا».

كرموا الذروة التي ... رفعت هامة الهلال
رفعت أرضنا وطا ... لت مع المجد حيث طال
واحمدوا في احتفالكم ... أجدر الناس باحتفال
العصامي في الغنى ... والعظامي في الخلال
والذي جدّ وحده ... فيثأى عصبة الرجال
والذي كل درهم ... في تجاراته حلال
زانه الله بالأما ... نة والصدق في المقال
والمضاء الذي يجدّ ... ولا يعرف الكلال
والنظام السويّ في ... غير ضيق ولا اختلال
يتبع المال صاغرا ... من له العزم رأسُ مال

* * *

لقب حازه وكم ... حاز من قبله ونال
لم يزد فضله به ... فهو ذو الفضل لا جدال

* * *

كرّموه تكرّموا ... خير دار، وخير آل
إن أسوان ما خلت ... قط من معدن الكمال
صخرها جوهر الخلو ... د وأنموذج الجمال
وبنوها، وأنتم ... من بنيها - بخير حال
لكم المجد لا يزا ... ل من الأعصر الخوالي
إنما المجد بالعلا ... لا جنوب ولا شمال

* * *

يا صديقي ويا ابن قو ... مي، وجاري على اتصال
أقرب القرب بيننا ... شيمة فيك لا تنال
شيمة النبل في استقا ... مة طبع وفي اعتدال
شيمة العزة التي ... لا يغالي بها اختيال
إنها جيرة لها ... أبعد الناس مستمال
لا تزال غانما بها ... هانئا في هدوء بال
وحواليك دولة ... من محبيك لا تزال
تتلقاك نعمة ... أبد الدهر في اقتبال

ثناء على ماهر(*)

ثناء الكرام على ماهر[1] ... ثناءٌ على الرجل القادر
على رجلٍ زاهد في الثنا ... ء إلا من الأثر العاطر
على من يسير بأعماله ... فيعقب في جحفل زاخر
ومن كلُّ أيامه صالحا ... تٌ حفل بتكريمه عامر
فلا حيرة فيه للمحتفي ... ولا حيرة فيه للشاعر
تجيء مدائحه الصادقا ... ت عفو البديهة والخاطر
فسيان إحصاء أعماله ... ونظم المقرظ والشاكر

* * *

بياناته مثل أرقامه ... حقائق للحاسب الحاصر
وآراؤه في ثنايا غدٍ ... كرؤية عينيه للحاضر
وباطنه في مواعيده ... كصفحة عنوانه الظاهر
له شدة الحق في بأسه ... تمازجها رقة الساخر
وإنصافه مأمن للعدى ... وإخلاصه عصمة الناصر
وإقدامه في قضاء الفرو ... ض إقدام مستبسل صابر
إذا ما اطمأن إلى واجب ... فليس بوانٍ ولا قاصر

* * *

أولي الأمر طوبى لكم يومكم ... وطوبى لكم ذكرة الذاكر
فسيروا بأوطانكم وانهجوا ... بها نهج مستبكر باكر
وهاتوا مدى جهدكم تبلغوا ... مدى المجد من وطن قادر

* * *

(*) ثناء على ماهر : أعاصير مغرب .
(1) من قصيدة في تكريم الدكتور أحمد ماهر (يوليو ١٩٣٩) .

الغزالي والخيام (*)(1)

نكرمه، تكرمه … وما نرويه نعلمه
ولم نشق له فضلا … ولكنا نترجمه
ومن ذا مثل إبرا … هيم ذو فضل نعظمه
وذو سمت نوقره … وذو رأي نقومه
فتى ترضى سجاياه … ويصدق قلبه فمه
تساوت عند مفرقه … مزاياه وأنعمه
وحب الخير في دمه … فكيف يخونه دمه ؟
له مجد يؤثله … يسعاه ويدعمه
فقد يغنيه أحمده … وقد يغنيه أقدمه
ولكن ليس يستغني … بحظ لا يتممه
تكنى بالغزالي[2] … فلم يتعب منجمه
ولو مال إلى الخيا … م لاقاه مخيمه
أديباً ينشر التسبيـ … ـن أبيات وينظمه
عماد الجمع منبره … وزين الطرس مرقمه[3]
وللبستان في ساد … يه مغناه ومغنمه
علت في المعهد أنجمه … وفي العلياء أسهمه

* * *

تعالى الله هاديه … إلى النعمى وملهمه
ونعم الفضل فضل الله … بالقسطاس يقسمه

* * *

(*) الغزالي والخيام : بعد الأعاصير .
(1) ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال بتكريم الأديب السياسي الأستاذ إبراهيم الدسوقي أباظة .
(2) نسبة إلى غزالة اسم بلدته .
(3) مرقمه : القلم .

في محراب المطران (*)(1)

يوم تألق واستضاء … يوم تعطر بالثناء
يوم أطل على الضحى … والفضل مرفوع اللواء
هذا وفاء العارفـ … ـين لشاعر عرف الوفاء

* * *

«مطران» محراب القريـ … ـض، خليل ناديه الحميم
قدسي بوزن وقاره … أنس يهش له النديم
خلقان لم يتجمعا … إلا لذي فضل عظيم

* * *

ماذا أعدد من سجا … ياك الحسان وهن شتى
أدبا وعرفانا وآ … لاء محببة وسمتا
وإذا أطلت فغاية الإ … طراء أنك أنت أنتا

* * *

ناداك أبناء العرو … بة باسم شاعرها المجيد
فسأل تجدده الطوا … لع كل يوم في صعود
الآن فاهتف بالعرو … بة وهي «جامعة» تسود

* * *

أنطقت بالعربية الفصـ … ـحى أعاجم شكسبير
ونقلتهم بنقل الأصوا … ت في الكبير وفي الصغير
بلغت في اللغة اللسا … ن ولم تبدل في الضمير

* * *

وعقدت للتمثيل كعـ … ـبة فن فساودها المزار
صفوت فحين حللتها … حفلت بحج واعتمار
لقنتهم فتلقنوا … منك التلاوة والحوار

(*) في محراب المطران : بعد الأعاصير .
(1) في تكريم الشاعر الكبير خليل مطران .

وجيـعـت فـحـوى ...الاة تـصـا   د كـمـا تنزل في كـتـاب
فـلـمٌ يـعـلّـم عـلـمـه   ويدٌ تجود بلا حـسـاب
في الفـرف والعـرفـان سـا   تلك المؤمّل مـسـتـجـاب

* * *

ذم اليـراع فـقـضـيـتـهـا   في كل مـيـدان دعـاك
ليس النظيم أو النثـيـر   فـصـار مـا اسـترعى هواك
إن ...الجـسـوانتبة... والجـ   ...لقة في الصحـافـة شـاهداك

* * *

لما سـبـقـت إلى المجـد   ...يد سبـقـت منه إلى كـمـال
أتعـبـت خلفـك من عـدا   في العـدوتين على ضـلال
لـم يدركـوك وإن جـروا   من بعـد شـوطك في المجـال

* * *

حـزت أوازن القـصـيـد   فـزاد في الميـزان وزنا
ونوعـت فـيـه البحـو   ر فـأرسلـت ذرًا ومُـزنا[1]
عدى الثـلاثـيات حـقـ   ...ك من لـدنك ومن لـدنـا

* * *

وقسـمـت في ديوانك الغـنـا   ...لي أمـيـرًا لا تُجـاري
ونـي الربـوع بشـاعـر   أفـاق أنجـبـه العـذاري
لا يبـتـغي سكنًا سـوا   ها حـيـث حل ولا مـدارا

* * *

...لـه لـو وفّـوك بـالتـ   ـجـديد حـقك من ثواب
... عرف عـهـد كـهـولة   إلا رددت إلى الشـبـاب
...تـجـدد الريحـان في   ظل الخلود المسـتـطـاب

* * *

...كل حـقـك في الشـ   ...ـبـة شـائـع بين القلوب
...سـو بشـعـرك من شـذا   أو عنك في النجـوى يـثـوب
...ـة قـضـوك ديونهـا   والحـر سـداد وهـوب

... ، وهذه القصيدة المقطوعة ثلاث ثلاث، حق للشاعر الذي سبق إلى هذا النوع من التجديد ... في تقسيم المقطوعات .

أنعـم بمـحـفـلك الذي   وسع العـروبة في مكان
كـرمت بإكـرام النُّهى   وعلت بإعـلاء البـيـان
هي ترجـمـت بك عن فـضـا   ئلهـا ، فنعـم الترجـمـان

* * *

عـيـشـا مـعًـا مـتـعـاهد ...   ...ين وأبلغـا العـهد التمـام
منهـمـا لك الآذان صـا   غـيـة ، ومنك لهـا الكلام
مـتـقـابلين على الرضى   مـتـلازمين على الدوام

* * *

كوكب الشرق[*][1]

هلّل الشـرق بالدعـاء   كوكب الشرق في السماء!
عـاد في حلة الضـيـا   ء وفي هالة البـهـاء
لم يغب هاجـرًا ولـ   ـكن كما غربت ذُكاء
لا تخـافـوا عـلى سنا   ...ه سطوة المسـاء
واهـبـا السـنـى لا يـ   ...ربه عن نوره غـشـاء
كـوكب الشرق في أما   ...ن من الليل لا مراء

* * *

يا عروس الـ...ـاع لبـا   ...ك من يسمع الدعاء
وشـ...ـا لعـيـنـيـ   ـك تسترخص الفداء
...ـرى في وجـوههـم   ...تعرف نضرة الوفاء
...لـهـم ود لو يفـنـى   من البشر والصفاء
لو بقـدر السرور تـ   ...ـدو غلبتك بالغناء!

(*) كوكب الشرق : بعد الأعاصير .

(١) تحية لمطربة الشرق الأسمى عام ... مناسبة شفائها وعودتها من الأقطار الأوروبية .

أم كلثوم يا بشيـ ... ـرًا من اللّه بالرجاء
أنت من وحيه ، وللـ ... ـه في الفن أنبياء
ذلك الصوت - صوتك الـ ... ـعذب - من عرشه نداء
فيه سرٌّ من جنة الـ ... ـخلد لكنه ضياء
فيه ما يرفع الحجا ... ب وما يكشف الغطاء
فيه أنس لمن يشا ... ء وسلوى لمن يشاء
فيه للمرتجي سلا ... م وللمشتكي عزاء
فيه حرز من الهمو ... م وعونٌ على القضاء
أي نفس إذا تر ... نمت لا تهزم الشقاء ؟
…ـه قوةٌ إذا ... عز من قوة نجاء
…ـه من غنى إذا ... خلب الصوت من غناء
…ـه ثروة لمصر ... وما أجزل الثراء
…مهرجان لعيدها ... حيثما رفرف اللواء
وأسى الجرح إن شكت ... بلسم ناجع الشفاء

* * *

…يا الكوكب الذي ... أسعد الأرض بالغناء
…ى الطرف في الفضا ... ء ، وما أرحب الفضاء
…سائليه سؤال من ... يلمحن الضير في الهواء
…سري فيه مثل صو ... تك في الحسن والنقاء
…ـتم من الزمان أعـ ... ـني وفي حاضر سواء
…سائلي من الرجا ... ل قبيلا ولا النساء
…بي ، أنا المحب ... ـب ، ولم أغل في الثناء
…الشمس لا تعد ... د في هذه السماء

موسيقى خالد(*)(1)

أبناء مصر تذكروا ، وتذكروا .. ... ما مصر خالدةٌ لمن لا يذكر
وإذا جرى ذكر الفنون فميزوا ... بالحمد فنا بالجمال يبشر
ذهب الزمان وبان من لم ينعتوا ... بالجد إلا من يصول ويقهر
إن الذي يُعطي النفوس عزاءها ... لأحقُّ بالذكر الجميل وأجدر
ليس الغناء صدًى ، ولا أنغامه ... خفقات أصوات ، تمر وتعبر
إن المغنّي - إن علا استقلالكم - ... بين البناة مؤسسٌ ومعمر

* * *

لله «سيد» الذي غنّى لكُم ... زمنًا ، فقال العارفون «مصوِّر»
وصف ابن مصرَ فليس يدري سامعٌ ... أصغى إليه أسامعٌ أم مبصر
إن تسمع الحوذيَّ منه رأيته ... عجلًا ، ويمضي في الطريق وييسر
أو تسمع النوتي منه حسبته ... في النيل يُقبل بالشراع ويُدبر
أو تسمع الريفيَّ منه تخته ... في الحقل يحصد في الأوان ويبذر
أو تسمع الجنديَّ منه نظرته ... وعلى أسرته الشعار الأخضر
وإذا «المسارح» راجعت أيامها ... لاذت بفرد منه لا يتكرر

* * *

قالوا تفرغ بالغناء وإنما ... هو مؤثر في الفن لا متأثر
عرف الأغاني والبحوث كما جرت ... في عُرف من نطقوا بهنّ فعبروا
أم إذا غنَّت فليس تضاؤها ... لغو الجمانة ، بل معان تؤثر

* * *

قل «سيد» إذا ذهبت مترجمًا ... علموا هنالك أنه «المايسترو»(2)
هي من … ادفه الحروف وربما ... سبق الحروفَ بها دليلٌ مضمر
سبقت على كل اللغات سبيلها ... للسبق في الفن الجميل ميسّر

* * *

يا نخبةً قدروا الجميل لأهله ... دوموا على عهد الوفاء وقدّروا

(*) موسيقى خالد : بعد الأعاصير .

(1) نظمت هذه القصيدة لمناسبة الذكرى الثانية عشرة لوفاة الموسيقي المجدد الشيخ سيد درويش

(2) المايسترو : الإيطالية ، ترجمة سيد أو أستاذ .

تباين

ذكرى الشهيد[*]

(رثاء محمد فريد)

دنيـا نزاولهـا ونحن كـأننا ... من غير طينتها نصاغ ونخلق
محجوبة المرمى ، فما لشرورها ... تعتاد حاسره الوجود وتبثق
تمشي على الأيدىَ من أشواكها ... ونتاجها الأيدى عنا مغلق
وكأنما الدنيا سرابٌ سرمد ... لا يُرتوى منه ، ولكن يُغرق
سلواك فيها حين يخفق عامل ... ترجوه أنّ صداه قد لا يخفق

* * *

أفريدُ لا يلمم بسيرتك الردى ... أبدًا ولا يبرح سلاحك يُمشق
ما كان ذاك العمر إلا وقعة ... الدهرُ حومة حربها لا الخندق
والناصرون الحقّ جيش واحد ... متجمعٌ فى مدّه متفرق
الأنبياء الصالحون جنوده ... والحق بيرقه ونعم البيرق
لا يئسنك أن قضيت فإنه ... جيش تموت غزاته لا يُمحق
ما زال سطرًا فقبلك فيلق ... شرعوا لهاذمه[1] وبعدك فيلق
خير الجوانب أن تكون بجانب ... أضداده أسرى وإن لم يوثقوا

* * *

(*) ذكرى الشهيد «رثاء محمد فريد» الجزء الثالث ٢٢٨ (٣٤ فقرة ١٥٣).
(١) اللهاذم : السيوف القاطعة.

ذكرى الأربعين (*)(1)

الأربعون

أمضيت بعد الرئيس الأربعون؟   عجبًا كيف إذن تمضي السنون
فترة «التيه» تغشت أمة   غاب موساها على «طور سينين»
كل يوم ينقضي نفقده   وهو ملء الصدر من كل حزين
تكبر البلوى به حين مضت   والبلايا حينما تمضي تهون
كيف ينسى الناس من لم ينسهم   يوم تُنسى النفس والذخر الثمين
لم يزالوا كلما قيل لهم   ذهب الموت به ، يلتمسون

. . . .

خرج المدفع يطوي مسدفًا   الأساطيل اتقته والحصون
ساكنًا بين يديهم بعد ما   زلزل الشرق على المغتصبين
حوله من عسكر أو عزّل   جيش أجناد له مستبعون

. . . .

ليس يبكي خطب سعد بائس   أين من سعد ضعافٌ بائسون ؟
إنما يخلق أن يبكيه   من أصابوا منه عزمًا لا يلين
لم يصب منه نصيرًا من هوى   خائنَ العزم ، فما كان يخون
أيّ نذير الخطر من وادي الردى   قم فأنذرهم عساهم يعلمون

. . . .

أنّى للتاريخ ما يكتبه   أنت لا يلقى عليك الكاتبون
صفحة سطرتها أنت فما   في ثناياها سطور يمّحين

(*) ذكرى الأربعين : الجزء الرابع .
(1) نظمت هذه القصيدة للاحتفال بتأبين الزعيم العظيم سعد زغلول .

قل له ، والدهر يحني رأسه   والطوايا شاهدات والعيون
أنا مصر ، وهي في سؤددها   أنا مصر ، وهي في الأسر سجين
أنا نجم [illegible] نفسيهما   ضيّعتها بين كفران ودين
أنا ألقيت على عاتقيهما   حملها المطروح بين الآخرين
فاسألوا عن صيدها أو غيدها   وعن القبط بها والمسلمين
وعن الموسر والعافي بها   وعن الآباء فيها والبنين
واسألوا عن عالم أو جاهل   وأصيل من بنيها أو هجين
تجدوا مصرًا ولا تستمعوا   غير مصر في دعاء وحنين
جُسّمت فيّ نفوس فوقت   في النبيين الهداة المصلحين

. . . .

يوم منفاك وهل كان سوى   يوم بعث لبنيها أجمعين
ضُربت مصر فكانت ضربة   ذادت النوم وطاحت بالسكون
أيها الغادرون بالقيد لها   قيدوا الآن ! ألستم قادرين ؟
الرحى دارت على أقطابها   واستوى الطاحن فيها والطحين
بأسكم ما عهدت أحرارها   من قديم ، وهي ما لا تعهدون

. . . .

إن بكت مصر عليه شجوها   إنني بالشجو وحدي لقمين
رزئته النفس واللب وما   يشتهي الراوي ويبغي الدارسون
لم يكن بالأب إلا أنه   كان نعم الأب في رفق ولين
كم سعى ساع إليه ووشى   ومقامي عنده العالي المصون
يا هدى الأمة يا نعم الهدى   يا خدين الصحب يا نعم الخدين
أنا جبارك(1) لا تعهدني   ذلك الجبار في الدمع السخين
لست أنسى في «وصيف» سامرًا   لك كالطير أظلتها الوكون
إذ تلاقينا على مهد الرضى   والأحاديث مع الليل شجون
نحقر الداء وترعى أمرنا   إن غفونا أو غدونا مصبحين

. . . .

(1) كان رحمه الله يلقب صاحب الديوان بالجبار

يوم ودعـت آمــــنوا   يعلو الدنيـا ويقضي ويدين
وأحـبـيـك لألقـاك غـدًا   حجرًا يعلوه نوار الغصون !
عجبًا لا ينقضي من عجب   وفتونا ليس يبلى من فتون
أهو سعد ذلك الثاوي هنا   أهو سعد ذلك القبر المدين ؟
عجبت بادرتي ثم وعت   فيه رمز الموت أعلى الراسزين
هو صخر ورياحين معًا   بين عزم وخلال يستبين
فاعرفوا في قبره تمثاله   وأخفضوا الصوت ، وحيوا خاشعين

* * *

فاز سعد (*)

عرف النفي حياة ومماتا   وأصاب النصر روحا ورفاتا
كلما أقصوه عن دارك له   رده الشعب إليها واستماتا
كيف يجزيه افتياتا وهو من   كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصبحت دارك مثواك فلا   تخش بعد اليوم يا سعد شتاتا
حبذا الخلد ثمارًا للذي   غرس المجد وغاء نباتا

. . . .

* * *

جيرة الأحياء أولى بالذي   بعث الدنيا حياة أن تبيد
معشر الأحياء أنتم لكم   سعد من ذلك الميت سديد
مستعيدين رجاءً كلما   جزتموه ، وهو منكم مستعيد
إنه في كل جيل ذاكر   من بنيه ، أبد الدهر وليد
تلك يا سعد مغانيك فما   في سواها يسكن المجد شهيد

* * *

(*) فاز سعد : عابر سبيل . نشرت يوم نقل رفاته من ضريحه بالإمام إلى ضريحه المقام بجوار داره .

أعبر القاهرة اليوم كما   كنت تلقاها جموعًا ونظامًا
ساعة في أرضها عابرة   بين أبعاد طوال تترامى
ساعة من عالم الفردوس لا   تشبه الساعات بدءًا وختاما
كل من شاهدها زيد بها   من معانيك جلالا ودواما
قل لهم أبلغ ما قلت لهم   أيها الواعظ صمتا وكلاما

* * *

جردوا الأسياف من أغمادها   ذاك يوم النصر لا يوم الحداد
ارفعوا الرايات في آفاقها   أين يوم الموت من يوم المعاد ؟
لا يلاقي الخلد بالحزن ولا   يكتسي الفتح بجلباب السواد
ذاك يوم ما تمناه العدى   بل تمناه ولاء ووداد
فانفضوا الحزن بعيدًا واهتفوا :   فاز سعد وهو في القبر رماد

تمثال سعد (*)

الروح في وادي الكنانة حائم   وجلال شخصك في النواظر قائم
ما غاب منك مثال عارض   يمضي ، ويخلفه المثال الدائم

. . . .

تمثال سعد في الجزيرة ساهرًا   هيهات يغفل منك لحظ صارم
النيل حولك لا يغيب هنيهة   عن ناظريك ، وأنت عنه صائم
شبك لربك في الحياة حكيته   فالظل للغصن الوريف ملائم
كم صام سعد عن مناهل حوضه   ويعب مغتصب وينهل غاشم
كم بات يرعاه ، وليس بمرتع   من خيره ما يرتعيه الحاكم
كم غاب عنه ولم يغب عن همه   والبحر دون طريقه متلاطم

* * *

(*) تمثال سعد : أعاصير مغرب .

يلك زادت الأهرام ركنا والتقت ... منها على بعد الزمان دعائم
تلك الصروح على اختلاف بنائها ... في الجيزة الفيحاء هن توائم
نهضت على استقلال مصر دلائلا ... يعيي بنقض بنائهم الهادم

. . . .

* * *

يا سعد هلا من لسانك قولة ... يروى بها هذا الزحام الهائم ؟
يمناك تومئ فأين من ... إيمائها الصوت القوي الناغم ؟
عجبي لشيء فيه منك ملامح ... أن ليس يُسمع منه قولٌ حاسم !
عجبي لشيء فيه منك ملامح ... أن ليس يخفق فيه قلب عالم !
أخذ الحديد الصلب منه عزيمة ... والصخر بأسا ينقيه الصادم
وتشابهت ثم الأسارير التي ... قد شابهتك بمثلهن ضياغم
وتحجبت تلك الأفانين التي ... ضاق الصنّاع بها وعيّ الراسم
أن لم تصورها اليدان فربما ... خفيت فصورها الضمير الراقم
إن لا تحدّثنا فكلّ محدّث ... من فيض روحك ناثر أو ناظم
أو لا يكن لفظاً فدون الوحي من ... معناك - كلّ اللافظين أعاجم

تحية زعيم راحل (*)(1)

أكبرت في غيب الزعيم محمد ... من كان يكبر حاضراً في المشهد
حجب الردى عنا بشاشته ولم ... يحجب بشاشة ذكره المتجدد
هيهات ينتقص مجادة ... للسيد بن السيد بن السيد

. . . .

* * *

عزّ الكنانة فيه فهي فجيعة ... تبلو الكنانة في الضمير وفي اليد
ما في مروءات الشعوب مروءة ... إلا رعته بنظرة المتفقد
اليسر ، والمشهود من آلائه ... بين المحافل دون ما لم يشهد

(*) تحية زعيم راحل : أعاصير مغرب .
(1) ألقيت بقاعة الاحتفالات بجامعة فؤاد الأول يوم الأربعين لوفاة المغفور له محمد محمود باشا

ومعاهد التعليم بين مشجع ... للعاملين بها ، وبين مزوّد
وإغاثة الأدب اللهيف ، وإن تشأ ... سرداً ، فعدد ما بدا لك ، واسرد
ونزاهة اليد واللسان هداية ... للمهتدين ، وقدوة للمقتدي
وصراحة الأخلاق ما اشتملت على ... مستغلق فيها ، ولا متأوّد
والعزة الشماء إلا أنها ... كالشاهق الخضر لا كالجلمد
وسياسة الوادي ، ولم يك رابحا ... منها سوى الشجن المقيم المقعد
وعزيمة لا تكره الشورى وإن ... كانت لتكره حيرة المتردد
شيم وآلاء إذا ما استفردت ... كالقطب ، عزت في الرواسي الفرقد

* * *

عزّ الكنانة والعزاء ليعرب ... ما بين مُتْهِمِ قومه والمنجد
كم ذاد عنهم والخطوب بمرصد ... والشمل بين مشرّد ومبدد

. . . .

* * *

سمحٌ على ما فيه من عصبية ... سهل ، وإن أعيى قوى المتشدد
لا يستطاع على الخصام عناده ... وعليه تعويل الأخ المتودد
من اكسفورد ، ولو غدا متحضر ... للأزهر المعمور لم تستعبد
فيه محافظة وفيه طرافة ... وأراه في الحالين غير مقلد
ورث الحمية كابراً عن كابر ... والأريحية منجداً عن منجد
غيث القرى ونيل مصر كلاهما ... سقيا - - أصليه أعذب مورد
فإذا بكته مصر فغير ملومة ... وإذا الخ

* * *

آه من التراب (*)(١)

أين في المحفل «ميّ» يا صحاب ؟ — عـوّدتنا ها هنا فصل الخطاب
عرشها المنبر مرفوع الجناب — مستجيبٌ حين يدعى مستجاب

أين في المحفل «ميّ» يا صحاب ؟

* * *

سائلوا النخبة من رهط الندى — أين ميّ ؟ هل علمتم أين ميّ؟
الحديث الحلو واللحن الشجي — والجبين الحرّ والوجه السني

أين ولى كوكبها؟ أين غاب ؟

* * *

أسف الفن على تلك الفنون — حصدتها ، وهي خضراء ، السنون
كلّ ما ضمنته منهن المنون — غصصٌ مما هان منها لا يهون

وجراحات ، ويأس ، وعذاب

* * *

شيمٌ غرٌ رضيات عذاب — وحجى ينفذ بالرأي الصواب
وذكاءٌ ألمعيٌ كالشهاب — وجمال قدسيٌّ لا يعاب

كل هذا في التراب . آه من هذا التراب

* * *

(*) آه من التراب : أعاصير مغرب .
(١) رثاء كاتبة العربية الفضلى الآنسة مي زيادة . ألقي بدار الاتحاد النسائي بالقاهرة .

كل هذا خالدٌ في صفحات — عطرات في رباها مشمس
إن ذوت في الروض أوراق النبات — رفرفت أوراقها مزدهر

وقطفنا من جناها المستطاب

* * *

من جناها كلّ حسن تشتهيه — متعة الألباب والأرواح فيه
سائغ مُميّز من كل شبيه — لم يزل يحسبه من يجتنيه

مفرد المنبت معزول السحاب

* * *

الأقاليم التي تنميه شتى — كل نبت يانع يعجب نبته
من لغات طوّفت في الأرض حتى — لم تدع في الشرق أو في الغرب سمته

وحواها كلها اللب العجاب

* * *

يا لذاك اللب من ثروة خصب — نيّر يقبس من حس وقلب
بين مرعى من ذوى الألباب رحب — وغنى فيه وجود مستحب

كلما جاد ازدهى حسنا وطاب

* * *

طلعة الناضر من شعر ونثر — كرحيق النحل في مطلع فجر
كتلألؤ النور على شاطئ نهر — فله في العين سحر أي سحر

وصدى في كل نفس وجواب

* * *

حيَّ «ميّاً» إن من شيع ميّا — متصفًا حيًّا للسان العربيا
وجزى حواء حقًا سرمديا — وجزى ميّا جزاء أريحيا

للذي أسدت إلى أم الكتاب

* * *

للذي أسدت إلى الفصحى احتسابًا — والذي صاغته طبعاً واكتسابا
والذي خالته في الدنيا سرابا — والذي لاقت مصابا فمصابا

من خطوب قاسيات وصعاب

* * *

أتراها بعد فقد الأبوين — سلمت في الدهر من شجو وبين
وأسى يظلمها ظلم الحسين — ينطوي في الصمت عن سمع وعين

ويذيب القلب كالشمع المذاب

* * *

أتراها بعد صمت وإباء — سلمت من حسد أو من غباء
ووداد كلُّ ما فيه رياء — وعداء كل ما فيه افتراء

وسكون كل ما فيه اضطراب

* * *

رحمة الله على «ميّ» خصالا — رحمة الله على «ميّ» فعالا
رحمة الله على «ميّ» جمالا — رحمة الله على «ميّ» سجالا

كلما سُجل في الطرس كتاب

* * *

تلكمُ الطلعة ما زلت أراها — غضةً تنشر ألوان حلاها
بين آراء أضاءت في سناها — وفروع تتهادى في دجاها

ثم شاب الفرع والأصل ، وغاب

* * *

غاب والزهرة تؤتي الثمرات — ثمرات من تجاريب الحياة
خير ما يؤتي حصاد السنوات — بعثرتهن الرياح العاصفات

ورمتهن ترابًا في خراب

* * *

ردّ ما عندك يا هذا التراب — كل لب عبقري أو شباب
في طواياك اغتصاب وانتهاب — خلقا للشمس أو شم القباب

خلقا لا لانزواء واحتجاب

* * *

ويك ! ما أبقيت إلا ما لديك — أضيع الآمال ما ضاع عليك
مجد «ميّ» غير موكول إليك — مجد «ميّ» خالص من قبضتيك

ولها من فضلها ألف ثواب

عبد القادر (*)

جلّ المصاب بفقد عبد القادر[1] — ويح البيان على المبين الساحر
الباحث المنطيق في تاريخه ، — الملبس الماضي لباس الحاضر
الناقد الأنباء نقد صيارف ، — الوازن الآراء وزن جواهر

(*) عبد القادر : أعاصير مغرب .
(١) هو فقيد الكتابة والصحافة عبد القادر حمزة صاحب «البلاغ» .

المستعين على السياسة بالحجى   والعلم ، والقلم القوى القاهر
والحجة العليا التى ما طأطأت   يوماً لمنتقم ولا لمناظر

. . . .

عرف الحقائق فاستراح جنانه   من سرعة الشاكى وبطء الشاكر
ووعى عواقبها فلم يع صدره   بغضاً لمعتقد ولا لمكابر

* * *

علمى به علم المطالع زاده   علمٌ على بعد ، وعلم معاشر
كم مسرٍّ من يوم ضحوك بيننا   أو مر من يوم عبوس كاشر
خضنا الحياة معًا على علاتها   متلاحقين مع الشباب الباكر
وجرى براعانا معًا فى حلبة   عزت على غير الطمر الضامر
ذكراه والأيام عابرة بنا   نعم العتاد لذاكر ولعابر

شهيد الوطن (*)

أحمد ماهر (١)

لم أصدق وقد رأيت بعينى   وسمعت النعى المريب بأذنى
«ماهرٌ» فى الندىّ يُجنى عليه   ويدٌ - قيل عن بنى مصر - تجنى؟
أشبه الصدق بالأباطيل هذا . . .   ويك أمسك ! جاوزت غاية ظنى

* * *

لم أصدّق ، وما لحى دوامٌ   والمنايا تطوف فى كل ركن
غير أنّ الكيد الذى كاده الجا   نى - له الويل - لا يُطيف بذهن

(*) شهيد الوطن أحمد ماهر : بعد الأعاصير .

(١) قيلت هذه القصيدة فى رثاء الزعيم الوطنى الشهيد الدكتور أحمد ماهر وقد اعتدى على حياته شاب مفتون بدار النيابة سنة (١٩٤٥) وكان الناظم فى تلك اللحظة بمجلس الشيوخ فى انتظار بيان من الزعيم الفقيد .

أى رأس رمى ؟ وأى فؤاد   نال منه ؟ وأى صدر وحضن ؟
أفيُرمَى بالموت أوسع صدر   لبنى قومه ، وأمنع حصن ؟
أفيُرمَى بالموت قلبٌ يحوط النا   س حبًا ولا يحيط بضغن ؟
أفيُرمى بالموت رأسٌ تولّى   مجد مصر برأيه المطمئن
يُعمل الرأى للبلاد ويَلقى   معول الموت هادمًا ، وهو يبنى ؟
يا ضلال الجدود فى هذه البلـ   ـدة ، ويا سوأة لذاك التجنى
أمنتْ تلكمُ المقاتل لو يأ   من فى الناس كلُّ صاحب أمن
لو تردّ المنياتُ غرب سلاح   ردّ عنه السلاح ألف مجن

* * *

لو أصدّق ، وقد رأيت بعينى   أمة النيل فى حداد وحزن
حيرت غير أنها ليس تدرى   ألنقب تجمعت أم لدفن
أعمق الصمت صمتها وهى حيرى   بين صدق الأسى ووهم التمنى
ترقب النعش قادمًا يتأنّى   وتمنّت لو طال ذاك التأنى
أوجعُ الشك شك ساعة هول   فى يقين يُدمى العيون ويُضنى
المسجّى يأيها الجمع هذا   أفتدرى من ذا يكون ؟ أجبنى !
إنه «أحمدُ» الذى كان فينا   منذ يوم رضوانَ كلُّ مهنى
من يصدّق هذا يصدّق عظيمًا   من بلاء الدنيا يشيب ويفنى

* * *

لم أصدّق والأربعون أمامى   كلُّ ساعاتهن ساعة بين
كم عرفته وأحسب أنى   إنْ أحقق رأيته نصب عينى
مرسلاً ضاحك الأسارير سمحًا   ثابت الجأش لا يُلم بوهن
فجعتْ مصر فيه بالقائد الأصـ   ـدق ، والأوحد الذى لا يثنّى
بالزعيم الأمين فى كل رأى   والوزير القدير فى كل فن
والحسيب الموفى لكل حساب   والخطيب الذى يقول ويُعنى
الذى فارق المناصب جهرًا   بصريح من رأيه لا يكنّى
والذى أنفق الشباب جهادًا   فى خطار على الحياة وسجن

والذي أجزل العطاء لمصر   هيبة منه لا تشاب بضن
والذي لا يمن يومًا ، ويعفو   عن مسيء إليه في غير منّ
والذي كان في «الندى» إماما   وسط العدل حين يقضي ويدني
عز فينا دستور مصر بشرح   من هداه لا يستعاض بمتن
لن يقول الصديق فيه مقالا   يتأباه خصمه حين يثني

الأستاذ الأكبر (*)(1)

من مثل نابغة النوابغ مصطفى   في سابق من مجده أو لاحق
رجّاه والده الكريم لغاية   حسنى ، فوفاها وفاء الواثق
ربّاه حبرا للديانة فاستوى   في نخبة الأحبار أسبق سابق
ونماه في حجر العبادة مسلما   فهدى الحجيج ، وحجّ كلَّ منافق
وأعده للعلم فاستوفى به   حظ العليم الفيلسوف الحاذق
وغذاه بالبيان فانقادت له   غرر اليراع بكل معنى شائق
وهداه للإحسان فهو وليه   لمعاهد الإحسان غير مفارق(2)
ورجاه للعلياء فاستبق الخطى   سبقَ الكرام إلى المقام السامق
لا وانيا عنها ، ولا متعجلا   فيها تعجّل مشفق من عائق
وكأنهُ وعد الأمين وفى به   فطوى صحيفته كلمح البارق
لو لم يكن قدرا قضاه لما قضى   كالنجم يرجع عاديا من شارق
إن المطالع لا يقر قرارها   بعد التمام ، ولا تدوم لطارق

* * *

يا آخذا من كل شيء صفوه   بوركتَ من ذي معجزات خوارق
حتى الخمول بلغت غاية حظه   عجبا ، وأنت من العلا في حالق
لم ألق قبلك من نبيه آمن   من شرّة الباغي وغيظ الحانق

(*) الأستاذ الأكبر : بعد الأعاصير .
(1) رثاء العلامة الأستاذ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر سنة ١٩٤٧ .
(2) كان رحمه الله وزيرا للأوقاف ورئيسا لبعض جماعات الإحسان .

تلك المدامع ما امتزجن بدمعة   من كاذب في حزنه أو مماذق
ولتلك من رضوان ربك آية   تخفت من الإجماع أصدقَ ناطق
فادخل حظيرته بخير خلائق   مرضيّة منه ، وخير علائق
ما الموت باكشاف كل حقيقة   إلا حقائق حُجّبت بحقائق

السيدة هدى (*)(1)

ربةُ البر والندى   لم يَضِع سعيها سدى
لغدٍ كان سعيها   وسيبقى لها غدا
كلُّ ما قدمت من الخيـ   ـر باقٍ على المدى
ينطوي الدهر ما انطوى   منه صوتٌ ولا صدى
هي ملءُ الضمير عنـ   ـدكِ غيبًا ومشهدا

* * *

كنت في الشرق يا هدى   مثلا كان أوحدا
أين في المجد والعلا؟   أين في الجد والجدى؟
غايةٌ طاولت سما   ك مشرقًا ومصعدا
إن علا مجرك علو   ت إلى الأوج مصعدا
أو علا سؤدد العصو   ر بوركتِ سؤددا
أو حبا الركب بالعزا   ئم جاوزتِ من حدا
شرفت كلُّ عنصر   يه على المجد أسعدا
عم موروثه العتيـ   ـق بما قد تجددا
ذاك أو ذا كلاهما   حسبُ من شاء مفردا

* * *

إن من تذكرونها   ذكرها غالبُ الردى
قدوة الفضل للعقا   ئل في كل مقتدى
ولها السبق كلما   حسُن السبقُ موردا
سفرت والحجاب كالليـ   ـل غشيانُ أسودا

(*) السيدة هدى : بعد الأعاصير .
(1) رثاء السيدة الجليلة صاحبة العصمة هدى شعراوي ، وكانت قدوة لسيدات الأسر في النهضة النسوية والمآثر الاجتماعية سنة (١٩٤٨) .

[illegible]

واعانت على الزمـا   ن مريضًا ومُجهدا
وضعيفًا من اليتا   مى وطفلاً مشرّدا
وحمى عطفُها فسرا   ئسَ من ضل واعتدى
ورعت ناشئًا عن الـ   ـعلم والأهل مُبعدا
وأجازتْ على البيا   ن فأسدت له يدا
إن يبكوا كلهم لنعـ   ـيك لا غرو يا هدى
كلهم يفتديك لو   يُدفع الموت بالفدى
لا صديقٌ ولا عدا   ليس في الحق ما عدا
أم الشرق كلها   حمدت منك محمدا
توج التاجُ ذكريا   تك والشعب ردّدا
آية الله يا هدى   ولك الخلد سرمدا

محب السلام (*)(٢)

. . . .

عزاء الرسالة في رزئه   لقد كان نعم الزميل الهمام
حفيُّ اللقاء، وفيّ الإخا   ء، عفيف اليراع عفيف الكلام
صبورًا على هفوات الطبا   ع، يغضي عن السيئات الجسام
حليمًا إذا طاش لب الحليـ   ـم، رضيًا إذا لجّ داعي الخصام
ترى حوله الناس شتى العقو   ل، شتى المذاهب، شتى المرام
فتحسبه عاقلاً وحده   وتحسبه قائلا في الزحام
كأنّ له خاطريْ مهجة   لهذا مقام وهذا مقام
طرائفه في ثنايا الحديـ   ـث، تنسي النديم كؤوس المدام

(١) كانت السيدة الجليلة تقود أول مظاهرة نسوية خرجت في مواجهة الجند المسلحين تحتج على الحماية البريطانية .

(*) محب السلام : بعد الأعاصير .

(٢) رثاء الكاتب الكبير أنطون الجميل عضو المجمع اللغوي ورئيس تحرير الأهرام ، وكان قد سهر على عادته في مكتبه بالصحيفة ، ثم شعر بضيق مفاجئ توفي على أثره في الهزيع الأخير من الليل .

وأمثاله من عيون البيا   ن، جواهر منثورة في نظام
وآراؤه حين تسطفي الخطو   ب معالمُ هادية في الظلام
وأقدرُ خلق على أن يُذ   يعَ قد كان أقدرهم في اكتتام
فما صين سرٌّ كتمًا صانه   وإن عزّ في السر راعي الذمام
وأكثر ما استودعته النفو   سُ أودعه اليوم جوف الرغام

* * *

مناقب أنطون لا تنقضي   ولا يختم القول فيها ختام
أحبُّ السلامَ ونادى به   عليه مدى الدهر أزكى سلام

* * *

الشهيد الأمين (*)(١)

محمود فهمي النقراشي

أسفي أن يكون جهدَ رثائي   كلم عابر، ورجع بكاء
مارثاء الحزين غير تعلا   ت، وما النوح غير نفث هواء
ليتني أخرس الفناءُ لساني   قبل يوم أشتقي له من فنائي
ما وفاءٌ بذل الدموع من الحز   ن، على من وفى ببذل الدماء

* * *

إن حسزني على هذه الأنفـ   ـس، ضلّت فينا سبيل السواء
نُكست بينها الموازين نُكسًا   واستحالت معالم الأشياء
كم رأينا غير ولا من عداة   وشهدنا حربا ولا من عداء
ظلمات تقودها خبط عشوا   ء، وويلٌ لخابط العشواء

* * *

(*) الشهيد الأمين محمود فهمي النقراشي : بعد الأعاصير .

(١) قتل شهيد الوطنية والرأي والخلق الأمين - محمود فهمي النقراشي - بديوان وزارة الداخلية في اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

أتصم الآذان عن صـــــادق النصـ ... ـح ، وتصغى طوعـا لكل افـتـراء ؟
أمـةٌ فى الشـقـاء من عـهـد فـيـ ... ـهـا عليـهـا ، ومن صـريع اعـتـداء
أعـجـزُ العـاجـزين يقـوى على إيذ ... ائهـــا غـــايةٌ من الإيـذاء
والقـديرون يشـتكون من العـجـ ... ـز ، إذا مـــهَّـــدوا لهـــا بالدواء
كـيف كـيف النجـاء من هذه المحنـ ... ـة ، بل أين أين حق النجـــاء

* * *

إن حــزنى حـــزن على هذه الأمـ ... ـة : رفـقًــا بهـــا إله السـمـــاء
قلبت أيةُ الحـقـائق فـيـهـا ... وقـضى سـفلُهـا على العظمــاء
غـيلة الموت للغـيـور عليـهـا ، ... وقـضـاء الحـيـاة للجـهـــلاء
وقـضـاء المجـهـول أوخم عـقـبى ... من قـضـاء البـهـيـمـة العجـمـاء
فـتنة تعـمـه البـصـائر فـيـهـا ... وتضل العـقـول فى تيـهـــاء
إنْ أبينا البـقـاء حـقـا لمحمـو ... د ، فـمـن ذا يُرجى لطول البـقـاء

* * *

نبـئـــونى ، فـــإننى أنا والبلـ ... ـه ، عـــرانى عىٌّ عن الإنبـــاء
أى سـهـم ترمى به يدُ مـصـــر ... ى يرى فـيـه مـوقـعًــا لرمـاء
أى تلك الخـصـال مرمى اغـتـيـال ... لبنى مـصـــر ، بل بنى حـــواء
أيُغـال الحنان فـيـه ، حنانًا ... كـاد يُحصى به مع الضـعـفـاء ؟
أم يُغـال الحـفـاظ فـيه ، حـفـاظا ... يتـحـدى جـحـافل الأقـوياء ؟
أم يُغـال العـفـاف أصدقُ ما كـا ... ن عفـافًا فى مـسـتـسـرِّ الخفـاء
أم يُغـال الإنصـاف يحـمى عِـداه - ... حين يقـضى - من صـفـوة الأصـفـيـاء
أم يُغـال الذكـاء يخـتـرق الحـجـ ... ـب ، بنور يهـــدى كنوز ذُكـــاء
أم يُغـال الزهد الذى حـار فـيـه ... كل مـسـتـغـــر من سطوة وثراء
أم تُغـال الخـلائق الزهر كـادت ... تتـرقى إلى ذُرى الأنبـيـــاء
أم يُغـال الصـبـر الطويل على الجـهـ ... ـد ، بلا منَّةٍ ولا إعـــيـــاء
أم يُغـال الجـهـاد فى حب مصـر ... ويح مـصــر من تلكم النكباء
إن محـمـودًا الذى فـقـدته ... واحـــدٌ لا يقـــاس بالنظراء

* * *

يا أبا هانئ ! وأعـــزز بأنى ... لا أرى هانئـــًا وبيت هناء
أتعـزيه فى مـصـابك لهـفـا ... ن ، ونحن الأحـرى بطول العـزاء
ومـصـابُ الشـعـوب فى الحق أقـسى ... من مــصــاب الأبناء فى الآباء
خطب مـصـر . يسامح الله مصرًا ... عقَّهـا فى جـدودها القـدمـاء
عقَّها فى اسمها ، وما تعرف الأقوا ... مُ ذخـرًا أغلى من الأسـمـــاء
يرحم الله مـصـر من فـتنة تطـ ... ـغى يجـهَـالهـا على الحكمـاء
يرحم الله مـصـر . إنك يا محمـو ... د فى رحـمـة مع الشـهـداء
لا يضيم الإله قـومـــا بذنب ... أنت فـيـه لهم من الشـفـعـاء

فقيد اللغة والأدب (*)

على الجارم (١)

لست أوفيه وصفه : إن وصفًا ... لعلىٍّ يُعنى غناء السمـىِّ
علم فى الديار ، صنَّاجـة فى الحفـ ... ـل ، ركن فى المجـمـع اللغـوىِّ
وسـراجٌ فى مـفـرق الرأى هاد ... وجـمـال وبهـجـة فى الندىِّ
وزميـل سـمح الزمـالة برٌّ ... وأخ بالإخـاء جـدُّ حـفىِّ
ذلك الشاعر الذى ثكلتـه ... مـصـر ، فى يوم مأتم وطنى
لم تزل تسمع المراثى حتى ... سمعـتْ فى الرثاء صوت نعىِّ
تتنزى على زعـيـم أمين ... وأديب جـزل البـيـان سـرىِّ

* * *

لست أوفـيـه حقـه . إنه حـ ... ـقُ بيان عن البيان غنى
وارث الأصـمـعى فى لغـة الضـا ... د وفى الشـعـر وارث البحـترى
والأديب الذى له فطنة المصـر ... ى زانت سليـقـة البـدوى
والمربى الذى تعـهـد جـيـلا ... عـوِّدَ علم منه وعهـد رضِىّ
وأخـو النشـأتين شـرقـا وغـربا ... من قديم باقٍ ، ومن عصرى

(*) فقيد اللغة والأدب على الجارم : بعد الأعاصير
(١) كان فقيد اللغة والأدب - على الجارم - عضو المجمع اللغوى يستمع إلى قصيدته فى رثاء الشهيد النقراشى ، يلقيها نجلة النجيب فى الجمعية الجغرافية ، فأصابته نوبة توفى على أثرها بدار الجمعية سنة ١٩٤٨ .

كم شهدناه في شواهد نص   ورأيناه في معارض رأي
وسطًا غير معن في وقوف   عند ماض، أو معن في مضي
قائلا ناقلا، سميعًا مجيبًا   حسنٌ تبيانه كحسن الصفي

ذكرى إبراهيم (*)

أقيموا الوزن أو ميلوا   فما (إبراهيم) مجهولُ
فتىً ميزانه بالقسـ   ـط عند الله مكفولُ
له في كل تاريخ   من المجد أكاليلُ

* * *

سلوا الأوطان ينبئكم   بما يحمله النيل
بحسوني ناصر المصر   ي، والمصري مخذولُ
وأول رافع صوتًا   وسيف الحرب مسلولُ
وللمحتل في مصر   على كل فم غولُ
له في برها جيشٌ   كجيش النمل موصولُ
وفي البحر أساطيلُ   وفي الجو أبابيلُ
إذا لم ينعه الأحيا   ء، والأحياء أباطيلُ
نعاه في (العزيزيـ   ـة) مدفونٌ ومجهولُ
وجبلٌ في جنى الشـ   ـام ريح، لا يشبهه جيلُ

* * *

سلوا الآداب ينبئكم   به الفصاحة القول
يردد ذكره في الشعر   تسبيحٌ وترتيلُ

(*) ذكرى إبراهيم دسوقي أباظة.

ويهتف باسمه في القو   ل مطبوعٌ ومنقولُ
ويحمد فضله في الغر   ب مشبوبٌ ومدخول
فلا الماضي منسي   ولا الحاضر مغفولُ
وراعي الشعر لا ينسا   ه مرعيًا منه مطولُ

* * *

سلوا الإحسان والإحسا   ن طبعٌ فيه مجبولُ
وأقرب شأوه في الجو   د مشروبٌ ومأكولُ
وأيسر جوده باد   لمرأى العين مشمولُ
وكم أعطى ولم يسأل   وبعض السؤل ممطولُ
وبعض الناس قد يمحو   نداه القال والقيلُ

* * *

سلوا الأحزاب لا عيب   يدانيها ولا طول
ولا الأحزاب والأشبا   ل من أعلامها غيلُ
ذووه من بني مصر   هم الغر البهاليلُ
ومن أحسابه كتب   بمعناه وتحصيلُ
برأي زانه في القصد   إجمالٌ وتفصيلُ
وصبر راض دنياه   وراضته العراقيلُ
سلوا ميراثه الحفلي   والسيرة تسجيلُ
سلوا (الشلال) والمجرى   من القطرين مفصولُ
لنعم العرب لولا قا   عد بالشرق مشلولُ

* * *

خصال كلها نبلٌ   وأفضالٌ وتفضيلُ

وذكرى كُلُّها حَمْدٌ وتشريفٌ وتبجيلٌ
فقــدناهُ ونادى الرا ي في القطرين مأهولُ
فلا يَبْعُدْ المثوى ومثوى الخير مأهولُ
له مِن بِرّهِ أُنْسٌ وشُغلٌ ثم مشغولُ
ومِنْ سيرته الفيحا ء تسبيحٌ وتهليلُ
له في منزلِ الرضوا ن تسليمٌ وتنزيلُ
وأجرٌ مِنْ ثوابِ الله عند الله مقبولُ

شيوخ الشيوخ (*)

لا أحسب العام في أسوان يسعدني يومًا بلقياه ، في قومي ، وفي سكني
هناك في الركن من مشتاه معتصمًا على سجيته من غمرة المحن
تباعدتْ شقة الدارين وامتنعت على المطايا وأعيت حيلة السفن
أحسب الصديقين بُعد الأرض بينهما؟ على مدى راحة من ظهرها الخشن
واطول شوقي إلى يوم يقربني من راحة البال أو من راحة البدن

* * *

تلك المعاهد لا تنسى معمِّرها قربًا من العهد ، أو قربًا من الدَّفن
يحج مسعيًا إليها في أماكنها أو ساعيًا ممعنًا في ساحة الزمن
منازلُ الوحي ما زالت مثابتَه في الطيبتين ، وفيما طاب من ظعَن
لم ينقطع قط ماضيه وحاضره ولا ونى عن مساغ بالنفوس يني

* * *

(*) شيخ الشيوخ : رثاء الدكتور محمد حسين هيكل .

يا هيكل الحق كم أحييت من أثر وكم نشرت ، وكم أبقيت من سنن
ذكراك يا باعث الذكرى مخلَّدة تبقى مع ذكريات الغرّ في قرن
حقٌّ على ذمم التاريخ تحفظه لحفظة التاريخ مؤتمن
أحييت سيرة من يُحيون منصفهم من كل عالٍ بتشييد العلا قمن
هم الكرام وقد أحسنت مدحتهم مكرّمون بحمد منهم حسن
عش في صحابتهم من معشرٍ شرعوا للناس شرع وفاء السر والعلن

* * *

يا هيكل الفن كم أبدعت من صور وكم نفحت ، وكم نكّست من وثن
وكم لمصر بما أرسلتها قصصًا من مسرح عامر بالآهلين غني
من القُرى فيه ألوان مشخصة تحكي عهدنا ، وألوان من المدن
من يلقها يلق تاريخًا لحاضرنا وحسبنا حاضر التاريخ للوطن
يكاد يعجب رائيها على كثب إني أراها ، فسلها كيف لم ترني
تلك التماثيل من خلق الحياة كما يوحي بها وحيُ باريها إلى الفطن

* * *

يا هيكل البيعة العليا بعقوتها ويالها بيعةً معصومة الثمن
قامت على بحرها اللجيّ تحسبها جسرًا على شاطئيه غير مخزون
تهب من فوقها هوج الرياح ولا تقر في جوفها الأمواج كالقُنن
وأنت والسادنوها العميد في نفر حاروا بها بين مغلوب ومضطغن
يهتز كرسيّ فاروق وأنت ترى كرسيك الثبت لم يثبت على الفتن
تركتموه معرى في مباذله كأنه جيفة في قبرها العفن
يختال في طيلسان الظلم مزدهيًا وإنما اختال قبل الموت في كفن
وما تعثر في عقبى مساوئه إلا ليوم له في الغيب مرتهن

* * *

ياهيكل الصحب كم ضمت شمائله   شمل الأقارب فى الآراء والمهن
ساويت ما بين راضيهم وساخطهم   غداة فارقتهم فى لوعة الحزن
حاربت فى الرأي أقواماً على ثقة   وحاربوك ، وما يتم على دخن
ما كنت مختبراً للسخط تضمره   إلا كخبرة فنان به فطن
وإنما الود طبع فيك ليس به   صمت من الفن ، أو كبت على وهن
لك المآثر يبكيها ويحمدها   من يحمد الفضل موفوراً بلا غبن
قوم بما ضيهم فى الشرق قد حفلوا   والشرق ماضيه لم يهبط ولم يهن
عش فى صحابتهم من معشر ورثوا   عرفاً لهم ، من رعاه قط لم يخن
من لم يكن بينهم بالعرف مؤتمراً   كأنه فى حساب القوم لم يكن
أنت الغنى عن الذكرى وما غنيت   جامعة قط عن ذكرى ذوى المنن
لأنت من جنة العرفان فى سعة   وأنت من جنة الرضوان فى عدن

ذكرى حافظ (*)

ارفعوا ذكره عليا مبيناً   إنما الذكر رفعة الذاكرينا
حافظ فى ثراه لم يفتقدنا   وافتقدناه نحن حيناً فحينا
من مضى فى غنى عن الحي والحـ   ـي الذاهبين لا يفتنينا
وإذا الحمد فات نابغ قوم   فهو صوت الباقين لا الذاهبينا

* * *

يا حميد المقال مدحا وقدحا   وتقى الصحاف بيضا وجونا
خذ من الحمد بعض حقك منا   لم تكن قط بالحقوق ضنينا
طالما رددت جوانب مصر   صيحة منك تملأ العالمينا
هاتفاً بالرجاء يوماً ، ويوماً   هاتفاً بالعزاء تأسو العيونا
تعجب القوم أريحيا طروبا   وتواسيهمو شجياً حزينا
ما توانيت عن مقام وفاء   أو تواريت بالوفاء خئونا
وإذا ما اعتراك بالوهن خطب   لم تكن فيه خاشعاً أو مهينا

(*) ذكرى حافظ : فى الاحتفال بذكرى حافظ إبراهيم سنة ١٩٥٧ .

وإذا قام للمفاخر سوق   لم تكن من تجارها الخاسر[illegible]
رب قوم تنقصوك مراء   ربحوا وانثنيت أنت غنـ[illegible]
خير أبطالنا الذين تخيرت من الأولين والتابعـ[illegible]
الإمام «ابن عبده» من بني جيـ   ـلك وابن الخطاب فى الأقـ[illegible]
لا تدانيهما بدعواك لكن   باعتراف القصور دو[illegible]
أنت أتقى ممن يجاهر بالتقو   ى ويأبى فى السر إلا عـ[illegible]
رب جمع تفيهق الغير فيه   وتحدى بالظن منك اليقـ[illegible]
كلما قال قولة فى رسول   صحت : يارب اخز هذا [illegible]
«احسبوني مع العجائز دينا   ليس هذا الجدال إلا فـ[illegible]
رحم الله منك قلبا سليما   وضميراً براً وروحاً أ[illegible]

* * *

لم فسيراً صناجة العرب الصيـ   ـد وعهد فيهمو لسانا [illegible]
كلما جددوا لذكراك عهداً   عاد عهد الفصحى جديداً [illegible]
حافظاً أنت كنت للضاد لما   عقها أهلها وظنوا الظنو[illegible]
أين فى المتكلمين من ليس يروى   لك قولا جزلا ونسجا [illegible]
ودليلا على فناها إذا ما   سامها الفقر معشر مفلسو[illegible]
بين شعب له رنين ونثر   يشبه الشعر فى السماع ر[illegible]
لم تكن منشئاً من الحفل نظما   لا ولا قلته بوعد [illegible]
غير أن المزار شط بحساد   ود لو كان حاضر الصوت فـ[illegible]
وعجيب إذ يشهد الفن ذكـ   ـراك من الشعر وحقه أن [illegible]
وجميل إن صح عذر لدينا   أن ترانا لديك مستعذر[illegible]
فخذ اليوم حقك حمداً   أنت بالحمد ما برحت [illegible]
وقليل وفاء قومك يوما   لامرئ دان بالوفاء [illegible]

* * *

(١) إشارة إلى غياب الشاعر الذى ندب لإلقاء قصيدة الشعر فى الحفل لم يبرح القطر قبل موعده فناب عنه صاحب الديوان على غير موعد .

أهرام الورق، وأهرام الحجر(*)(١)

خبر السبّاق للخبر   عضٌّ من أخبارنا الأُخَر
شغل السمّار عن سمر   وطوى الآفاق في البُكَر
فاجئٌ كالعهد وا أسفا   لم يكن يومًا بمنتظر
صادقٌ كالعهد وا أسفا ..   ليته من كاذب السِّيَر
قيل في الأهرام مرثية   قلت : حقٌّ من فم القدر
قيل «جبرائيل» طاف به   يومه في ضحوة العمر
صفحة بيضاء تعلنها   صفحة سوداء للنظر
ما على الأهرام لو نسيت   عبرةً من صادق العِبَر

* * *

إن بكاه الشرق لا عجبٌ   بعض ما أولاه من غُرَر
سار بالشرق الوئيد على   خطو «أوربا» ولم يجسر
نحن، إلا في صحافتنا   دونهم في الخُبْر والخَبَر
فإذا عُدّت صحافتنا   لم نكس رأس معتذر

* * *

رفع الأهرام فارتفعت   في مدار الأنجم الزُّهُر
لو غلبنا غلبوا   نازعتهم كلُّ منتشر
ولسارت في مغاربهم   كمسير الشمس والقمر

* * *

رافعُ الأهرام من ورق   نافسَ الأهرام من حجر
وحكاها في الثبات وإذ   سار بين البدو والحضر
كل يوم في الصباح له   ظفر ناهيك من ظفر
في ركاب الشمس يشبهها   في جلاء الشك والحِيَر

(*) أهرام الورق، وأهرام الحجر : يعني الأعاصير .
(١) قيلت في رثاء المغفور له صاحب الأهرام جبرائيل تقلا «نوفمبر سنة ١٩٤٣» وكان قد توفي على أثر عارض سريع لم يمهله غير لحظات .

يجمع الدنيا ويبسطها   بين مدّ السمع والبصر
أمم شتى تحدثنا   بلسان العرب من مُضر
كل قطر فهو نائبه   زائرًا أم حيث لم يزر
هو داعيه وكاتبه   ومُلبّيه على الأثر
سابق تلقاه منطلقًا   في عنان الطول والقِصَر(١)
تحسب القرطاس مختصرًا   في يديه غير مختصر
فإذا امتدت صحائفه   لم تدع شيئًا ولم تذر

* * *

يا شريك العاملين له   غير مبخوسين من صِغَر
قُسَماء الرأي، ما اقتسموا   -باختيار منك - في ضرر(٢)
أنت في الأعباء أكبرهم   ولهم ما شئت من كِبَر
من رآكم راح يسأل عن   آمر منكم ومؤتمر
تُجتلى الحسنى بحسنهم   وتُسجّى طرف مغتفر
حزنهم، والخطب يغلبهم   بين مرتاع ومصطبر
حجةٌ بيضاء أبلغ من   مُبلغٍ في القول مقتدر

* * *

وحي جبرائيل متصلٌ   بين حلٍّ منه أو سفر
ليس بنأي في السماء ولا   في مدى الأحلام والفكر
خلفاءٌ منك مَن حملوا   عنك عبء السعي والسهر
خلفاءٌ منك كل فتى   قسورٌ من هذه الزُّمَر
وتوسّم في «بشارة» ما   شئت من ذخر لمدّخر
إن هذي الغاب منجبةٌ   غُنيت بالأُسْد والشجر
سوف تحيا باقي الأثر   خالد الأعقاب والذِّكَر

* * *

(١) إشارة إلى ضيق نطاق الصفحات في أيام الحرب العالمية .
(٢) كان الفقيد يشرك أعوانه الصحفيين في الرأي والخطة ويستمع منهم النصيحة ولا يعود عليهم بتبعة .

رثاء وعزاء

رثاء طفلة (*)

زهرةٌ كان وجهها ... نور قلبي وناظري
حملتها يد الردى ... حمل من لم يحاذر
فتوارت ولم يزل ... عرفها(1) ملء خاطري

* * *

يا ضياءً تضمنته ... بطون الدياجر
قد أجنُّوك في الثرى ... يا جنين الضمائر
فالزمي الرمس حين لا ... حلم في عين باصر
فإذا أقبل الدجى ... وغفا كل ساهر
فاطرقينا مع الكرى ... حلمًا غير نافر
وصلي عيشنا الذي ... كان أحلام سادر(2)
وامرحي في صدورنا ... واضحكي في السرائر
ثم عودي إذا الصبا ... ح تجلى فباكري
إنَّ صعبًا على الصغا ... ر احتسابي المقابر

عزاء الأستاذ وجدي في والده (*)

أمولاي رزؤك لا يجهل ... وصبرك في الرزء لا يخذل
ومن كان يعلم كنه الحيا ... ة فالصبر من مثله أجمل
إذا كان كل امرئ راحلاً ... فأفضلنا الراحل الأول
وأدنى مصاب الفتى للعزا ... ء مصابٌ بكل امرئ ينزل

(*) رثاء طفلة : الجزء الأول .
(1) رائحتها .
(2) غافل .
(*) عزاء الأستاذ وجدي في والده : الجزء الأول .

عـزاء المازني (*)

يا صديقي ، وما علمتك إلا ... راضيًا بالأسى رضاء الجليد
إن تكنْ قد رزئت بنتا فمهما ... قد تعوَّضت من بنات الخلود
لا تبت آسفًا عليها وهبها ... وردة والربيع عمر الورود
ربما عوفيت وأنت عليم ... من حياة تودى بكل وليد

رثــاء أخ (*)

. . . .

يا راحلاً صدع الحمام شبابه ... فعلمت كيف تصدُّع الأكباد
إنى لأحسبني أراك مجاهدًا ... والنيل حولك دائم الإزباد
وأراك ترمقني وقد غلب الردى ... وأقام جند الموت بالمرصاد
في ساعة ما كان أغفل خاطري ... عما عراك وفتّ في الأعضاد
أمسيت رسمًا في التراب معطلا ... وغدوت نصب روائح وغواد
ويحي ! أترقد تحت أطباق الثرى ... وأقيم بعدك هانئًا برقاد
أتبيت رهن صفائح وجنادل ... وأبيتُ بين وسائد ومهاد
لو أنصفت أيامنا لبكيتني ... لكنها تجرى بغير مرادى

. . . .

يا زهرة شرقت بما تحيا به ... فذوت وأورق شوكها بفؤادى
إن الحياة – وما حييت لكي ترى ... سر الحياة – كثيرة الأضداد
فلئن عدوت من الحياة نعيمها ... فلقد عداك شقاؤها المتمادي

(*) عزاء المازني : الجزء الأول .

(*) رثاء أخ توفي غريقاه : الجزء الأول .

على قبر أخ (*)

أيها القبر فيك غصن رطيب ... قصفته المنون قبل أوانه
مثل ما تعبث السموم بزهر ... عاطر ناضر على أغصانه
بنت يا مصطفى وما بنت على قلـ ... ـب كسير يذوب في أشجانه
كان أحرى بك الديار من القبـ ... ـر وثوب العروس من أكفانه
سوف ألقاك في الثرى عن قريب ... كل حي مشى إلى رمسانه

إلى الصديق الراحل (*)

نظمت في رثاء الكاتب الكبير (محمد السباعي) يوم وفاته

غاية الحي ساعة من زمانه ... ينتهي عندها مدى جثمانه
طويت صفحة السباعي لدينا ... وهو طاوي الطروس في تبيانه
مسمح النفس في الحياة تولّى ... مُسمحَ النفس في الردى قبل أنه
لم يطامن لصرعة الموت رأسا ... مَنْ صراع الحياة لهو رهانه(1)
ذاقها صابًا وساغ مريرا ... من جنى دهره ومن إنسانه
وتأسّى ، وصيغة من تأسي ، ... ضاحكا من كرامه وهجانه
فتنته غواية الأب الحـ ... ـر فأودى بقلبه في افتتانه
وثنته عن خفض عيش ... كان حينًا أقصى مُنَى أقرانه(2)
ما أراه على الحياة حزينًا ... بعض حزن الصحاب يوم احتجانه(3)
يا سليم الفؤاد في باطن الرأ ... ي سليم الفؤاد في إعلانه

(*) رثاء أخ مات غريقا وقد ضاعت أكثر أبيات القصيدة .

(*) إلى الصديق الراحل : وحي الأربعين .

(1) كان الفقيد يلهو بالرياضة البدنية كثيرا وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد في سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه .

(2) كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما في الماضي ولكن السباعي رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجترأوا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب .

(3) احتجن : جذبه بالمحجن أو ضمه واحتواه .

مرض الدهر فامض عنه معافى   من أكاذيبه ـ ن أدرانه
أنت خيدن الكتاب، والموت سفر   صدقه ظاهر على عنوانه

* * *

على قبر حافظ يوم وفاته (*)

أبكاء وحافظ في مكان ؟   تلك إحدى طوارق الحدثان
كنت أنسا، فكيف أمسيت يا حا   فظ تدمي لذكرك العينان
كنت تتلو الرثاء، معنى فمعنى   كيف أمسيت بعض تلك المعاني!
كنت أعلى الجموع صوتا فهلا   نطق الآن صوتك الصيان
وعزيز على بلادك أن تذ   هب يوم انبعاثها للميدان
يوم أطلقت من إسارك حرا   وأبيت الإسار للأوطان
يوم أرسلتها على ظالمي الأو   طان طعنا كحد السنان
ألهم الله مصر فيك عزاء   لا يلي العرب في شفيع «اللسان»
كلما صال كما صرت يوما   والذي قد صنعت ليس بفان

نصيب الحي والميت (*)

يا صديقي لنا البكاء   ولك الموت والسلام
عندنا الجور والعناء!   عندك النوم والظلام!
ليس بالحي محو فناء   بل أخ بعده أقام

* * *

أيها الصحب في القبور   ببكائي وما اهتديت
أنا لو دام لي الشعور   بعد موتي لما بكيت
عالم كله غرور   عشت ما عشت أو قضيت

(*) على قبر حافظ يوم وفاته: وحي الأربعين.
(*) نصيب الحي والميت: هدية الكروان.

هالك كل ما يكون   تستوي النفس والصفاة
فلمن تحصد المنون   ولمن تزرع الحياة ؟
بان حكمة الجنون   وانتهت حكمة الهداة

* * *

الأستاذ غانم (*)

(كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر ثم طاف ببعض إخوانه ورجع إلى بيته فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضيت عليه رحمه الله وهو في عنفوان أيامه، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات.)

أكان وداعا يوم صافحت غانما   وهنأته بالعيد، والعيد يسخر!
فياويح للداعين في غفلة المنى   يرجّون طول العمر، والعمر مدبر
وياويح للأبناء يا خير والد   وقد رُوّعوا في ومكرهم حين بُشّروا
أذاك صباح العيد أم أنا سامع   صياح يتامى في الحمى تتفطر ؟
تلاحق في تلك الثغور كلاهما   فياهول ما نصغي إليه وننظر
وددت وقد ضن البشير بصدقه   لو أن نذيرا بالمساكين يصبر
أغانم إني في مصابك ذاهل   قليل التعزي سافر الحزن مضمر
بذلت دموعي في بكاك رخيصة   ومثلك من يبكي ويرثي ويذكر
أفي كل يوم تبصر العين غانما   ومن أين ؟ والأخلاق في الناس تندر
عرفته «أبا فتحي» تولاه ربه   أخا في وغى الأيام لا يتقهقر
وفيا إذا شاع الوفاء وإنه   عليه، إذا عز الوفاء، لأقدر
كريما إذا صال العداة وزمجروا   كريما إذا خان الصحاب وقصّروا
صبورا على ضر الغريم وإنه   على الضر من ظلم الصديق لأصبر

(*) رثاء الأستاذ غانم محمد: عابر سبيل.

فليهنا بأعباء الأمور إذا ونى   مدبر أمر أو أساء مقدر
أخوك «أمين»[1] فرّق العام منكما   صفيين لم يفرقهما ما يكدر
على موعد العام القصير التقيتما   فليتك من يسهو ومن يتأخر
سلام الخصال الصالحات عليكما   وحمد المعالي والثناء المعطر
ولا زال في دار المعارف منكما   صنيع على الأيام يروى ويشكر

رفيق الصبا(*)(٢)

رفيق الصبا المعسول أبكيك والصبا   وما كان أغلى ما بكيت وأطيبا
وآذن فيك الصبر أن لا يعينني   وآذن فيك الحزن أن يتغلبا
أألقاك عند النيل إن عدت في قنا   وأرعاك عند الجسر إن سرت مغربا ؟
ونشتنشد الأشعار في كل ليلة   ونطلب في كل الأحاديث مطلبا
ونحسب أن الله لم يخلق امرءاً   على الأرض إلا كي يقول ويخطبا
ونحصي على الدهر البريء ذنوبه   وما كان إلا مازحًا حين أذنبا
أألقاك ؟ بل هيهات قد حالت المنى   فأقربُ منها أن أصافح كوكبا
إذا عدت استحيي الشبابين في قنا   وجدتك رسمًا في التراب مغيّبا
وساءلت عنك الصحبَ أين مزاره   وأذريت دمعًا عن قبرك صيّبا

* * *

عجيبٌ لعمري موتُ كل محبّب   إلينا ، وقد كان التعجب أعجبا
حسين ! عرفت الموت فيك غريبة   وما تعرف الدنيا سوى الموت مذهبا
أمَنْ هو في ذكرى فتى العمر ينطوي   كما طوت الأسقام شيخًا معذّبًا ؟
نعم يتطوى الشبان والشيب في الردى   ورب فتى في الردى فات أشيبا
وسيان في عقبى الطريقين من مشى   على عصويه من عياءٍ ، ومن حبا

(١) الأستاذ أمين لطفي وقد توفي أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد .
(*) رفيق الصبا : هدية الكروان .
(٢) رثاء الصديق حسين الحكيم من أعيان قنا المعروفين بالوريع .

عهدتك في شرخ الشبا ناضر الصبا   وفاجأني الناعي فأجفلت مُكذِّبا
ألا ليته لم يعرف الصدق عمره   ولم يك إلا كاذبَ الظن مُغربا

* * *

رفاق حسين أبّنوه وأطنبوا   فما يخطئ الباكي سجاياه مطنبا
لقد كان ميمون النقيبة صالحًا   وكان أمين السر والجهر طيّبا
وكان عفيف القول لا يقرب الأذى   ولا يذكر الإخوان إلا تحبّبا
وكان على كنز القناعة آمنًا   وإن قصّر المسعى بدنياه ، أو نبا
إذا استمرأتْ مرعى الخيانة أنفسٌ   تحرّج منها مُعرضًا وتجنّبا
وكان عزيز النفس في غير جفوة   ولا صلف منه ، إذا صد أو صبا
وكان سميرًا يملك السمع كلما   تبسّط في أسماره وتشعّبا
أديبًا يصوغ الشعر والنثر فطرة   ويؤثر في الآداب من كان معربا
أليفًا وفيًا لا يفارق صاحبًا   ولا منزلا إلا انثنى فتقرّبا
أحبّ قنا واستعذب العيش في قنا   فلم يَخبره عيش ، وإن كان أعذبا
لئن ذكر الوافون عهدًا وإلفه   لما ذكروا إلا الوفيّ المهذّبا

* * *

رفاق حسين أسهبوا فيه واذكروا   رفيقًا له يعتاده الحزن مسهبا
على كثب منه اجتمعتم فليت لي   مكانًا من الجمع القنائيّ مكثبا
كأني وقد فارقته قبل يومه   سمعت له نعيين يوم تغيّبا

* * *

إذا ما رثى المحزون إلف شبابه   رثى قلبهُ شطرًا من القلب مخصبا
وودع من عهديه في العمر قبلةً   أخفّ على الروّاد زادًا وأرحبا
إذا جازها أودى بمختار عيشه   ولم يبق إلا ما اتقى وتهيّبا

أليف الصبا لا تنسك فى الموت وحشة   فما زال ركب الموت أحد نيل . ركبا
تعاقبت الأجيال تحت لوائه   وإن بعدوا دارًا وعهدًا ومأربا
وما الزمن المحضور إلا بقيةٌ   من الزمن الماضى تلاقت لتسفعبا
عليك سلام الله حتى يظلنا   سلامٌ أظل الناس شرقًا ومغربا

نعى حافظ

كلٌ خطب دار فى خلدى   غير خطب فتَّ فى عضدى
نعىُ من قد كنت أحسبه   بعد يومى ، باقيا لغد
حافظٌ يُنعى إلى ؟ لقد   غلظت دنياى فى العدد
ساء ذاك النعى من بلدٍ   كان من لقياه فى بلدى(١)

* * *

الشهيد معاوية(*)

(... احتفل أدباء السودان بتأبين الأديب السودانى النابغ معاوية محمد نور ، وقد لقى نصبًا من سقامه وعوجل رحمه الله فى ريعان صباه دون الثلاثين ، بعد أن بشر العالم العربى بأمل كبير لم تنجزه المقادير

وقد أرسل صاحب الديوان هذه القصيدة لتلقى فى يوم تأبينه ، عوض الله الأدب فيه خير العوض وعزى الأدباء أحسن العزاء :)

أجل هذه ذكرى الشهيد معاويةْ   فيالك من ذكرى على النفس قاسية
أجل هذه ذكراه لا يوم عرسه   ولا يوم تكريم ، وذنياه باقية
فما أقصر الدنيا التى طوّل الضنى   أصائله فيها ، وأشقى لياليه
وما أضيع الآمال آمال من رأوا   مطالعه فى مشرق النور عاليه
ومن أيقنوا أن الهلال الذى بدا   على الأفق أحرى أن يعمّ نواحيه

(١) وصل نعى الأستاذ حافظ جلال إلى صاحب الديوان وهو فى بلدته أسوان منتظرًا قدومه [illegible] للاستشفاء .

بكائى عليه من فؤاد مفجّع   ومن مقلة ما شوهدت قط باكية
بكائى على ذاك الشباب الذى ذوى   وأغصانه تختال فى الروض نامية
بكائى على ما أثمرت وهى غضة   وما وعدتنا ، وهى فى الغيب ماضية
فضائل منها نخبة أزهرت لنا   لمامًا ، وأخرى لم تزل فيه خافية

* * *

تبينت فيه الخلد يوم رأيته   وما بان لى أن المنية آتية
وما بان لى أن أطالع سيرة   خواتيمها من بدئها جد دانية
وأن اسمه الموعود فى كل مقول   سيسمعه الناعون من فم ناعية
أجل هذه ذكراه يا نفس فاذكرى   فجيعتنا فيه ، وما أنت ناسية
أجل هذه ذكراه يا عين فاذرفى   عليه شآبيب(١) المدامع دامية
إذا قصرت أيام من نرتجيهمُ   فيا طول حزن النفس والنفس راجية
ويا طول حزن النفس وهى منيبة   إلى اليأس من عجز بها ، وهى أبية
فيا يوم ذكراه ستلقاك كلنا   رجعت إلينا والضمائر صاغية
ويا عارفيه لا تضنوا بذكره   ففى الذكر رجعى من يد الموت ناجية
أعيروه بالتذكار ماضى زهرة   به عيشة فى مقبل العمر راضية
وزيدوا النفوس النور من ثمراته   بتكرارها فى القلب أولى وثانية
فإن لم تكن فى العد كثرًا فباركوا   معانيها حبًا ، ووفوا معانيه
عليه سلام لا يزال يعيده   ويبديه شاد فى الديار وشادية

يوم إبراهيم(*)(٢)

عجبى لأحداث الزما   ن ، وكم رأيت وكم رويتْ !
أولى الفجائع باتقا   ئى ، لم يكن ما اتقيتْ
ما دار فى خلدى ولا   فكرت فيه ، ولا احتميتْ
أنا نعوه حسبته   فى الأرض لم يسبقه ميتْ

(١) جمع شؤبوب : وهو دفعة المطر .

(*) يوم إبراهيم : بعد الأعاصير .

(٢) الشاعر الثائر ، الأديب الناقد ، إبراهيم عبد القادر المازنى ، رحمه الله ، وقد تلقى صاحب الديوان نعيه وهو فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة (١٩٤٩) .

يا يوم إبراهيم حسـ — ـبي من لقائك ما التقيت
لم أنتظرك ولست أذ — كر في غد كيف انتهيت
لسوددت أنسك يا أخي — في الناس آخر من رأيت
هل في البريّة صاحب — أبقى عليه، وقد مضيت
ما بعد نعي النفس من — حزن يطاق، وقد نعيت

أخي إبراهيم (*)

أمير بلاغة وأمين نقد — وربّ رسالة، وبشير عهد
وذو قلم كغصن الروض يهدي — جناه أو كحدّ السهم يُردي
أديب راض ألفاظ المعاني — على ألفاظها ندًا لندّ
له لبّ يترجم كلّ لبّ — وينقل عنه ما يخفي ويبدي
مليء القلب من ثقة وحب — بريء الصدر من حسد وحقد
أراح الحاسدين، فإن تحدّوا — له فضلًا: أعان على التحدي
إذا اقتتلوا على الجدوى رماهم — بقول أبي علاء «غير مُجد»
وتحسبه استراح إلى سبات — ويسبق غاية اليقظ المُجدّ
فسل عنه شعاب «الضاد» تعلم — مناهل فيضه في كل ورد
إذا عنّ المصاب به قويلٌ — لفرد خصّه بمصاب عِدّ (1)

* * *

وقالوا «المازني قضى» فضلّت — مقاصد قولهم، أو ضلّ رشدي
كأنّ حديث ما زعموا خيالٌ — بعيدٌ في الحقيقة أيّ بعد
إذا عينٌ غفت فاعجب لأخرى — من العينين عالقة بسهد

* * *

صحبنا العمر عامًا بعد عام — على الحالين من ضنك ورغد
وبين تعهّد منه ومني — وبين تبسّط منا وجدّ
وغيّرت الحوادثُ كلّ عهد — سوى ما بيننا من عهد ودّ

(*) أخي إبراهيم: بعد الأعاصير.
(1) أي مصاب كثيرين

إذا أخذت مذاهبنا ورقّت — أمتنا فنحن من أخذ وردّ
ونحمد في العشية ملتقانا — إذا ذهب النهار بكل حمد
وأرحب ما تلقّانا اجتماعٌ — على شملين من أدب ونقد
هي الآفاق عاليةٌ ذراها — على ما ضاق من غور ونجد
رأينا كلّ صادعة فزالت.. — أيصدع ما رأينا شقّ لحد!

* * *

نمينا شعرنا صنوين حسبنا — فكيف رثاؤه بالشعر وحدي
وجاوزنا السهول معًا فماذا — ستجدي في الوعورة جهودُ فرد
إذا ثقل الشباب، ولي زميلٌ — فيا بؤس المشيب المستبد (1)
حياةٌ إن تطلْ فالويل ويلي — وإن تقصر فقد أبلغتُ قصدي
سلامًا أيها [illegible] سلامًا — لأنت أحبُّ لي لو عاش بعدي

عزاء (*)

(توفيت قرينة الأستاذ عبد الرحمن صدقي، فكتب إلى صاحب الديوان هذه الأبيات:)

أخي، منذ أعـ[illegible] مسكني — وشاع به ضحك الرضا والتّيمّن
لقد كان عرسي يومذاك، ومولدي — بكون جديد من هوىً وتحنن
أخي، تلك أعيادي وأعياد زوجتي — وما حلّ منها العيد إلا ذكرتني
وأرسلت لي في كل عيد مهنئًا — وباركتَ لي في جنتي وغبطتني
[illegible] هذه الأعياد من غير رجعة — وهذي عزائي زوجتي اليوم فارقتني

فأرسل إليه صاحب الديوان هذه الأبيات معزيًا:

أخي! ما عزائي أن أهوّن فاجعًا — أراه - وإن لم أبلهُ - غير هيّن
ولكن عزائي هذه الحرب زلزلت — قلوب بني حواء في كل مأمن

(1) المستبد بالسير: المنفرد به.
(*) عزاء: بعد الأعاصير.

ولكن عــزائي هذه الفسـتنة التي ... أطاشت رؤوس الخلق من عاش أوفني
ولكن عـزائي هذه الأرض علّمت ... بنيـها هوان العيش علمَ التّيـقّن
قـضـاءً علينا في الحـيـاة فـراقنا ... لأحـبـابنا حـيث التـقينا بموطن
فـجـيـعتنا فـيـمن نحب بديلها ... فـجيـعتـهم فينا ، ومن يبق يُغبَن
فـلاترضَ للأحـبـاب غـبنًا يؤدهم ... وليس الرضـا في الحـالتين بممكن
ألا هان عـيشٌ لا يزال خـيـاره ... لن يرتجيه شاكيًا : مُتْ أو احـزن

* * *

أخي ! هذه الدنيـا وهذا عـزاؤها ... قصاراه - بعد الجهد - تسليم مُذعن
ومـا أحسب الإيمان إلا حـقـيـقـة ... فـلا صبر فيها لامرئ غير مؤمن

نعي كـاذب (*)

لقـد كـذب الناعي وأنعمْ بكذبه ... فـلا صـدق الناعون يومًا ، ولا همـوا
فـزعتُ لخطب الموت والموت واحـد ... فكيف احـتمـالي فيك موتين يا أمّ

صادق بعد حين

سـرى نبـأ لا يهـاب الظلامـا ... ولا يتـقي يقظة أو منامـا
يقينٌ ومـا خلتـه باليـقـ ... ين ، ولا اعتصم القلبُ منه اعتصاما
فـراقك يا أمّ لم أحـتـسـب ... له بغـتـة أو نذيرًا تـرامى
ومـا روّضـتني له الحـادثا ... ت ، وإن رضتُ منها الخطوب الجِساما
كـأني ادّكـرتك لي مـولدا ... فلم أدّكـر لك يومًا حـمـامـا
حسبت الأمـومـة أخت الدوا ... م ، وخادعتُ ظني عليـها دواما
وأفـحـمني فيك خطب النّعـ ... يّ ، وفي غيره ما شكوت الفُحاما

* * *

تعـجّب قـوم لشيخ بكى ... أكـان المشيب لدمعي فطاما ؟
وأمٍّ لما دون عـشـر تعـ ... زّ فـراقا فكيف سبعين عامًا

(*) نعي كاذب : وحي الأربعين .

لئن عظم الموت يا أمّـتـا ... لقـد هان يوم سكنت الرغـامـا
ومـا أرخص النور لما غـلا ... على مقلة لا تطيق السّوامـا
خـلا الكون منك فـمـاذا أرى ... من الكون بعـدك إلا ظلامـا
فـيـا هولهـا من قـفـار تركـ ... ـت ، ويا شد ما قد عرفت الزّحاما
تـلاقي ذُرىً بـبطن الثـرى ... فـأنعم بحيث أقـامـوا مقـامـا
لأجلك كنت أجـيب الخطو ... ب ، فعنا الخوف بعدك إلا احتلاما

آخر الخطباء

أسمعت جهدك يا نعيُ وهيب[1] ... إن السميع اليوم غير مجيب
اليوم يصمت من كرام لداته ... في مصر ، آخرُ قـائل موهوب
اليوم غاب بقيـة من معشر ... أذنت منابرهم بطول مغيب
تلك المنابر ودّعت فرسـانهـا ... من كل ذي لسَن وذي أسلوب
لا نسمع الفصحى على أعوادها ... سحرًا لأسمـاع لنا وقلوب
كـلا ولا يهتز موقع شـدوها ... إلا لصوت طارق بنعيب
خطبٌ ولكنْ مـا له من خطبة ... «قطعت جهيزة قول كل خطيب»

داء بغير طبيب

جلّ في العارفين خطب «حسين» ... رجل الفضل والنهى والسداد
الطبيب النطاسي ، يرحمه اللـ ... ـه . لقد كان رحمة للعباد
ما أصيب السقام إلا شفاه ... باجتهاد من طبه واقتصاد
كيف يعدو عليه عادي المنايا ... وهو ينثني عن غربها كل عاد
لو فدتني من المنيـة حيٌّ ... حق فيه الفدى على ألف فاد
«كيف أصبحت في محالك بعدي ... يا جديرا مني بحسن افتقاد»[2]
يا وفيـا ، ولا وفـاء بعهـد ... في اقتراب من أهله وابتعاد
صحبيّ الود للمغيّب في الدهـ ... ـر وقد مات غيبه حتى الوداد
عالي الرأس لا تصيح لغاد ... راح يكسو غبا بثوب رشاد

(١) رثاء الطبيب الخطيب الأستاذ وهيب دوس .
(٢) هذا البيت مقتبس من المعري .

عازفا عن مطامع العيش كبرا   عن صغار الآمال والأحقاد
وهمة مثلما تسميت تعلو   عن منال الأنداد والحساد
كم رجاء زهدت فيه وما كا   ن زهيدا فى شرعة الزهاد
مؤمنا بالإله تعلم أن الطـ   ـيب علم ينهى عن الإلحاد
ليت شعرى : من كنت تحنو عليهم   فى الثرى ، هل حللت منهم بواد ؟
هل تلاقى روح بروح ووافى   آخر العمر أول الميلاد :
تلك رؤياك كنت تنعم فيها   كنعيم العيان للشهاد(١)
كم صحبنا الزمان حلوا ومرا   وخطوب الزمان بالمرصاد
والتقينا على الجوار كأنى   أمن عند حصنك المرتاد
تسبق النخبة الأجلاء طبا   وأرى عنك أسبق العواد
وافترقنا يوم افترقنا على مو   عد لقيا ، فكان يوم المعاد(٢)
تستعيد السؤال عنى ولا تسـ   ـأم نصحى يوما ولا إرشادى
وأناديك سائلا بعد نأى   فيجيب النعاة رجع المنادى
يا طبيبى مما يكابد جسمى   وطبيبى مما يعانى فؤادى(٣)
إن حزنى داء بغير طبيب   ونوى طوحت على غير زاد
أحسن الله يا حسين اصطبارا   فيك لو يهتدى إلى الصبر هاد
هل يقر العيون طول سهاد   إن أقر العيون طول رقاد ؟

(١) كان الدكتور حسين همت طبيبا للشاعر وكان بينهما تجاور وتزاور ، وكثيرا ما تحدث الطبيب إلى الشاعر فى موضوع الأرواح والحياة بعد الموت على أثر مصابه بفقد بعض أهله وأعزائه ، وإلى ذلك يشير الشاعر فى بعض أبيات القصيدة .

(٢) علم صاحب الديوان بوفاة صديقه من رسالة بعض الإخوان أثناء رحلته الشتوية إلى أسوان ولم يطلع على نعيه فى الصحف .

(٣) كان الطبيب أول من يعود الشاعر وإن تولى علاجه طبيب غيره من الجراحين أو أطباء العيون ، وهذا معنى البيت : «تسبق النخبة الأجلاء ...» .

متفرقات

الشاعر الأعمى (*)

شكا الشاعر الباكي عمىً قد أصابه ... وأظلم ما نال العمى جفن شاعر
ينوح بعين لم يدع عندها البلى ... سوى نبع حزن ناضب الماء غائر
وتلحظ عين الشمس شزرًا جبينه ... فيطرق إغضاءً بمقلة حاسر
ويسألهم : هل أومض البرق في الدجى ... وهل طلعت فيه وجوه الزواهر؟
وهل يلمع الدرُّ المنضد والحلى ... على الغيد أم بات الحصى كالجواهر
تكاد تشق الأفقَ زفرة صدره ... إذا راح يلحاه بصيحة حائر :
تجود لعين الذئب يا أفق بالسنى ... ليهديه في فتكة بالجآزر
وترميه في بشر عميق قرارها ... وتسفكه فوق البطاح الغوامر
وتسلبني نورًا أراك بوحيه ... فأظهر ما أخفى سواد الدياجر
وأرجعه معنى على الطرس مشرقًا ... يضيء سناه مظلمات السرائر ؟
لمنْ تجمل الأكوان إن كان لا يرى ... بدائعها عين ترى كلّ باهر
فما كانت الدنيا سوى حسن منظر ... وما جاد فيها الحظ إلا لناظري
وهل كنت أخشى الموت إلا لأنهُ ... سيحجب عني حسن تلك المناظر ؟
فها أنا لا جهد الحياة بهاجري ... أمينًا ولا ريب المنون بزائري
جمعتُ شقاء العيش في ظلمة الردى ... فيالي من ميت شقي الخواطر
أرى الصبح وهاجًا بمقلة نائم ... ويلحظه قلبي بحسرة ساهر
ومن لي إلى هذا الوجود بلمحة ... أراه ولم يعم التراب بصائري
فيا قلب أنفق من ضيائك واحتسب ... لدى الشمس لألاءَ الوجود النواضر

(*) الشاعر الأعمى : جزء أول .

تنازع الفردوس (*)

يتحاسدون على الهباء فما لهم ... لا يحسدون البرَّ فيما يؤجر
نقسموا على الكفار أن تركوا لهم ... أجر السماء وأنكروا ما أنكروا
لو كان ما وُعدوا من الجنات في ... هذي الحياة لسرّهم من يكفر(١)

المصور (*)

. . . .

في طي ريشته وضمن بنانه ... روح بها يحيا الجماد فيخلد
بينا يداس على الثرى حتى يُرى ... ربا تخر له الجباه وتسجد
أولى القرائح بالدوام قريحة ... تجري على الصخر الأزل فتجمد(٢)
معبودة فيما تجئ كأنها ... ظل الإله على الخلائق يُعبد

إيه يا دهر (*)

إيه يا دهر كات ما شئتَ وانظر ... عزمات الرجال كيف تكون
ما تعسفت في بلائك إلا ... هان بالصبر منه ما لا يهون

(*) تنازع الفردوس : جزء أول .
(١) يود الشاعر أن يكثر المؤمنون منهم ليشاركوهم في نعيم الفردوس الموعود ولكن ترى لو كان الفردوس دارًا في هذه الدنيا أكانوا يودون أن يكثر شركاؤهم فيها ؟؟ .
(*) المصور : جزء أول .
(٢) إذا ثبتت القريحة على الصخر الأزل الذي لا يثبت عليه شيء فهي إذن أولى بالثبات والدوام .
(*) إيه يا دهر : جزء ثان .

رحلة إلى الخزان (*)

قلت وهل يفهم عن لساني ... «اما بيننا يا ذئب من أضغان
فاذهب إلى وردك في أمان ... لا يحرم الماء على عطشان»
فمرّ يعدو كاشر الأسنان ... وهو يناديننا ولا يداني
حتى وردنا أول البنيان ... على دويّ هائل مرنان
موّار ماء ثائر الدخان ... كالنقع قد ثار على الفرسان
مصطفقٌ في حلبة الدهان ... قد غلب الصوتُ على الآذان
فبات أدنى الهمس كالأذان ... مستويين ليس من معان
وشرّد النوم(١) عن الجنّان ... فرددت صداه في الرعان(٢)
وتحسب الماء من النيران ... مندلعًا يلتف بالصوان
طرائقًا في الأرض ذا ألوان ... كالليث أحيانًا وكالثعبان
مندفقًا منحسرًا في آن ... مرتفعًا منحدرًا سيان
ملتشمًا منشعب الشغبان ... يرتض كالمخض من الألبان
مجلذ(٣) الرغو على الصمّان ... قد شنها في تكلم القيعان
شعواء تغري القوم بالطعان ... وتحفز الخيل إلى الميدان
وتجعل الراضي كالغضبان ... وتبعث النخوة في الجبان
قامت عليها أعين الشهبان ... وأرؤس الجبال تشهدان
وكم لهذا الماء من معان ... في قوة البطش وفي اللبان
وفي اختلاف الشكل والجثمان ... كأنه يلبس ثوب الجان
فصاعدٌ في الجو كالعقبان ... وساربٌ في مرحف الذبدان
وغائصٌ في الأرض كالشيطان ... ولاعبُ الأمواج كالحملان

(*) رحلة إلى الخزان : جزء أول .
(١) كان دوي الماء أقلق الجن فقامت تردد صداه .
(٢) أنوف الجبال .
(٣) متقطع أو مفتت

وطائر البخار في الأعنان ... كالنفس الخافي عن العيان
وفيه من أمن ومن عدوان ... فهو قوام الزرع والأبدان
وهو الحياة الجارف الطوفان ... وهو هو الدنيا لدى الظمآن
وهو هو الموت لدى الغرقان ... شارقته والليل شطرتان
فما صغا الليل لصوت ثان ... ولا أمال مسمع الأسمان
إلا إلى هاتيكم الألحان ... كأنها تجاوب الغيلان
ثُمت أدلجنا إلى أسوان ... وفي طريق الصبح غلوتان
فيالها ، وما عدوت شاني، ... من رحلة طيفسفية الأوان(١)

أتمنى (*)

أتمنى يومًا لو أن حياتي ... تنقضي كلها ولا أتمنى
أتمنى وقد أطلت التمني ... لو تعلمت كيف أن أتمنى
أتمنى لو علمتني الليالي ... باطل الأمر قبل أن أتمنى
منية لو تحققت لتساوى ... ما تملكته وما أتمنى

* * *

(١) نسبة إلى الطيف والطيف يسري ليلا والإدلاج هو مشي الليل .
(*) أتمنى : أعاصير مغرب .

إلى غندى يوم إفطاره (*)

غندى لك النصر المبين على المدى   ولشانئيك الخسر والخذلان
لم أتق قبلك من يحرر قومه   وهو السجين الجائع العريان
بالجوع والحرمان نصلح أمة   أخنى عليها الجوع والحرمان
خذ من قرارة دائهم لدوائهم   بعض السقام من السقام ضمان
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم   بقر السوام ويُلعنَ الإنسان
عكسوا الأمور فكانَ عكسٌ أمورهم   بعضَ الجزاء ، ومن أهان يهان
فاشع لنقص القوم عند كما لهم   فكذاك تغفر ذنبها الأوطان[١]

الظـن[٣] (*)

إذا خفت ظن الناس ظنوا وأكثروا   وإن لم تخفه أكرموك عن الظن
فإن شئت هبهم ألف عين ، وإن تشأ   فدعهم بلا عين تراك ولا أذن

القلم المسروق (*)

زاملني في السجن ذاك القلم[٢]   وناله ما نالني من قسم
وحس من فكرى وأسراره   ما رامه الناس وما لم يُرَم
فسرب معنىً ما وعاه سوى   ريشته ، ثم انطوى فانحسم
وكم له من حسة تُرتَضى   فيما جرى من أدب أو حكم
وكم له من نفحة كالصَّبا ،   وكم له من لفحة كالضَّرم

(*) إلى غندى يوم إفطاره : وحى الأربعين .

(١) الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع فى غفران سيئة .
أما الوطن الذى لا غفران له فهو الوطن الذى لا تفوت فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربى عليها .

(*) الظن : أعاصير مغرب .

(*) القلم المسروق : عابر سبيل .

(٢) كان هذا القلم من الودائع التى بقيت فى السجن تسعة أشهر ملفوفة محبوسة كذلك .

وكم له من زهر مُجتنى   وكم له من ثمر مُلتهم
سجّل ما سجّل من رحمة   أو نقمة مرت بأرض الهرم

* * *

ورب مسكين قضى حقه   وغاشم أحصى عليه اللمم
أعززته عن حلية تقتنى   وصنته عن غاليات القيم
ولى أخٌ يذكرنى بالنعمْ   فقلت أجزى بعض تلك النعم
منحته قلبًا تقص الشيم   فلم أجد أنفس منه لمن
قد صان ما أكتب فى صدره   تغيير بدع أن يصون القلم
يظل يستوحيه فى كل ما   أوحى ، ويرعاه كرعى الذمم

* * *

رعاه فى أمن إلى أن قضى   عليه بالفقد قضاء حتم
فغاله منه لصوص لهم   فى كل عين فرصة تغتنم
فى يوم حشر حافل المزدحم   ضلت به العين مكان القدم
قد نام عنه لحة فى الضحى   فبات فى ليلته لم ينم

* * *

أما وقد فارقتنا يا قلم   وصالح اليأسُ عليك الألم
فخير ما أرجوه أن لا تُرى   فى كف خوان ولا مُتّهم
ولا تخط الجهل فى صفحة   «أبيض» ما فيها سواد الحمم
ولا تكن يا قلمى آلة   تشتمنى باللغو فيمن شتم
بك تنظم الحكمة لى من هنا ،   ومن هنا تنحى على من نظم
بدأت فى الأوج فلا تنحدر   إلى حضيض الذل فى المختتم

* * *

بين التعب والراحة(*)

قال المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعـ ـجب إلا من راغب فى ازدياد

ويقول صاحب الديوان :

راحة كلها الحياة فما أعـ ـجب إلا من راغب فى ازدياد
ما ابتغاء المزيد من يوم أمن عاطل لا يزاد بالتعداد
فالزمان المريح تكرار شىء واحد واطّراد حال معاد

* * *

هذا هو التاريخ(*)

من جانب القبر لسان بدا يكذب ما شاء ولا يستحى
هذا هو التاريخ لو أننى صورته يومًا على المسرح

* * *

رأى الناس(*)

من عوّد الناس خيرًا طالبوه به كأنه الدَّين يُلوى بالمعاذير
ومن تعوّدهم عسرًا فأسهلهم يومًا تقبَّل منهم أجر مشكور
لا أرى للناس فى نفع ولا ضرر وما لهم قط من حكم وتقدير

(*) بين التعب والراحة : أعاصير مغرب .

(*) هذا هو التاريخ : أعاصير مغرب .

(*) رأى الناس : أعاصير مغرب .

سيان(*)

إن قيل بالحق أو البهتان
دعهم يقولون ، وقل سيان ،
سيان مهما افترق الضدان
سيان مهما اختلف الخصمان
سيان ألغث هى أو ألغثان
سيان بيلة هى أو مغسان
سيان نور أو ظلام قان
سيان من يلهو ومن يعانى
قلها ببرهان ولا برهان
وأنت أنت أحكم الزمان
وإن تصدوا لك بالنكران
أو ضحكوا سخرًا فقل سيان !

خداع النفس(*)

يقول وما قضى عجبًا فتى يخبط فى جلده
أيخدع نفسه رجل له عينان فى رأسه؟
أجل يا صاح : عينان! وزد ما شئت من حسه
وهل أخدع للإنسا ن بين الناس من نفسه
خداع النفس معهود وقاك الله من دسه

(*) سيان : أعاصير مغرب .

(*) خداع النفس : أعاصير مغرب .

الأستاذ طاهر (*)

أخي السيد طاهر :

قل لي بحقك كم بلغت سنينا — خمسين ؟ أو ستين ؟ أو سبعينا
إني أراك كما عهدتك بادئًا — شوط الشباب تناهز العشرينا
قد كنت بين الناشئين محنكا — حسن الأناة ، مع الخطوب ، رصينا
واليوم تقتحم الكهولة سابقاً — خطو الشبيبة لا تطيق سكونا
آناً فتىً بين الشيوخ وآنةً — شيخاً مع الفتيان مستبقينا
خذ هذه أرقامنا من واحد : — ضعْ بعدها الصفر العزيز يمينا
عشرًا إلى عشرين أو خمسـ — ين أو ستين صاعدةً إلى التسعينا
إن قلت عشرا صدقوك وإن تقل — تسعين قلنا عشتها عربونا

* * *

أفتى طناح لا برحت مهنئًا — ومهنّأً بالصالحات قمينا
إن السنين - وقد صدقت - لعلها — مرت بمدرجة الزمان قرونا
وإذا حسبت صفاءها فلعلها — ساعات حلم ما اغتمضن جفونا
حسبي وقد فرغت يدي من زادها — أنّي أبيتُ لها الفراغ قرينا
ورضاي عنها أنها لم تُرض في — عهد ظلومًا أو تسر خؤونا
ومناي منها أن أعيش ولا أرى — أبدًا بأوهام المنى مفتونا
ومداي فيها أن أودّعها وما — ودعتها أسفا ولا محزونا
ما دام فيها حامدون كطاهر — فالله أحمدُ . لست بعدُ غبينا

(*) إلى الأستاذ طاهر الطناحي جوابا لقصيدة كتبها إلى صاحب الديوان لمناسبة بلوغه السبعين.

الفن الحي (*)

أو الحياة الفنية

خذ من الجسم كلّ معنى ، وجسّم — من معاني النفوس ما كان بكرا
حبذا العيش يبدع الفكر جسما — تجتليه ، ويبدع الجسم فكرا
ويرى الفن كالحياة حياةً — ويرى للحياة فنا وشعرا
ضلّ من يفضل الحياتين جهلا — واهتدى من حوى الحياتين طرا

الحان والمسجد (*)

ترتدين أن أرضى بك اليوم للهوى — وأرتاد فيك اللهو عبد التعبد
وألقاك جسما مستباحًا وطالما — لقيتك جمَّ الخوف جمَّ التردد
رويدك إني لا أراك مليئة — بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم في الضلوع وعثرة — ترد مهاد الصفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الحان والطلى — ففي غير بيت كان بالأمس مسجدي

أحلاهما مر (*)

لم أسغ أشهى مذاقيك فما — مزجك الكأس بطعم العلقم؟
خلِّ يا دهر لغيري مزجها — إن أحلاك لمرٌّ في فمي

(*) الفن الحي أو الحياة الفنية : هدية الكروان .
(*) الحان والمسجد : الجزء الرابع .
(*) أحلاهما مر : الجزء الرابع .

فوق الحب(*)

صاحبي من سروره وسروري   في صفاء الزمان يلتقيان
وصديقي من استجد سرورا   من سروري ، وإن تناءى مكاني
وحبيبي من قلبه كيفما كا   ن ، وقلبي في الشجو يستويان
فالذي يرتضي العذابَ لأرضَى   كيف أدعوه ؟ وما اسمه في البيان؟
ذاك فوق الحبيب إن كان فوق الحـ   ـب شيءٌ يُرجى من الإنسان
ذاك فيه من صبغة الله سرٌّ   جلَّ عن صبغة الوجود الفاني

النور(*)

طهرت بماء سمائها أم   وبه تطهّر روحها الهند
والروح أولى بالطهور لها   نور يخف بها ويمتد
فيض يشف فما به كدر   ومدى يفيض فما له حد

بكاء السليب(*)

وقالوا حزون قلت مهلاً فإنما   بكائي عليه وافيا لعجيب
لقد سلبتنيه الخيانة راغمًا   وإن جديرًا أن ينوح سليب
وإني لأبكي مَن كان قبلها   يفي لي على زعم الهوى ويطيب

(*) فوق الحب : هدية الكروان .
(*) النور : الجزء الرابع .
(*) بكاء السليب : الجزء الرابع .

حب الدنيا(*)
معجزة خارقة

(هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية التي تنهانا أن نسعد بجمالها وتفرغ لحبها ؟ أو هي دميمة والقدرة الإلهية هي التي تحببها إلينا وترغبنا فيها ؟
الجواب في القصيدة التالية أنه لا قدرة – دون قدرة المعجزات والخوارق – تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس ، على ما بها من الآفات والأرجاس !)

قالوا الدنيا الحسناء سيها   عنها ربٌّ لا يقبلها
بل قالوا : يحجبها عنا ،   أو ينهاها ، أو يعقلها
ونرى الشيطان يزيّنها   ونرى الشيطان يدلّلها
يا قومُ ألا عينٌ نظرت   هذي الشوهاء تُمثّلها ؟
ما يقدر إلا ربُّ الكو   ن يحبِّبها ويجمّلها
لولاه قتلنا أنفسنا   أولم نعذل من يقتلها
أفهذي دنيا نعشقها   لولا رضوانٌ يكفلها ؟
من شك فهذي قدرته   فليعرفها من يجهلها !

المذكَّر المنسي(*)

لم يبق من دنياك يُعنيني   إلا عناءٌ غيرُ مأمون
وجه – إذا ما مرّ – ينسيني   لا بل يذكّرني إلى حين
أني – كما قيل – ابن سبعين !

(*) حب الدنيا معجزة خارقة : وحي الأربعين .

خبر الربيع (*)

يا أيها الورق الخضر في شجر ... عهدي وما فيه من ذي خضرة أثر
من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل في ... عيدانك العسوق ذاك العطر والزهر
إنا سألنا ، لو عاد السؤال إلى ... فحوى الضمائر لم تعرفه يا شجر
سلنا بحقك من أين استجدَّ لنا ... هذا السرور الذي في القلب ينتشر
كلاهما طارقٌ طاف الربيع به ... على براق من الأنوار ينحدر
سلهُ فإن لم يُجب فانعم بمقدمه ... وافرح به ، وانتظره حين يُنتظر
إذا أجاب بأزهار مفتّحة ... وبالسرور ، فحسبي ذلك الخبر

الطريق في الصباح (*)

بدأت دولة الطريق ... وانتهت دولة البيوت
ضاق بالكوكب المفيقْ ... عالم الليل والسكوت

* * *

حيث يممت مسرعٌ ... يتلقاه مسرعون
ما لهم ؟ أين أزمعوا ؟ ... ويحهم أم يهربون ؟

* * *

كلما غاب مجفل ... طلع اثنان في هجوم
ذاك ركبٌ مضلل ... حائر حيثما يحوم

* * *

حائر حيرة الأولى ... سُحروا ثم أطلقوا
وضح الصبح والجلي ... فهو بالسحر أخلق

* * *

(*) خبر الربيع : مدينة الكروان .
(*) الطريق في الصباح : عابر سبيل .

لا أرى فردَ ساحر ... فيك يا صبح بل ألوف
كم أسير وآسر ... والرقى بينهم صنوف(1)

* * *

ذلك الطفل ما عناه ؟ ... جدول الصعب في كتاب
ذلك الشيخ ما مناه ؟ ... لقمة كلها عذاب

* * *

والفتى ، أين قبلةٌ ... نحوها يرسل العنان ؟
غاية الأسر قُبلة ... بعدها يسلم اللهفان !

* * *

خذهُم أيها الطريقْ ... في غداة من الصباح
لا تضلنّ بالرفيق ... إن دنت ساعة الرواح

* * *

إن دنت ساعة المبيت ... ويك ! لا تخطئ الوكور
كم وكور مناظر ... للبيوت اسمها القبور !

* * *

ماذا استفدت ؟(*)

برئت من غش نفسي ... ولا أقول انتبهت
قد كنت ساهرَ عين ... مستيقظًا ما غفوتُ

* * *

برئت من غش نفسي ... وليتني ما برئت
ما العمر محض نهار ! ... في العمر للمغمض وقت

* * *

ها أنت يا عين يقظى ... وها أنا قد نظرت
ماذا استفدت لعمري ... وما عناني استفدت ؟!

* * *

(1) جمع رقية وهي طلسم السحر وما يستعان به من القوى الخفية .
(*) ماذا استفدت : أعاصير مغرب .

قلت للمريخ(*)(1)

قلت للمريخ أعذله / وهو يذكي جمرة الغضب
ويك أما هذا الخراب ؟ وما / ذلك الإغراق في العطب ؟
أم تسطو على أمم / ولظى نوارة اللهب
ودعاء كالبحار على / عيلم(2) للدمع منسكب
وقبور كظها تخمة / جثث الهلكى من الشغب(3)

* * *

قال : مه يا صاح أين ترى / كل ما استهولت واعجبي
أرضكم ما زلت أبصرها / نائيا حسبنا وعن كثب(4)
غير أن ما قد تبدل من / سمتها في هذه الحقب

* * *

لا ضيف في الخان(*)

إيه يا دنيا ! لو استطعت سماعي / قد نزلنا منك في غير اتساع
أكرمينا حيثما تدعيننا ! / أودعينا من لقاء ووداع
قالت الدنيا : لم أكرمكم ؟ / كلنا في الحق مدعو وداع
حبذا الخان ! فلا ضيف هنا / إنما يجزى متاعا بمتاع

* * *

تكاليف العظمة(*)

كن عظيما ولا تلومن إلا / همة كلفتك همّا جسيما
كل رأي يلقى عليك مداه ، / فإذا خاب كنت أنت الملوما
تنصف الأمة الضعيف ولا تنصـ / ـف يوما عظيمها المظلوما

* * *

(*) قلت للمريخ : أعاصير مغرب . (1) المريخ في أساطير الأقدمين هو رب الحرب . (2) بحر
(3) الجرع . (4) عن قرب .
(*) لا ضيف في الخان : وحي الأربعين .
(*) تكاليف العظمة : وحي الأربعين .

النعيم والشقاء(*)

ما العيش ؟ قل لي فأنت مختبر / هموم هذي الدنيا ونعماها

* * *

العيش بأساء ليس يجهلها / من ذاقها أو أصاب عدواها
ونعمة لا يزال يحرمها / من نال منها أو من تعداها
نشتاقها إن نأت ، ونبخسها / إن أقبلت ، جاهلين معناها
كأنها درة مموهة / في بعض سكر أخيلة تعطلها
يتحسها حاسد لآخذها / أبى عليه سروره نسياها
حتى إذا ردها وأحرزها / أدراه ما قدرها لينعاها
هذا سرور الدنيا ولذتها / دع عنك ما شرها وبلواها
فاحسبه من خيرها ونعمتها / إن شئت أو من صميم بؤساها

* * *

الصنم الهاوي(*)

خبروني عن الصنم / أين ألقت به الحطم
خبروني بمصرع / للهوى فيه والشمم
كيف باع العباد والخلـ / ـد والحسب والعظم
والسماوات كلها / بضئيل من القيم

* * *

خبروني عن الصنم / ذلك الأروع الأشم
ذلك الشاهق الذي / قصرت دونه الهمم
ذلك العابس الذي / في حمى الصمت ما ابتسم
كيف قبلت لرائم / عزة منه لم ترم
كيف زلت عروشه / من أعاليه في القمم
كيف أمسى ورأسه / في الثرى موضع القدم

(*) النعيم والشقاء : الجزء الرابع .
(*) الصنم الهاوي : الجزء الرابع

ما دهاه فما اتقى   من حذار، ولا وجم
فتهاوى بلا ونىً   وتراخى بلا شمم
وتخطى عن الذرى   علمًا دونه علم
واستوى غير نادم   في حضيض من الرجم
خبروني وأجملوا   رب عذر لمتهم
حكمة تلك في الحكم   أم قضاء من القدم؟
أم إله أصابه   حسدٌ منه فانتقم
نقمة تلك ما خلا   مثلها قط في الأمم
ضربة تلك من إلا   ه فما عنه معتصم
هي سوى حكمه بفضـ   ـل صوابًا إذا حكم

* * *

خبروني واسمعوا   أنا والله في صمم
أنا في غمرة الأسى   ظلمة فوقها ظلم
حيرة تشده العقو   ل بمسّ من اللمم
إن ويلي بسرها   فوق ويلي على الصنم

* * *

حدثوني عن الصنم   بدأ الويل أم ختم[1]؟
زعم القلب أنها   لوعة بعدها سأم
بلى القيد فانفصم   وهوى ذلك الحرم
لا قرابين تهتدى   في المحاريب، أو ذمـ
لا صلاة ولا صبا   ـم ولا فتنة عم
فليجد منه راحة   عابدٌ طالما التزم
وليحظ منه راضيًا   خادم طالما خدم
جهل القلب نفسه   كذب القلب ما زعم
ليته عاد في القمم   ظالمًا كيف ما ظلم
غانمًا كلّ ما ارتضى   من ضحايا ومن نعم

(1) أى هل تحطيم ذلك الصنم هو أول الشقاء أو آخره؟ وهل يسعد عابد الصنم بانقضاء حبه وفرائضه وتقديم القرابين إليه والراحة من كل ذلك أو هو يأسف على ما فاته من الحب وتقديم القرابين؟

آخذًا من دمائنا   ولنا بعدُ ما اغتنم
إنما الحب منتقم   وهب الحب أو حرم
ليته لم يكن هوى   ليته عاد في القمم
ليته في الحضيض لم   يُشف من ذلك السقم[1]

* * *

ألي ما ابتغيت من   ناصب النفس مصطلم[2]
دائبًا في المزيد لم   [illegible] ولم تنم
حسبك اليأس والضنى   وجوى الليل بالألم
فرغ المأتم والذي   بتّ تحيي له الضرم
فدع النار ينطفي   من لظى النار ما احتدم
أيعود الإله ألـ   ـقى به الذلّ في العدم
ويك هيهات لا معا   د فطوبى لمن وهم
بدأ الليل وانتهى   وصحا حالمٌ حلم

* * *

ولماذا القرد؟![*]

أرى السخف في الإنسان طبعًا مؤصلًا   شواهده في كل بادرة تبدو
ولو لم يكن في طبعه ومزاجه   طويةُ سخف لا يلازمها حد
لما خص من كل الخلائق سخره   بأشبههم طرًا به، وهو القرد!

* * *

(١) أى ليته بعد هبوطه إلى الحضيض بقيت له رغبة الأرباب في العبادة.
(٢) اصطلمه: قطعه.
(*) ولماذا القرد: بعد الأعاصير.

نعمة من نقمة (*)

جملا معرضُ الحب أصنافه ... نماذج من كل صنف عجاب
فحبٌ يُلاصق هذا الثرى ... وحبٌ يحلّق فوق السحاب
وحبٌ يعيش مدى ساعة ... وحب من الخلد رحب الجناب

* * *

وفوّضت أمري على غرّة ... لكوبيد يختار لي ما يرى
فعلّقني منه ذاك الخبيـ ... ـث بحب تعمّق تحت الثرى
وقال : إليك قرينَ الربيـ ... ـع في القاع يُزهر ما أزهرا

* * *

عجبتُ أنا الصاعد المرتقي ... وساءلت ربّيَ في قصتي
فقال انتظر ريثما ينقضي ... هواك ، أنبئك عن حكمتي
فلما تقضّى وزال الخفاء ... سألت القضاء ، فلم يصمت

* * *

لقد كنتَ تجهل هذا الثرى ... وكنتَ تطير ولا فضل لك
فها قد عرفت وها قد علو ... ت بوقر الرغام الذي أثقلك
أترضى ؟ فقلت نعم قد رضيـ ... ـت . لك الحمد ربّي ما أعدلك

* * *

لك الحمد ربّي إني افتتحـ ... ـت سمائي بالحب شبراً فشبرا
وشتان فاتحها مغمضًا ... وفاتحها مبصر العين حرا
ملكت الوهاد ، ملكت النجا ... د ، كما تملكان . فحمدًا وشكرا

* * *

(*) نعمة من نقمة : بعد الأعاصير .

مقدمات ما تقدم

«فيما يلي مقتبسات من مقدمات الدواوين مرتبة على حسب تواريخ صدورها :

. . . .

« . . . الشعر يعمّق الحياة فيجعل الساعة من العمر ساعات : عش ساعة مفتوح النفس لمؤثرات الكون التي يعرض عنها سواك ، ممتزجةً طويتك بطويته الكبيرة تكن قد عشت ما في وسع الإنسان أن يعيش وملأت حقيبتك من أجود صنف من الوقت! والوقت أيها القارئ ، أصناف : فمنه ما يبخل به الأبد على غير سكان السماوات ومنه ما يطرحه للأبقار والحشرات ! فإذا قلنا لك أحبب الشعر فكأننا نقول لك عش ، وإذا قلنا إن أمة أخذت تطرب للشعر فكأننا نقول إنها أخذت تطرب للحياة . . » .

الجزء الأول

. . . . * * * . . . .

«أحسن فيكتور هوجو في كتابه «وليام شكسبير» حيث قال : «ينادي كثير من الناس في أيامنا هذه – لا سيما المضاربون وفقهاء القانون – بأن الشعر قد أدبر زمانه . فما أغرب هذا القول ؟! . . الشعر أدبر زمانه ! لكأن هؤلاء القوم يقولون إن الورد لن ينبت بعد ، وأن الربيع قد أصعد آخر أنفاسه . وأن الشمس كفّت عن الشروق . وأنك تجول في مروج الأرض فلا تصادف عندها فراشة طائرة . وأن القمر لا ينتظر له ضياء بعد اليوم ، والبلبل لا يغرد ، والأسد لم يزمجر والنسر لا يحوّم في الفضاء . وأن قلال الألب والبرانس قد اندكت ، وخلا وجه الأرض من الكواعب الفواتن والأيفاع الحسان . . .

لكأنهم يقولون إنه لا أحد اليوم يبكي على قبر ، ولا أم تحب وليدها وأن أنوار السماء قد خمدت وقلب الإنسان قد مات» .

والحقّ أنه لا فرق بين القولين . إذ الشعر لا يفنى إلا إذا نفيت بواعثه . وما بواعثه إلا محاسن الطبيعة ومخاوفها وخوالج النفس وأمانيها ، فإذا حكمنا بانقضاء هذه البواعث فكأنما حكمنا بانقضاء الإنسان . وليس من العجب أن يولد فى الدنيا أناس لا يهتزون للشعر وهى مكتظة بمن لا يهتزون للحياة نفسها ، خاصة بمن يمرون بها غافلين عن محاسنها وآياتها ، كأنهم سيمرون بها ألف مرة ، أو كأنهم يعودون إليها كلما شاءوا الكرّة . . .»

الجزء الثاني

* * *

«. . . وقرأ بعضهم قصيدة فى وصف الصحراء والإبل فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدها بابا من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون !

ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد فى إنكار التقليد ، لأن وصف الصحراء والإبل إنما يحسب تقليدًا لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجاراةً للأقدمين واقتباسًا على الدواوين . أما الرجل الذى يعيش فى الصحراء أو على مقربة منها ، ويركب الإبل وتجيش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم فى هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جريا على رأى الآخرين . إذ هو التقليد بعينه فى التصور واختيار الموضوعات ، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأى الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل .

فهناك إذن «مقلدون» فى كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون ، وربما كان هؤلاء أضرّ بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم .

إن من أراد أن يحصر الشعر فى تعريف محدود لكمن يريد أن يحصر الحياة نفسها فى تعريف محدود ، فالشاعر لا ينبغى أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوى فيه جميع المطالب وهو «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» . وكل ما دخل فى هذا الباب - باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق - فهو شعرٌ وإن كان مديحًا أو هجاء أو وصفًا للإبل والأطلال ، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث . . .

وحى الأربعين

* * *

. . . .

وأعجب منه أنك لا تقرأ فيما ينظمون إلا مناجاة البلابل وأشباهها على قلة ما تُسمع فى هذه الأجواء !

فكأنما العامة عندنا أصدق شعورًا من الشعراء ، لأنهم يلقبون المُغنّى بالكروان ولا يلقبونه بالبلبل ، فيصدرون عن شعور صادق ويتحدثون بما يعرفون .

هدية الكروان

* * *

. . . .

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هى موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال ، وإنما النفس التى لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذى لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر ، أو كالمعدم الذى يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والرحيق !

كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة .

وإن التصور لهو خير معوان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور . فإن الأم تنظر إلى طفلها الوليد ثم تقضى عشرين سنة وهى تتصوره عريسًا سعيدًا لا تفرح به يوم عرسه كما تفرح بتصوره والرجاء فى بقائه طوال تلك السنين ، فإنما من نسج التصور تخلق الحلل النفيسة التى نضفيها على آمال الغيب ومشاهد العيان .

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسه الأذواق . ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء نستمرئ الشعور به والتعبير عنه كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر المأثورة ، لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها ولا تحل عقدة من ألسنتنا حتى يزينها لنا الحس الناشط والخيال المتوفز ، وأن أجمل وجه ليمر بنا فى ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التى نراها صباح مساء .

عابر سبيل

* * *

من الشعراء الذين نرجع إليهم رجوعنا إلى الصادقين في اللغة العربية أبو العلاء وابن الرومي والشريف .

ومنهم في اللغات الأوربية لبو باردي ، وهنريك هيني ، وتوماس هاردي ، وهذا فريدٌ عندنا في هذه الخصلة بين المحدثين المعاصرين .

رجعت إليه وأنا أفكر في طبع ديواني الجديد واختيار الاسم الذي يناسبه فقرأت له الأبيات التي يقول فيها :

«انظرُ إلى المرآة ، فأرى هذه البشرة الذابلة تتقبض ، فأتوجه إلى الله مبتهلاً إليه . أسألك يا رب إلا ما جعلت لي قلبًا يذبل مثل هذا الذبول .

«إنني إذن لأحس برد القلوب من حولي فلا ألم ولا أحزن ، وأنني إذن لأظل في ارتقاب راحتي السرمدية بجأش ساكن وسمت وقور .

«غير أن الزمن الذي يأبى لي إلا الأسى قد شاء أن يختلس فلا يختلس كل شيء ، ويترك فلا يترك كل شيء ، ولا يزال يرجف هذه البنية الهزيلة في مسائها بأقوى ما في الظهيرة من خلجة واضطراب» .

فما أتممت هذه الأبيات حتى خطر لي الاسم الذي اخترته لهذا الديوان وهو «أعاصير مغرب» ، وإن لم يرد في الأبيات ذكرٌ للأعاصير .

أعاصير مغرب اسم صالح لجملة الشعر الذي احتواه هذا الديوان . . بأعاصيره ، ومنه ما يشبه الأعاصير التي هزت كيان «الشيخ» هاردي فتمنى من أجلها ذبولاً في القلب كذبول إهابه .

أعاصير مغرب

* * *

. . . .

نحن في زمن المراجعة والتقويم .

نراجع كل شيء ، ونعيد تقويم كل شيء ونتقد ونعيد النظر في مقاييس النقد نفسه ، ولا فرق بين مقاييس «النقد» الذي تجري به المعاملات بين الناس في البيع والشراء والأخذ والعطاء ، أو مقاييس النقد الذي يتواضع الناس عليه في فهم المعاني والأفكار ، وتمحيص الأخلاق والأذواق .

ورجعت قيمة الذهب وهو فيما مضى مرجع كل قيمة .

ورجعت ، أو ينبغي أن تُراجع ، قيمة النقد الذي يتداوله الناس عند تقويم المعنى والفكرة وتقدير الكلمة النثرية والقصيدة الشعرية والتحفة الفنية ، فلا محيص من «نقد النقد» نفسه قبل تقرير قيمته في عالم الأدب والفن ، وقبل الاعتماد عليه في تقرير ما نقبله أو لا نقبله من آثار الأديب والفنان .

وأول ما يُنقد به النقد في كل زمن أنه غير خالص لوجه الأدب وحده أو لوجه الفن وحده ، فما من نقد قط يخلص من هوى في نفس الناقد يهواه باختياره أو على غير اختياره ، ولا بدَّ مع النقد من شائبة مزغولة نعزلها قبل أن ننفذ إلى قيمة المعدن في صميمه . فالنقد الذي في الصميم هو القيمة التي تدل على المنقود وتعطيه حقه في الإعجاب أو استحقاقه للرفض والزراية .

ونقد النقد بهذا المعنى هو تخليصه من كل أثر فيه لهوى الناقد أو هوى البيئة أو هوى الشيعة أو وساوس النفس الإنسانية التي يجهلها صاحبها في كثير من الأحايين ، ولكنها لا تخفى على الناظر إليها بالقياس إلى ما يماثلها من وساوس النفوس .

وليس فيما نومئ إليه من شوائب النقد على هذا النحو شيء جديد . فقديما عرف الناس التعصب للأديب أو للشاعر لأنه من جنس المعجبين به أو من أبناء نحلتهم في الدين أو شيعتهم في السياسة .

ولكنَّ الجديد في هذا العصر أن هذا التعصب قد أصبح خطة مقررة في دعوة مدبرة ، تدين بها طائفة كبيرة من أصحاب المذاهب والنحل ، ويصدرون عنها في تقريظهم ونقدهم ، وفي ثنائهم وتشهيرهم ، ويتخذونها سبيلا إلى ترويج دعواتهم السياسية وآرائهم الاجتماعية ، بمعزل عن الفن والأدب ، وعلى علم بالتلفيق والعوج في القياس ، إذا لزم التلفيق أو العوج في خدمة الغرض الأصيل . لأن هذا الغرض الأصيل هو القسطاس الأخير لكل تقدير والغاية الأخيرة من كل تكبير وتصغير .

وفي عصرنا هذا ينبغي أن نلتفت إلى شوائب النقد التي عرفها الأقدمون ، وإلى الشوائب التي لم يعرفوها قط أو عرفوها في حيز محصور لا يُلتفت إليه .

ولقد عرف الأقدمون في الأدب العربي صنوفاً من الإيثار والاستحسان لا علاقة لها بمزايا الفن والبلاغة ، وكان منهم من يؤثر الشاعر أو الأديب تارة لأنه على مذهبه في التشيع وتارة لأنه على هواه في مؤازرة الدولة القائمة من بني أمية أو من بني العباس ، ولوحظ - مثلاً - إهمال كتاب الأغاني للشاعر «ابن الرومي» .

أما الجديد الذي لم يعهده الأقدمون كما عهدناه في عصرنا هذا فهو - فيما نعتقد أمران :

أحدهما كما أسلفنا ظهور خطة مقررة يدعمها أصحابها برأي أساسي في مذهبهم يقضي باستخدام «النقد الأدبي» لترويج المذهب ومحاربة خصومه .

والآخر ظهور المقلدين في حركة التجديد ، وهم أولئك الذين سمعوا بمبادئ التجديد وراحوا يطبقونها تطبيق الآلة التي لا تميز بين حقائق الأسباب .

والذين يستخدمون «النقد الأدبي» لمحاربة خصومهم المذهبيين والانتقام منهم قومٌ لهم سيماهم التي لا يختلطون فيها بغيرهم . فهم جميعاً من «غير الأدباء» . . . وهم جميعاً لا ينتجون أدباً ولا يقرأون أدباً لأنه أدب ، ولكنهم دعاة يقتحمون عالم الأدب والشعر لخدمة الأغراض التي تعنيهم باسم النقد الأدبي وما هو من النقد الأدبي في شيء . إنْ هو إلا العداوة التي تصدر عن الكراهية والاتهام ولا تصدر عن اختلاف الأذواق الفنية أو المشارب الأدبية .

ولا يقل عن ضرر هؤلاء ضرر المقلدين في الدعوة إلى الجديد ، فإنهم لا يصلحون لقديم ولا لجديد من الأدب ، ولا يعرفون لماذا يقرظون ولماذا ينتقدون .

بعد الأعاصير

To: